

التعليم الجامعي الخاص وتكافؤ الفرص التعليمية



الدكتور

محمد حسنين العجمي

**أستاذ أحياء التربة وإدارتها
كلية التربية - جامعة المنصورة**

الدكتور

حسن محمد حسان

**أستاذ أصول التربية وإدارتها
كلية التربية - جامعة المنصورة**



دار الجامعة الجديدة



mohamed khatab

التعليم الجامعي الخاص

وتكافؤ الفرص التعليمية

دكتور

حسن محمد حسان

أستاذ أصول التربية وإداراتها

كلية التربية – جامعة المنصورة

دكتور

محمد حسنين العجمي

أستاذ اجتماعيات التربية وإدارتها

كلية التربية – جامعة المنصورة

٢٠٠٨

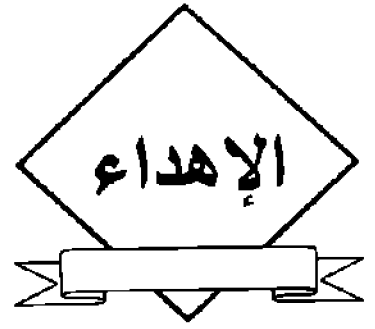


دار الجامعة الجديدة

١٠٢٨ شارع سوثير - الأزاريطة

ت: ١٨٦٣٦٢٩ - ١٨٥١١١٢ فاكس: ١٨٦٨٠٩٩ / ٠٣

E.mail : darelgamaaelgadida@hotmail.com



إلى

كل من فاته قطار

التعليم العالي يريد تعويضا

إلى كل راغب في التعليم يتمنى مواصلته

إلى كل من يريد الوقوف على حقيقة التعليم الجامعي الخاص

إلى كل هؤلاء

نهدي هذا العمل المتواضع

المؤلفان

إن خصخصة التعليم الجامعي في البلاد العربية - شأنها شأن الكثير من القضايا الجدلية في المجتمع - ليست أمراً يتطلب القبول أو الرفض ، ويجب ألا ينظر إليها من زاوية " نكون أولاً نكون " فهناك مبررات كثيرة تؤكد الحاجة إلى تعليم جامعي خاص جنباً إلى جنب مع التعليم الجامعي الحكومي ، وأن الجامعات الخاصة يمكن أن تسهم جنباً إلى جنب مع الجامعات الحكومية بحيث يكون الاثنان نظاماً متسقاً يكمل أحدهما الآخر .

وفي جميع الأحوال فالمحاذير المثارة حول التعليم الجامعي الخاص يمكن مواجهتها بإجراءات اقتصادية واجتماعية وتعليمية معينة .

المهم - في كل - أن يكون هناك نظام معتمد من قبل الدولة بموجبه تستوفي الجامعات الخاصة جميع الاعتبارات التي تضمن كفاءة التعليم الذي تقدمه من خلال ضبط جميع العناصر التي تؤثر في تحقيق كفاءة هذا التعليم وجودته . وهنا يظهر على السطح أهمية إنشاء جهاز خاص على أعلى مستوى لاعتماد هذه الجامعات الخاصة واعتماد الشهادات التي تصدرها قبل التصريح بإبثائها ، وقبل الاعتراف بشهاداتها ؛ لذا ثم لذا نطرح قضية خصخصة التعليم الجامعي في العقدين الأخيرين نفسها كقضية أساسية في رسم ملامح التعليم الجامعي بالبلاد العربية في الحاضر والمستقبل . فقد أنشئت في معظم الدول العربية جامعات خاصة أو أهلية جنباً إلى جنب مع الجامعات الحكومية . وقبل هذين العقدين ما كان أحد في البلاد العربية يفكر في أن يقوم التعليم الجامعي الخاص بدوره في سد احتياجات البلاد العربية من خريجين جامعيين في مختلف التخصصات أو يقوم

بدوره في تنمية وتطوير البحث العلمي ، وخدمة المجتمع وهكذا كانت الجامعات الحكومية تحتكر تقديم التعليم الجامعي ، وأن كانت هناك بعض الجامعات القليلة في المنطقة كالجامعة الأمريكية في القاهرة وشقيقتها في بيروت وبعض المعاهد الخاصة المتفرقة التي تقدم تعليما مهنيا عاليا يكاد يرقى إلى مستوى التعليم الجامعي الحكومي ، ولم تكن هذه المؤسسات التعليمية معتبرة جزءا من النظام التعليم الجامعي الوطني ، ولم تكن شهاداتها في كثير من الأحيان معترفا بها كمكافئ للشهادات التي تمنحها المؤسسات التعليمية للجامعات الوطنية إلا أن التحولات الشديدة التي شهدتها المجتمعات العربية في مختلف المجالات طرحت بشدة قضية التعليم الجامعي الخاص باعتبارها صيغة جديدة للتعليم الجامعي لامناص من الاعتراف بها وتقبلها وتبنيها .

إن فكرة التعليم الجامعي الخاص ليست في الحقيقة فكرة طارئة فرضتها ظروف وأوضاع اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية جديدة ، فالتعليم الجامعي في نشأته التاريخية كان في الحقيقة تعليما خاصا تتولى أمر تقديمه مؤسسات أهلية أو خاصة . فمؤسسات التعليم الجامعي التي نشأت في العصور الوسطى والتي تعد بحق أصل صيغة التعليم الجامعي الحديث كانت مؤسسات خاصة أو أهلية أنشأتها وأدارتها اتحادات للطلاب أو اتحادات لأعضاء هيئة التدريس وارتبطت ارتباطا ما بالمؤسسات الدينية أو بأمراء المقاطعات ، وكانت هذه الجامعات تتمتع باستقلال مالي وإداري . إلا أن هذا الطابع الخاص انحسر تدريجيا مع نمو الدولة القومية في أوروبا ، واستقرار فكرة مسئولية الدولة عن التعليم في مختلف صورته ومراحله . وظهر ذلك جليا في إنشاء الجامعات الحكومية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وهي الجامعات التي تتولى الدولة مسئولية الإنفاق عليها وتحديد أهدافها واعتماد برامجها ، وقد يقال أن فكرة خصخصة التعليم الجامعي الحديثة تختلف في مضامينها عن الخصخصة في منظورها



التاريخي من حيث أن الفكرة الجديدة ترى في الجامعات الخاصة مشروعا استثماريا له عائده الخاص بجانب قيامه بدوره في تحقيق أغراض الجامعة من تعليم وبحث علمي وخدمة للبيئة . على أن الدعوة لإنشاء الجامعات الخاصة لم تكتسب قوتها وحجتها من تداعيات النظام الاقتصادي العالمي وسيطرة قوى السوق ، ولكن اكتسبت هذه الدعوة شرعيتها من وضع قوة الدولة على الإنفاق بسخاء على التعليم الجامعي المتنامي .

لقد صار التعليم الجامعي مكلفا بدرجة كبيرة خاصة بالنسبة للتخصصات المرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة ، كما صار هذا التعليم محتاجا لإنفاق متزايد بالنظر للدرجة الشديدة لدى الأفراد للحصول على نصيبهم العادل من فرص التعليم الجامعي ، ودرجة الدولة نفسها في التوسع في الفرص التي تقدمها للشريحة العمرية من الشباب المقابلة لسن التعليم الجامعي .

وفي ظل هذه الاعتبارات وغيرها لم تعد لدى الدولة موارد مالية كافية للإتفاق على تعليم جامعي حكومي خالص خاصة إذا كان الهدف تقديم تعليم على أعلى درجة من الجودة . ومن ثم صار من الضروري أن يتحمل رجال الأعمال والمجتمع المدني بوجه عام بعض مسئولية إنشاء مؤسسات خاصة بالتنظيم الجامعي وإدارتها والإنفاق عليها ، كما صار من المطلوب أيضا أن يتولى الآباء القادرون الإنفاق على تعليم أبنائهم في مؤسسات تعليمية جامعية خاصة .

إذا كان للعامل الاقتصادي دوره المباشر في نمو التوجه نحو خصخصة التعليم الجامعي ، فهناك أيضا كثير من المبررات الاجتماعية التي ساهمت في تشكيل هذا التوجه . ولعل من أهم هذه المبررات زيادة الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي ، وقد نشأت الزيادة في هذا الطلب نتيجة عاملين أساسيين :

الأول : النمو السكاني السريع الذي تشهده الدولة النامية بوجه خاص ، والثاني هو التزام الدولة في معظم الدول النامية بمبادئ تكافؤ الفرص التعليمية وتحقيق

الإلزام حتى نهاية المرحلة المتوسطة الأمر الذي يترتب عليه زيادة في الفرص المقدمة للتعليم الثانوي ، وما يتلوه من تعليم جامعي . كما زاد الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي أيضا نتيجة الافتناع بأن التعليم وخاصة التعليم الجامعي هو العنصر الأول في عملية الحراك الاجتماعي ، والملاذ للحصول على فرصة جيدة للتوظيف تقي الشباب من الوقوع في براثن البطالة . كما يجب الإشارة إلى الرغبة المتزايدة من العنصر النسائي للدخول في مؤسسات التعليم الجامعي ، لتعويض ما سبق أن فاتها من فرص التعليم ولرغبتها المتنامية للدخول في سوق العمل .

ولعل من أهم المبررات الاجتماعية للطلاب على التعليم الجامعي الخاص أن النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد قد أفرز في الكثير من الدول النامية شريحة من البشر تتمتع بمستويات اقتصادية واجتماعية متميزة وتبحث عن تعليم جامعي متميز أيضا . وقد رأت هذه الشريحة أن التعليم الذي تقدمه الجامعات الحكومية غير مناسب لأبنائها على المستوى التعليمي والاجتماعي ، وأن هؤلاء الأبناء يستحقون الالتحاق بمؤسسات تعليمية جامعية خاصة تتوافر فيها مواصفات معينة لا توفرها الجامعات الحكومية . وفي نفس الوقت فإن وجود هذه الجامعات الخاصة في أرض الوطن يوفر عليها إرسال أبنائها خارج البلاد مع كل ما يعنيه ذلك من مخاطر وكلفة . ومن ثم فبدلا من إرسال الأبناء إلى جامعات في الخارج فلتنشأ لهم جامعات أجنبية أو شبه أجنبية خاصة داخل الوطن .

ولعل من هذه المبررات الاجتماعية أن هذه الشريحة من البشر - وقد صار لها نفوذها السياسي والاجتماعي - ترغب في تأكيد وجودها السياسي والاجتماعي من خلال تنشئة أبنائهم وبناتهم في مؤسسات تعليمية جامعية يركنون إلى توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية ويضمنون بها تأكيد وجودهم كقوة اقتصادية اجتماعية سياسية تضمن مصالحهم وتضمن طموحاتهم . وبالمقابل فقد

كان رد الفعل لهذا التوجه نشوء قوى اجتماعية أخرى تنادى وتلح في النداء بأن تتولى هذه الفئة أو الشريحة الجديدة الإنفاق على أبنائها من جيبها الخاص . فليس من العدل أن تكون هذه الفئة الجديدة التي تشغل قمة الهيكل الاجتماعي قادرة على الإنفاق على تعليم أبنائها وفي نفس الوقت ينافسون أبناء الطبقات الفقيرة في الحصول على أماكن متميزة وذات ندرة في الجامعات الحكومية بحكم قدرتها التحصيلية التي وفرتها لهم عوامل اقتصادية وتعليمية . وكل هذا يصب في النهاية في خانة مطالب جديدة لتعليم جامعي خاص .

إضافة للمبررات السابقة فإن هناك بعض الاعتبارات التعليمية الثقافية كان لها أثرها في طرح قضية خصخصة التعليم بقوة ، ومن هذه الاعتبارات التكديس الكبير للطلاب في الجامعات الحكومية مما كان له أثره في ضعف كفاية التعليم المقدم ، وهناك كثير من المؤشرات تشير لذلك مثل نصيب الطلاب من أعضاء هيئة التدريس ومدى توفر التجهيزات والمختبرات والخدمات التعليمية وفرص النشاط ، ومعدلات الإنفاق على الطالب وهي في معظمها مؤشرات ليست في صالح التعليم الجامعي . إضافة لذلك فإن التكديس في معظمها جامعات للأعداد الكبيرة ، وهي جامعات صارت غير قادرة على تطبيق أساليب التدريس الحديثة والاعتماد على الحوار والمناقشة في الدرس أو توفير الخدمات المكتبية الجيدة أو الإدارة الجامعية الفعالة ، وأصبح التعليم في معظمه قائما على الحفظ والتلقين وصار الهدف الحصول على الشهادة بصرف النظر عن وجود التعليم وكفايته ونتيجة لذلك صارت الدعوة لإنشاء جامعات خاصة جديدة دعوة مشروعة ومطلوبة لما يمكن أن تسهم به هذه الجامعات في استيعاب أعداد جديدة من الطلاب تؤدي إلى القضاء على نظام جامعات الأعداد الكبيرة ، والوصول بها إلى جامعات تضمن أعدادا معقولة من الطلاب يمكن في ظلها تمكين الطلاب من

الحصول على تعليم جيد يعينهم في النهاية على الحصول على فرصة جيدة للعمل أو استكشاف آفاق جديدة للتعليم المستمر .

لكل ما سبق جاء هذا الكتاب " التعليم الجامعي الخاص وتكافؤ الفرص التعليمية " متضمنا أربعة أبواب وختم بفهرست للمراجع والمصادر وآخر للمحتوى ، وذلك على النحو التفصيلي التالي :

جاء الباب الأول " واقع تكافؤ الفرص التعليمية بجمهورية مصر العربية " متضمنا مقدمة ومحورين رئيسيين : أولهما " تكافؤ الفرص التعليمية : المفاهيم - المبادئ الحاكمة - المستويات " وثانيهما " تكافؤ الفرص التعليمية ضمن وثائق تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية " .

وتضمن الباب الثاني " التعليم الجامعي والعالي بين تحديات العصر والمتغيرات المجتمعية " محورين رئيسيين أولهما (تحديات العصر والتعليم الجامعي والعالي) وثانيهما (المتغيرات المجتمعية وإنشاء الجامعات الخاصة بجمهورية مصر العربية) .

وتكون الباب الثالث " التعليم الجامعي الخاص : طبيعته - مبرراته - متطلباته " من محورين رئيسيين - أولهما الإطار المفاهيمي للخصخصة وأهم مشكلاتها على الصعيد العربي " وثانيهما " التعليم الجامعي الخاص : مبرراته - متطلباته " .

وأحتوى الباب الرابع " الجامعات الخاصة المصرية الواقع - الطموح " على ثلاث محاور رئيسية أولهما " المعالم الرئيسية للتطور نشأت الجامعات الخاصة " وثانيهم (ملامح الفلسفة الحاكمة للجامعات الخاصة المصرية) وثالثهم (نحو معالم رئيسية لرؤية مستقبلية للجامعات الخاصة المصرية .

وختم هذا الكتاب بتعقيب تحليلي ناقد وفهرست للمراجع والمصادر وآخر للمحتويات .

وأخيرا وبوصول الكتاب إلى نهايته وقبل أن يترك ليكون ملكا للجميع نود الاعتراف بأننا قدمنا كل ما عندنا من فكر وجهد في هذا الكتاب المتواضع لنضعه - بكل صدق وصراحة ووضوح - أمام القائمين علي تطوير التعليم الجامعي والعالي والمخططين لسياسته واللجان العليا المشكلة وزاريا لإعداد المعايير القومية للتعليم الجامعي والعالي في جمهورية مصر العربية ، مع إيماننا الكامل بأن في الدراسة والاجتهاد احتمالات الخطأ والصواب والنسيان ، ونرجو في النهاية أن ننال - علي الأقل - ثواب الاجتهاد .

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

(سورة مود من الآية ٨٨)

الباب الأول

واقع تكافؤ الفرص التعليمية بجمهورية مصر العربية

مقدمة.

أولاً: تكافؤ الفرص التعليمية : المفاهيم – المبادئ الحاكمة - المستويات .

(أ) مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية.

(ب) المبادئ الحاكمة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

(ج) مستويات تحقيق التكافؤ في الفرص التعليمية

ثانياً: تكافؤ الفرص التعليمية ضمن وثائق تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية.

(أ) معالم تكافؤ الفرص في التعليم النظامي بجمهورية مصر العربية.

(ب) تعقيب تحليلي ناقد.

عود على بدء ..



الباب الأول

واقع تكافؤ الفرص التعليمية
بجمهورية مصر العربيةمقدمة :

سعت الحكومات والهيئات الدولية، لاسيما فى السنوات العشرين الماضية إلى مواجهة تحديات التنمية من خلال تركيز جهودها على زيادة فرص التعليم، وفى هذا السياق كان الأمر يتعلق - بالنسبة للبلدان النامية - ببلوغ هدف " التعليم للجميع " الذى حددته اليونسكو.

ويدور هذا المفهوم حول تحقيق المساواة فى التعليم ومن ثم إعادة بناء النظام التعليمى على أساس أن يحقق فرصاً تعليمية لأكبر عدد ممكن من الناس، دون النظر إلى عنصر أو لون، أو جنس، أو لغة، أو دين ، أو موقع جغرافى، أو أى تميز اقتصادى أو اجتماعى حيث يرفض تماماً التمييز بكل صورة وأشكاله، فهو يتضمن أن التعليم حق للجميع بدون قيد أو شرط.

ومن هنا انصب اهتمام المسؤولين فى تلبية الطلب المتزايد على التعليم المدرسى، دون إدراج نوعية التعليم المقدم فى عداد الأولويات؛ فكان التكسب الطلابى، وكانت الأساليب التى تكرر القهر، والإحساس بالاغتراب وزادت معدلات الهدر التعليمى وما يمثله من رسوب وتسرب، وهذه المشكلات جميعها أصبحت تشكل الآن عقبات كبرى أمام توفير تعليم أفضل.

ومن هنا مفهوم " التعليم من أجل التميز "، فلم يعد تكافؤ الفرص يعنى المساواة بين الأفراد فى الحصول على فرص التعليم فقط، بل يعنى إتاحة الفرص لجميع الأفراد للتميز نتيجة التعليم.

والتميز هنا يعنى إتاحة الفرص للأفراد لإتقان ما تعلموه والإفادة منه فى مجالات الحياة المختلفة لصالحهم ولصالح مجتمعهم، كما يعنى التفوق والإبداع فى مجالات التخصص، (انطلاقاً) إلى التفرد المبني على الإجابة والاستقلالية فى العطاء، والدقة فى العمل.

وبناء على ما سبق فإنّ التعليم من أجل التميز لن يتحقق إلا من خلال توفير فرص تعليمية متكافئة أكثر تطوراً من حيث مضمون التعليم وأساليبه، وبرامجه، ومراعاته لاحتياجات التلاميذ.

إن تكافؤ الفرص مبدأ يضرب على الأوتار الحساسة فى كل المجتمعات ، فهو يمس قيمة العدالة الاجتماعية وديمقراطية التعليم وكيفية توزيع الثروة القومية بين أبناء المجتمع ولقد اهتمت دراسات عديدة بمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية وحق الأفراد فى الحصول على تعليم لا يفرق بينهم سواء من حيث العرق أو الجنس أو العقيدة أو المستوى الاقتصادى والاجتماعى، حيث بدأ الاهتمام بالتعليم كحق من حقوق الإنسان منذ الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م - ونشطت الهيئات الدولية من أجل إرساء الحق فى التعليم كمعيار عالمى.

وثمة اتفاق عالمى على أن التعليم - على أعقاب الألفية الثالثة - يواجه بتحديات ضخمة تتمثل فى: ضرورة توفير فرص التعليم للجميع وتحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص وتحسين وتطوير التعليم وملاءمته لمتطلبات القرن الواحد والعشرين ، وتوفير التعليم المستمر مع الاستعانة فى تحقيق هذه الأهداف بمنجزات الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصالات والمعلومات واتباع الأساليب والنظم المتعددة فى مجال التعليم الموازى بكافة أشكاله ومجالاته ، حتى يكتب

لتلك الدول الدخول للقرن الواحد والعشرين وهى دول فاعلة منتجة وليست تابعة مستهلكة.

وفى ظل التطور الحضارى الذى يتطلب نوعا من التعليم يمكن الناس من مواجهة حاجاتهم ومطالب مجتمعهم بالإضافة إلى التزايد المعرفى والسكانى وزيادة المد الديمقراطى وما تفرضه هذه العوامل من وجوب مساعدة الأفراد على فهم مسئولياتهم بتوفير الفرص المتكافئة لتعليمهم ، ازداد الطلب الاجتماعى على التعليم بصورة لم يسبق لها مثيل ، وأصبح ينظر إليه على أنه حق من حقوق الإنسان ، وبذلت الحكومات جهودا مضيئة لضمان حصول الأطفال على خدمات التعليم الأساسى ، وأتاحت فى نفس الوقت - فرص الحصول وبالمجان على التعليم اللاحق للمرحلة الأساسية ، دعما لتكافؤ الفرص التعليمية وحق الأطفال فى الحصول على تعليم لا يفرق بينهم ، وانطلاقا من المادة (٢٦) للإعلان العالمى لحقوق الإنسان والتى أقرت أن " التعليم حق لكل فرد ويجب أن يكون الزاميا فى مراحله الأولى ، وأن يعمم التعليم الفنى والمهنى ، وأن ييسر التعليم العالى على قدم المساواة التامة للجميع على أساس الكفاءة.

فالبشر هم الثروة الحقيقية لأى دولة فهم وسيلة وغاية أى جهد تنموى ، كما أن نوعية رأس المال البشرى هو المحور الرئيسى لطرق النمو ، لذا تشترك التنمية البشرية مع حقوق الإنسان فى رؤية مشتركة ، فالهدف هو حرية البشر واستيعاب الحقوق ، وتعد هذه الحرية أمرا حيويا ، فيجب أن يكون الناس أحرارا لممارسة خياراتهم والمشاركة فى صنع القرارات المؤثرة فى تقدم حياتهم. فماذا عن طبيعة مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية؟ وما أبرز معالمه على صعيد جمهوريّة مصر العربية هذا هو موضع الفصل الأول؟

أولاً: تكافؤ الفرص التعليمية: المفاهيم – المبادئ الحاكمة – المستويات :

(أ) مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية:

باستقراء الأدب التربوي الخاص بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية يمكننا القول بأن ثمة ثلاثة مفاهيم عبرت عن ثلاث اتجاهات متباينة وهى:

الاتجاه المحافظ: ساد هذا الاتجاه لتكافؤ الفرص فى مختلف الدول

الصناعية حتى الحرب العالمية الأولى، ويقوم على أن الله قد منح كل فرد الاستعدادات التى تتلاءم مع الفئة أو الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها منذ ولادته، حيث يؤكد بعض العلماء من المحافظين المتشددين، أن الدعوة إلى العدالة والمساواة الاجتماعية قد ساهمت فى إضعاف الصلابة فى النظم التعليمية، التى هى أحد شروط النوعية الجيدة (للتعليم). إن مؤيد التكافؤ يرفض (غريزياً) الطرق كلها التى تتيح لبعض الأطفال التفوق على أقرانهم وهو بذلك إلى توفير المدارس التى تهتم بشكل خاص بالتلاميذ الأكثر موهبة. كما أن الرغبة فى أن يكون لمؤسسات التعليم كلها وضع متساو لن ينتج عنه إلا الضرر، أما المحافظون المتساهلون فيشجعون على انتقاء الموهوبين من بين الجماهير وإكرام الأفراد الذين يتم اصطفاؤهم لأنهم يمثلون بموهبتهم الذهب النادر الذى يلزم لدعم الاقتصاد الداخلى.

الاتجاه الليبرالى: فمع تطور الأوضاع الاجتماعية فى الغرب، اشتدت

الحاجة إلى يد عاملة متعلمة، واقتضى ذلك التطور ظهور فلسفة جديدة، هى أن كل فرد يولد ولديه مقدار شبه ثابت من الكفاءة والذكاء، ومن ثم يجب تصميم النظام التعليمى بشكل تزول معه العوائق الخارجية الاقتصادية والجغرافية، التى

تضع الطلاب من أبناء الطبقات الدنيا للاستفادة من ذكائهم الموروث الذي يؤهلهم بحق للترقى الاجتماعى، ويقرر أصحاب الاتجاه الليبرالى من علماء اجتماع التربية أن كل فرد يجب أن تتاح له فرصة تعليمية متساوية بصرف النظر عن الطبقة التى ينتمى إليها، فعندما يدخل الأولاد للنظام التعليمى ويترقون ويكافون على عملهم فيه بناء على كفاءتهم التى تقاس بوسائل شتى منها اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل الدراسى .. إلخ، وهكذا حلت هذه الوسائل الانتقائية الواضحة المعالم والبدئية الزوم محل المعايير السابقة التى تتمثل فى الطبقة الاجتماعية والخفية الاقتصادية والاتصالات الشخصية وعرفت هذه الحركة باسم الاستحقاقية، وهى معايير لا تخفى تحيزها الاجتماعى والطبقى ونظراً لارتباطها بثقافة معينة غالباً ما تكون ثقافة النخبة إلى جانب أنها تعد اليوم أحد أدوات الفرز الاجتماعى للطلاب عند دخول مراحل التعليم، فالذى تغير المعيار ولم يتغير التحيز الأيديولوجى والفكرى لكل من المعيارين السابقين. فهم يضعون تكافؤ الفرص التعليمية على خط البداية، وليس على المرحلة الأخيرة.

الاتجاه الراديكالى: الذى نجم عن حركة النقد الشديد للاتجاه الليبرالى،

وهو اتجاه ينحصر فى ثلاثة آراء أساسية متباينة فى حل مشكلة تكافؤ الفرص التعليمية أحدها يتجه إلى اعتماد تربية تعويضية خصوصاً فى إطار دور الحضانة ورياض الأطفال، والثانى يدعو إلى تغيير مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثالث يدعو إلى تقديم مساندة تربوية شاملة حيث تعطى على طول السلم التعليمى ولاسيما عند بدء كل مرحلة دراسية حتى بلوغ درجة الإتقان المطلوب. وإذا كانت الفقرات السابقة أشارت إلى كل من أصحاب الاتجاه الليبرالى والراديكالى فهم يرون أن المصدر الرئيسى للتباين فى الفرص التعليمية هو تباين الخلفية الاقتصادية والاجتماعية، ترى الليبرالية أن هذا التباين يمكن أن يتم

خفضه بإصلاح النسق التعليمى نفسه، بينما يؤكد الاتجاه الراديكالى أن التغيير الحقيقى فى النسق التعليمى يتطلب مزيد من التغيير فى بناء المجتمع، وهكذا يقدم لنا هذا الاتجاه الالتحام بين تكافؤ الفرص التعليمية وسائر أنواع التكافؤ فى الحياة الإنسانية.

(ب) المبادئ الحاكمة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية:

تعرضت الوثائق المحلية لحق الطفل فى التعليم دون تمييز أو شرط ومن هذه الوثائق:

١ - الدستور المصرى عام ١٩٧١: الذى نص على أن التعليم حق تكفله الدولة فى (المادة ١٨) منه ، وأن يكون مجانياً فى مراحله المختلفة فى المادة (٢٠)، ومساواة المواطنين أمام القانون فى الحقوق والواجبات العامة، ولا يميز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة فى (المادة ٤٠)، ويؤكد الدستور على ضرورة أن يكون التعليم متاحاً ومجانياً للجميع، وعلى هذا فإن نشر التعليم ومجانيته شرطاً لا غنى عنه من شروط تكافؤ الفرص، ودعامة أساسية لتحقيقه.

٢ - قانون التعليم رقم ١٢٩ لسنة ١٩٨١ نصت (المادة ١٥) من هذا القانون على أن التعليم الأساسى حق لجميع الأطفال المصريين الذين يبلغون السادسة من عمرهم، تلتزم الدولة بتوفيره لهم ويلتزم الآباء أو أولياء الأمور بتنفيذه، وذلك على مدى تسع سنوات دراسية تولى المحافظون كل فى دائرة اختصاصه إصدار القرارات اللازمة لتنظيم وتنفيذ الإلزام بالنسبة للآباء وأولياء الأمور على مستوى المحافظة.

وتحقيق إلزامية مرحلة التعليم الأساسي يقوم على دعامتين، الأولى هى التزام الدولة بتوفير المدارس وإعداد المعلمين، والثانية هى التزام الآباء وأولياء الأمور بتقديم ملفات أطفالهم إلى المدرسة.

٣ - استراتيجيّة تطوير التعليم في مصر ١٩٨٧ : تشمل محاور الاستراتيجية محور زيادة فعالية ديمقراطية التعليم قبل الجامعي، وفي الجزئية رقم "ب" منه تتحدث عن إتاحة فرص متساوية لمختلف الجماعات والبيئات للحصول على النوعيات المختلفة من التعليم، ويجب أن تكون الخدمات التعليمية بكل نوعياتها ممكنة الوصول إلى كل المجتمعات والبيئات بطول البلاد وعرضها في الريف كما في الحضر.

وهنا تأكيد على وصول الخدمات التعليمية للريف كما ونوعاً في الحضر وهذا دليل على مراعاة تكافؤ الفرص التعليمية بين محافظات مصر.

٤ - مشروع مبارك والتعليم، نظرة إلى المستقبل ١٩٩٢ كان من الوثائق المهمة المتعلقة بمستقبل التعليم في مصر وثيقة " مبارك " وهى ترسم صورة تفصيلية لنظام التعليم على اعتبار أنه أمر يتعلق بالأمن القومي لمصر، مما يجعل الإصلاح ضرورة حتمية على جميع المستويات، بما في ذلك إعداد المعلمين وتحسين المباني والمرافق والمناهج، وزيادة التمويل إلى جانب تطبيق التكنولوجيا الحديثة في التعليم. وهذا يستلزم أن يشارك في إصلاحها كل المفكرين، وأن يواجهها شعب مصر لأن المهمة أكبر من أن تقدم عليها وزارة التربية والتعليم مهما عظم دورها وعلى الدولة أن تكفل كل الاستثمارات المطلوبة.

اهتم هذا المشروع بالتعليم الأساسى وإعطائه الأهمية القصوى وإصلاحه، بصفة عامة ولكن لم يتحدث عن الإصلاح على أساس المساواة بين الجنسين والمساواة بين سكان الريف وسكان الحضر فى حين أشارت دراسة البنك الدولى عن اختلال توزيعى فى الفرص التعليمية فى تلك الفترة.

٥- التعليم والمستقبل ١٩٩٧: تجدر الإشارة إلى كتاب التعليم والمستقبل حيث قال وزير التعليم فى نقطة عدم المساس بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية: استقر هذا المبدأ فى ضمير الشعب، وأصبح أحد المكاسب التى يحرص عليها شعبنا العظيم ويتمسك به، ولا يمكن لأحد أن يفرط فيه، وعلى هذا فانه يجب توفير فرص متكافئة تحقق المساواة والعدالة بين أفراد المجتمع فى الالتحاق والقبول بالمؤسسات التعليمية، والمساواة فى المعاملة بين أبناء الشعب داخل هذه المؤسسات دون تفرقه طبقية أو استثناء لبعض الأفراد على حساب الآخرين، ثم المساواة فى توزيع المخرجات النهائية للتعليم .. والتى تتفق والإمكانات الحقيقية لكل خريج. ويعنى ذلك أن الوثائق المحلية تؤكد على أن التعليم هنا يمد أفراد المجتمع، بلا أية تفرقه أو تمييز بالمهارات والخبرات الاجتماعية لجعلهم قادرين على مواجهة متطلبات الحياة.

ج) مستويات تحقيق التكافؤ فى الفرص التعليمية:

إن تغيير السياسات الاجتماعية والاقتصادية منذ منتصف السبعينيات بدأ يعصف بحق التعليم فى النطاق الواقعى، على الرغم من عدم تغيير النصوص القانونية بحيث أصبح الواقع يشهد بالفعل تدهوراً واضحاً فى مدى تكافؤ الفرص

التعليمية، بجانب ارتفاع تكلفة التعليم نفسه ورداءة نوعيته، ولهذا كان علينا تحديد مستوى تحقيق التكافؤ في الفرص التعليمية بمرحلة التعليم الأساسي.

١. مستوى التكافؤ في توزيع استثمارات التعليم:

يمثل التعليم الأساسي أوسع فرص التعليم للذكور والإناث على حد سواء، فالتعليم الأساسي مجاني وإلزامي كما أن الدولة توليه عناية خاصة وتحشد ما تقدر عليه من إمكانيات مادية وبشرية في محاولة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم. ومن جانب آخر فالتعليم أمر مقبول للأطفال ما لم تضطر الأسرة تحت ضغط الظروف الاقتصادية الصعبة إلى تشغيل أطفالها، أو حال عدم استقرارها الاجتماعي دون انتظامهم في المدارس.

والتمويل الحكومي للتعليم الأساسي يساعد الفقراء لسببين، أولهما: أن الفقراء يميلون إلى أن تكون لهم عائلة كبيرة، وأن العائلة الفقيرة تحتاج إلى تمويل من أجل تعليمها بصورة أكبر من عائلة أخرى غنية، ثانيهما: أن الأسرة الغنية قد تشتري تعليماً خاصاً.

وفي ظل اهتمام الدولة بتمويل التعليم حدثت طفرة في الاعتمادات المالية المخصصة للتعليم، فمن الناحية المطلقة وكنسبة من إجمالي الإنفاق الحكومي والنتائج المحلي الإجمالي استمر الإنفاق العام على التعليم في زيادة ملموسة في التسعينيات. ففي الفترة بين ١٩٩٠/٩١ و ١٩٩٧/٩٦ زاد الإنفاق العام على التعليم بالأسعار الجارية من ٤٥٦٣ مليون جنية إلى ١٣٩٦٧ مليون وترجم ذلك خلال نفس الفترة إلى زيادة نسبة الإنفاق العام المخصص للتعليم من ١٠,٢% إلى ١٦,٢% وهي زيادة مناظرة لزيادة الحصة من الناتج المحلي الإجمالي التي

يستوعبها الإنفاق العام على التعليم من ٤,٨ % إلى ٥,٥ %. والجدول التالي يوضح تكلفة الوحدة من الإنفاق الحكومي على مراحل التعليم العام:

جدول (١)

تكلفة الوحدة من الإنفاق الحكومي على مراحل التعليم العام لعام ١٩٩٩/٩٨

جنية مصري	تكلفة الوحدة من الإنفاق الإجمالي
٤٥٦	الابتدائي
٦٤٢	الإعدادي
٩١١	الثانوي

ويشير الجدول السابق إلى أن تكلفة الوحدة من الإنفاق الحكومي (أقل) في المرحلة الابتدائية من باقي المراحل التالية له، أي أن المدى الحالي للإنفاق على التعليم غير متساو، وانطلاقاً من مبدأ الكفاءة الذي ينادى أن يحصل التعليم الابتدائي في الدول النامية على أعلى أولوية استثمارية، بالإضافة إلى ذلك فإن الطلاب الأكثر ثراء ممثلين في جميع مراحل التعليم على وجه العموم، وأنماط تخصيص الإنفاق منحازة ضد السكان الأقل دخلاً ونلاحظ أن هذه السمة من سمات العالم الثالث، ففي الصين، وفي المناطق الريفية حيث يعيش أكثر من ٧٠% من السكان، وحيث الأجور حوالى مثيلاتها في المناطق الحضرية، فإن عبء تمويل التعليم الابتدائي يقع بصفة رئيسية على الأباء والمجتمع القروي، في حين أن المدارس الابتدائية والثانوية في الحضر تتمتع بتمويل من الحكومات الإقليمية.

ويذكر " نوفل " عن مصر في تقرير للبنك الدولي أن المنحدرين من مجموعات ذات دخول عالية هم الذين يستفيدون من القسم الأكبر من الإنفاق الحكومي على التعليم - وتفصيل ذلك أن هناك أطفال يمثلون ٧٠% من الأسر في المجتمع لا يتجاوز تعليمهم المرحلة الابتدائية منهم أطفال لحوالي ٣٠% من

الأسر لم يدخلوا مدارس من الأصل، ويخص أبناء ٧٠% من الأسر من الإنفاق العام على التعليم بنسبة ٢٠% فقط.

وبينت إحدى الدراسات التي أجريت في تقرير التنمية البشرية بمصر لعام ١٩٩٨/٩٧ أن ٣٠% من إجمالي الإنفاق الحكومي على التعليم يذهب إلى الفئات مرتفعة الدخل في الريف والحضر بينما لا تحصل أدنى فئات الدخل إلا على ٧% من هذا الإنفاق. وترتب على ذلك الوضع أن التعليم أصبح وسيلة لتكريس التباين الطبقي والاجتماعي، وهكذا ظل المجتمع منقسماً إلى طبقتين اجتماعيتين متباينتين واستمر التعليم يعمل في صالح الطبقة العليا والوسطى ويحيز ضد الفقراء والمحرومين ثم يلقي عليهم اللوم لفشلهم في الدراسة ومواصلة التعليم إلى منتهاه والأدلة كثيرة ومتنوعة على تحيز التعليم المدرسي ضد الفقراء وإفادة أبناء الأغنياء منه بدرجة كبيرة.

ونشير هنا إلى أن التباين في كيفية استخدام مصادر التمويل العامة للتعليم أكثر مظاهر عدم التكافؤ وضوحاً تبدو في المستويات المختلفة للصرف العام على تلاميذ الأنواع المختلفة من المدارس العامة أو على المدارس في المناطق الجغرافية المختلفة، ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن إنفاق مصر على التعليم الأساسي اتسم نسبياً بعدم الكفاءة، وبذلك يتضح أن التعليم الحالي غير قادر على توفير فرص تعليمية متساوية وكذلك غير قادر على إحداث المساواة الاجتماعية للطلاب الملتحقين به.

٢- مستوى التكافؤ في الفرص التعليمية بين المحافظات:

يمكن تصور الفرص التعليمية كمرتقى بين عدة مستويات للفرص، وأهم هذه المستويات هو فرصة التسجيل بالصف الأول الدراسي، والمستوى الثاني هو

فرصة التعلم الجيد فى هذه المرحلة حتى نهايتها لاكتساب المهارات الأساسية لاستمرار التعليم، وأخيراً المستوى الثالث من الفرص وهو أن يستخدم الخريج ما تعلمه فى المرحلة فى الاستفادة من أشكال أخرى من الفرص الاجتماعية والاقتصادية حتى يستطيع أن يزيد من فرصة فى الحياة.

وفيما يلى عرض لبعض المستويات التى يمكن أن يستدل من خلالها على مدى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بين المحافظات:

أ. التكافؤ فى فرصة التسجيل بالصف الأول الدراسة:

يتطلب هذا المستوى شروطاً ثلاثة، طفلاً فى تمام الصحة ليسجل بالمدرسة ومدرسة على مسافة معقولة من مسكن الطفل، ورغبة أولياء أمور الطفل فى دخوله المدرسة.

وقسم هذا المستوى إلى قسمين فالقسم الأول : هو معدل دخول الأطفال الصف الأول الابتدائى والقسم الثانى: نوعية المدرسة التى يلتحق بها الطفل.

القسم الأول: معدل دخول الأطفال الصف الأول الابتدائى:

أشارت العديد من الدراسات إلى حدوث تحسن عام فى معدلات دخول الأطفال بمدارس التعليم الأساسى على مستوى جميعه المحافظات فى مصر. وهذا ما يؤكد الجدول التالى :

جدول (٢)
معدل دخول الأطفال الصف الأول الابتدائي % لعام ٩٩ / ٢٠٠٠

معدل دخول الصف الأول الابتدائي %		المحافظة
إناث	إجمالي	
١٠٤,٩	١٠٣,٤	القاهرة
٩٧,٧	٩٧,٠	الإسكندرية
٩٤,٤	٩٠,٥	بورسعيد
١٠٠,٤	٩٧,٢	السويس
١٠٢,٠	١٠٠,٥	المحافظات الحضرية
١٠٣,٤	١٠٣,٦	دمياط
١٢٢,١	١٢٧,١	الدقهلية
١٢٠,٦	١٢٩,٥	الشرقية
٩٣,٨	٩٥,٦	القليوبية
١٢١,٥	١٣٤,١	كفر الشيخ
١٢٨,٩	١٣٧,٥	الغربية
١١٣,٦	١١٥,٩	المنوفية
٩٩,٨	١١٤,٢	البحيرة
١٠٩,٥	١١٢,٥	الإسماعيلية
١١٣,٦	١٢١,١	الوجه البحري
١٠٤,٥	١٠٦,٤	الجيزة
٧٧,٧	٨٧,٣	بنى سويف
٨١,٦	٩٤,٤	الفيوم
٨٤,٣	٩٨,٧	المنيا
١٠٠,٤	١١٣,٥	أسيوط
١٢٢,٨	١٣٩,٦	سوهاج
١٠٧,٦	١٢٢,٧	قنا
١٠٣,٤	١٠٥,٨	أسوان
٩٩,٣	١١٠,٥	الوجه القبلي
١١٣,٦	١١١,٩	البحر الأحمر

معدل دخول الصف الأول الابتدائي %		المحافظة
إناث	إجمالي	
١٠٥,١	١٠٤,٢	الوادي الجديد
٩٤,٥	١٠١,٠	مرسى مطروح
١٠٨,٦	١٠٧,٤	شمال سيناء
١١,٦	١١٩,٠	جنوب سيناء
١٠٥,٠	١٠٦,٦	محافظات الحدود
١٠٦,٠	١١٣,٥	مصر

تشير إحصاءات الجدول السابق إلى التقدم التدريجي نحو تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية متمثلاً في الارتفاع العام في معدل دخول الأطفال الذكور والإناث بالصف الأول الابتدائي سواء في الريف أو الحضر حيث بلغت ١١٣,٥% عام ٢٠٠٠/٩٩.

ويدل الجدول السابق على وجود فروق واضحة بين معدلات دخول الأطفال الصف الأول الابتدائي في الريف والحضر حيث بلغت ١٢١,١% في محافظات الوجه البحري ثم انخفضت إلى ١١٠,٥% في محافظات الوجه القبلي، ورغم هذا التباين إلا أن المعدلات أعلى من ١٠٠%؛ حيث كفلت المواثيق حق الالتحاق بالمدرسة الابتدائية بالمجان، وهي مرحلة إلزامية. وهذا الحق مكفول في مرحلة التعليم الأساسي بالميلاد بصرف النظر عن أية اعتبارات أخرى وعلى الدولة أن تكفل هذا التعليم لكل فرد، باعتباره الحد الأدنى لتكوين ما يسمى بالمواطنة.

وبملاحظة محتويات الجدول السابق أيضاً وجد أن أعلى معدل لدخول الصف الأول الابتدائي تحظى به محافظة سوهاج ويبلغ ١٣٩,٦% وسجل أقل معدل بمحافظة بنى سويف وبورسعيد وبلغت ٨٧,٣% و ٩٠,٥% على التوالي. لهذا فإن معدل دخول الأطفال الصف الأول الابتدائي مرتفع في جميع المحافظات بصفة

عامة، ولكنه منخفض قليلاً في عدد محدود من المحافظات مثل محافظة بورسعيد وبنى سويف، ويعزى السبب إلى وجود عامل هام يتمثل فيما جاء به قانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ بخصوص الغرامة الواجب فرضها على ولي الأمر الذى لا يلتزم بإرسال طفله للتعليم وحددت هذه الغرامة بعشرة جنيهات، فهل هذه الغرامة كفيلة بدفع أولياء الأمور إلى الالتزام بإرسال أطفالهم إلى التعليم الابتدائى؟

ويدل الجدول السابق على أن معدل دخول الإناث بالصف الأول الابتدائى فى الوجه البحرى أفضل بكثير عنها فى الوجه القبلى، وعلى مستوى المحافظات بلغ معدل دخول الإناث الصف الأول الابتدائى ٧٧,٧% ٨١,٦% ٨٤,٣% فى محافظات كل من بنى سويف والفيوم والمنيا على الترتيب، وهنا يلفت انتباهنا تلك التباين بين الذكور والإناث فى بعض المحافظات وقد يعزى ذلك للظروف الاجتماعية السائدة فى بعض المناطق.

القسم الثانى: نوع المدرسة التى يلتحق بها الطفل:

يختلف الأطفال فيما بينهم فى شكل الحصول على الفرصة نتيجة وجود مدارس حكومية رسمية مجانية ومدارس حكومية للغات بمصروفات ومدارس خاصة بمصروفات ومدارس أزهريّة مجانية ومدارس الفصل الواحد ومدارس المجتمع ويعتبر التعليم الخاص والأجنبى ومدارس اللغات إهداراً أساسياً لديمقراطية التعليم ولمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، كما يشكل ثنائية فى تشكيل وعى المواطن وفى خلق نمطين من الحياة، ومن الأفراد، والجدول التالى يوضح ذلك:

جدول (٣)
نسب القيد بأنواع المدارس المختلفة

القيد بالتعليم الأساسي والثانوى فى			المحافظة
مدارس حكومية	مدارس خاصة ٢٠٠٠/٩٩	مدارس زهرية	
٧٣,٦	٢٢,٢	٤,٢	القاهرة
٨٤,٢	١٣,٨	٢,٠	الإسكندرية
٩٢,٠	٥,٧	٢,٣	بورسعيد
٩٠,٠	٧,٣	٢,٧	السويس
٧٨,٤	١٨,٢	٣,٤	المحافظات الحضرية
٩٣,٥	٢,٦	٣,٩	دمياط
٨٧,٤	٢,٠	١٠,٦	الدقهلية
٨٧,١	٠,٩	١٢,٠	الشرقية
٩٠,٨	٣,٧	٥,٥	القليوبية
٨٦,٠	٠,٣	١٣,٧	كفر الشيخ
٨٤,٣	٢,٢	١٣,٥	الغربية
٩١,٢	١,٦	٧,٢	المنوفية
٩٠,٥	١,٥	٨,٠	البحيرة
٩٠,٧	٣,٧	٥,٦	الإسماعيلية
٨٨,٤	١,٩	٩,٧	الوجه البحري
٧٩,٢	١٥,٧	٥,١	الجيزة
٩١,٨	٢,٤	٥,٨	بنى سويف
٩٢,٩	١,٩	٥,٢	الفيوم
٩١,١	٣,٢	٥,٧	المنيا
٨٦,٨	٢,٦	١٠,٦	أسيوط
٨١,٨	١,٢	١٧,٠	سوهاج
٨٧,٩	٠,٨	١١,٣	قنا
٩٣,٣	٠,٢	٦,٥	أسوان
٨٦,٤	٥,٠	٨,٦	الوجه القبلى
٩٣,٣	٢,٠	٤,٧	البحر الأحمر

التقيد بالتعليم الأساسى والثانوى فى			المحافظة
مدارس حكومية	مدارس خاصة ٢٠٠٠/٩٩	مدارس زهرية	
٩٤,٦	١,١	٥,٤	الوادى الجديد
٩٢,٨	٢,٥	٤,٧	مرسى مطروح
٩٢,١	١,٢	٦,٧	شمال سيناء
٨٩,٦	٠,٣	١٠,١	جنوب سيناء
٩٢,٩	١,٣	٥,٨٥	محافظات الحدود
٨٦,٠	٥,٨	٨,٢	مصر

تؤكد الإحصاءات الواردة فى جدول (٣) أن المحافظات الحضرية قد حظيت بأعلى نسبة قيد فى المدارس الخاصة حيث بلغت ١٨,٢% يليها محافظات الوجه القبلى حيث بلغت ٥% وكانت فى محافظات الوجه البحرى ١,٩% يليها محافظات الحدود حيث بلغت ١,٣%، وقد يعزى السبب لضعف المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسر فى بعض المحافظات وخاصة أن هذه المدارس تضع شروطاً لا تتحقق عند الكثير من الأسر.

والفقر المباشر للأسرة خاصة فى المستويات المنخفضة من التعليم بين أفرادها، يتخذ معنى مختلفاً، حيث إنه يشكل العلاقة بين البيئة والفصول والمدارس. فمستوى فقر الأسرة المتدنى يؤثر على توقعات المعلم وممارسته المهنية، لأن الفروق التعليمية الكبيرة فى التعليم بين الأبناء تؤدي إلى ردود فعل متفاوتة لدى المعلمين والمدارس. فالمعلمين غالباً يتوقعون جهداً أكاديمياً أكبر من قبل الأطفال إذا توافرت لآبائهم الإمكانيات التى تساعدهم على التعليم لسنوات عديدة وهذه ميزة المستوى الاجتماعى والاقتصادى الجيد للآباء، فإن التفاعل بين العامل الخارجى (وهو مجموعة خصائص الوالدين) وبين العامل الداخلى (وهو

توقعات المعلمين) تشكل مناخاً تعليمياً مختلفاً للتلاميذ المختلفين. وتوجد أنواع من المدارس الابتدائية الرسمية، والجدول التالي يوضح ذلك

جدول رقم (٤)

توزيع مدارس المرحلة الابتدائية الرسمية واللغات الرسمية وتلاميذها على بعض المحافظات

المحافظة	تعليم رسمي ٩٥ / ٩٦		رسمي لغات ٩٦ / ٥	
	مدارس	جملة التلاميذ	مدارس	جملة التلاميذ
القاهرة	٧٠٩	٥٧٥٤٢٨	٤٥	٢٢٤٨٤
الإسكندرية	٤٣٤	٣٥٣٨١٦	٦	٣١٣٧
الجيزة	٧١٢	٥٣١٩٠٩	١١	٤٤٢٨
القليوبية	٦٣٧	٥٣٤١٠١	-	-

نلاحظ من جدول (٤) أن محافظة القاهرة تحظى بأعلى نسبة مدارس لغات فقد بلغ عددها ٤٥ مدرسة تليها الجيزة بعدد ١١ مدرسة ثم الإسكندرية بعدد ٦ مدارس ولم تحظى القليوبية بأية مدرسة عام ٩٥ / ١٩٩٦، ورغم أن هذه المدارس تمثل نوعاً من المدارس الرسمية إلا أنها تتميز دون غيرها بارتفاع مستوى المعلمين والنظام والمناهج بالإضافة إلى تعليم اللغة الأجنبية، فإن توزيعها على أنحاء الجمهورية يتم بطريقة تركز التمايز لصالح أبناء أسر الطبقات العليا والمتوسطة وضد مصلحة أبناء أسر الطبقات الدنيا.

وقد ربط " حامد عمار " بين نوع المدرسة ومستوى الأسرة الاجتماعي والاقتصادي فذكر أن مجموع المقيدون بالتعليم الخاص ما بين ٦ / ٥ % من جملة المقيدون في مرحلة التعليم الأساسي، ولعل هذه النسبة مع ما قد يوجد بين أسرها من تفاوت تمثل نسبة الأغنياء أو الميسورين من الفئات الاجتماعية.

ويبقى حوالي ٩٥% من المقيدون في المدارس الرسمية ممن لا ينتمون في غالبيتهم إلى تلك الفئة، وأن نسبة الفقراء تصل إلى حوالي ٤٢% من السكان، ولو أضفنا إلى هؤلاء فئات الكادحين من صغار الفلاحين والعمال والحرفيين وأصحاب المتاجر الصغيرة ممن يمكن تقديرهم تخميناً بحوالي ٣٠% من السكان، إلى جانب فئة ذوى الدخل المحدود وغالبيتهم من صغار أو متوسطى الدخل، من الموظفين الذين يمكن تقديرهم بحوالي ١٠% من السكان، فسوف يصبح مجموع هذه الفئات حوالي ٨٢% من السكان، وهؤلاء هم - فى تقديرى - الذين ينتفعون - كلهم أو على الأقل غالبيتهم العظمى - بما يتاح من فرص التعليم الأسسى الرسمى، وهم ممن تتكون غالبية المتسربين والباقيين لإعادة لصفوفهم من أبنائهم وبناتهم. أى أن التعليم استجاب لمطالب القوى الاجتماعية المسيطرة والتي تملك الثروة والسلطة فى مصر.

وهذا يؤدى إلى تعددية نظم التعليم، مما ترك آثاره على سيكولوجية ومستوى الطلاب المحرومين من دخول بعض المدارس المتميزة بسبب لا يرجع إلى قدراتهم بل يرجع إلى ظروفهم الاجتماعية، وهو ما يتنافى مع ما قرره المواثيق والرسائل المحلية وجوهر تكافؤ الفرص التعليمية. وما يحدث من توسع فى التعليم المتميز فى مدارس اللغات لمواجهة الطلب الاجتماعى على هذا النوع من التعليم، ومن المعروف أن هذه المدارس ذات الرسوم الإضافية تقدم خدمات إضافية فى مقدمتها تعليم لغة أجنبية. هذه الخدمة الإضافية غير متوافرة لجميع الملتحقين بنفس المرحلة التعليمية بالمدارس التى تفرض بها رسوم إضافية، معنى ذلك أن هناك تفرقه ولهذا يصعب هنا تحقيق تكافؤ الفرص، مما يهدد فى المستقبل بالازدواجية الثقافية ودعم الطبقة فى المجتمع.

وعلى الرغم مما عرض من معلومات وإحصاءات فى هذا البعد فقد تحقق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية إلى حد كبير، ولكن مع الوضع فى الاعتبار أن هذا التكافؤ فى الفرص غير متمثل لوجود أشكال مختلفة من المدارس فى التعليم الأساسى.

ب) التكافؤ فى الاستمرار فى التعليم:

يتطلب الاستمرار فى التعليم عدة شروط أن يتم التسجيل بالمدرسة، والحضور بانتظام إلى المدرسة، وأن يكون الطفل مستعداً للتعليم عند التحاقه بالمدرسة، وأن يكون لدى المعلمين المهارات والوقت والإمكانيات التى تتيح لهم شغل الطفل بالأنشطة التى تسمح بالاستيعاب التدريجى للمنهج المقرر والتحكم فى عملية التعليم بطريقة صحيحة.

ولعلنا نركز على الشرطين الأول والثانى (معاً) وقد تناولنا الشرط الأول وهو : التسجيل بالصف الأول الدراسى ووجد أن غالبية الأطفال تم تسجيلهم، ونحدث الآن عن الشرط الثانى: وهو الحضور بانتظام إلى المدرسة وينتج عن عدم تحقيق هذا الشرط مجموعة من المشكلات مثل: التسرب والرسوب، وانخفاض نسبة النجاح. وسوف نتحدث عن هذه العناصر فيما يلى:

التسرب: يوصف الطلاب الذين ينقطعون عن الحضور إلى المدرسة بصفة دائمة بعد أن يتم التحاقهم بها لآى سبب عدا الوفاة، وسواء كان هذا الانقطاع فى بدء أم أثناء العام الدراسى فى أى صف من صفوف الدراسة، وفى أية مرحلة تعليمية، لأسباب أخرى غير الوفاة، بأنهم قد تسربوا ويرجع التسرب بالدرجة الأولى إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمدرسية والتى تخص الأسر الفقيرة دون سواها والإحصائيات الرسمية تشير إلى ذلك.

وإن التسرب من التعليم يؤدي إلى إخراج فئة المتسربين من دائرة المواطنة الإيجابية، ويقضى بتهميشها في المجتمع. ذلك أنهم أصبحوا غير منتجين، وفوق هذا فهم مستهلكون لإنتاج القادرين. ومن ثم يكون ضررهم مضاعفاً في المجالين: الاقتصادي الإنتاجي، والاجتماعي السياسي بغياب المشاركة في ممارسة حقوق المواطنة وواجباتها والمشاركة في صناعة القرار الوطني.

وتؤكد الإحصاءات في تقرير التنمية البشرية إن معدلات إجمالي التسرب مختلفة في سنوات التعليم الابتدائي خلال الفترة من ١٩٩١/٩٠م إلى ١٩٩٨/٩٧م فمثلاً: ظل معدل التسرب من السنة الأولى أقل من ١% خلال تلك الفترة باستثناء عام ١٩٩٨ / ٩٧ حيث بلغ ١,٦٥ % واتجهت معدلات التسرب في السنوات الثانية والثالثة والرابعة إلى الانخفاض خلال نفس الفترة فيما عدا السنة الثانية زاد المعدل من ٠,٣٦ % عام ١٩٩٧ / ٩٦م إلى ١,٢١ % عام ١٩٩٨ / ٩٧م والسنة الثالثة زاد المعدل من ٠,١١ % عام ١٩٩٧ / ٩٦م إلى ٠,٩٠ % عام ١٩٩٨ / ٩٧م بينما كان المعدل المناظر في السنة الخامسة تناقص من ١٢,٨٧ % عام ١٩٩٣ / ٩٢م إلى ٣,٠٥ % عام ١٩٩٨ / ٩٧م. وقد تفاوت المعدل الإجمالي للتسرب في التعليم الإعدادي، مع اتجاه للتناقص خلال الفترة من ١٩٩١/٩٠ - ١٩٩٨ / ٩٧م حيث ارتفع من ٩,٦٢ % عام ١٩٩١ / ٩٠م إلى ١٦,٤٧ % عام ١٩٩٢/٩١، ثم تناقص بانتظام حتى بلغ ٣,٨٣ % عام ١٩٩٤ / ٩٣م وتذبذب خلال السنوات الأربع التالية ليصل إلى ٢,٣٥ % عام ١٩٩٨/٩٧م. وتبين التقديرات أن معدل التسرب كان أعلى بوجه عام في الفرقة الأولى الإعدادية عنه في الفرقتين التاليتين وصحيح أن هذه الأرقام كانت تتجه إلى الهبوط، إلا أنها تمثل هدراً كبيراً للموارد بالإضافة إلى تأثيرها متعدد الجوانب على الأمية في الحاضر والمستقبل والجدول التالي يوضح حجم التسرب على مستوى المحافظات:

جدول (٥)
نسبة القيد الإجمالية لطلاب التعليم العام

نسبة القيد الإجمالية لطلاب التعليم العام					المحافظة
نسبة القيد الإجمالية بالثانوية % / ٩٠٠٠	الانتقال للثانوى من أتموا الإعدادى ٩٩ / ٢٠٠٠	نسبة القيد الإجمالية بالإعدادى / ٩٩ / ٢٠٠٠	الانتقال للإعدادى من أتموا الابتدائى ٩٩ / ٢٠٠٠	نسبة القيد الإجمالية بالابتدائى % / ٩٩ / ٢٠٠٠	
٥٩,١	٩١,٦	١٠٠,٢	١٠٠,٨	١٠٥,٩	القاهرة
٤٩,٠	٨٥,٩	١٠٠,٠	٩٨,٠	١١٥,٣	الإسكندرية
٦٥,١	٩٦,٦	١٠١,٠	١٠١,٥	٩٨,٨	بورسعيد
٦٣,٤	٩٣,٣	١٠٨,٨	١٠٣,٤	١٠١,٥	السويس
٥٦,٦	٩٠,٣	١٠٠,٥	١٠٠,١	١٠٨,٣	المحافظات الحضرية
٥٦,٥	٩٥,٣	١٠٢,٧	٩٦,٩	١٠٦,٩	دمياط
٥٩,٧	٩٦,٨	٩٠,٤	٩٩,١	١٠١,١	الدقهلية
٥٦,٣	٩٨,٧	٩٠,٦	٩٩,٦	١٠٠,٠	الشرقية
٤٦,٥	٩٥,٤	٨٤,٧	٩٨,٣	٩٩,٥	القليوبية
٥٨,٠	٩٦,٩	٩٣,٥	٩٨,٢	٩٨,٣	كفر الشيخ
٥٩,٦	٩٥,٨	٩٥,٥	٩٩,٠	١٠٣,٧	الغربية
٥٤,٠	٩٦,٣	٩٤,١	١٠١,١	١٠٣,٠	المنوفية
٤٥,٩	٩٢,٦	٨٨,٣	٩٧,٧	١٠١,٠	البحيرة
٥٦,٤	٩٩,٨	٩٧,٣	٩٦,٧	١٠٨,٣	الإسماعيلية
٥٤,٣	٩٦,٣	٩٢,١	٩٨,٨	١٠١,٤	الوجه البحري
٤٦,٠	٨٦,٦	٨٨,٧	٩٧,٠	١٠٣,٨	الجيزة
٤٤,٩٦	٩٦,٠	٧١,٤	٩٧,٥	٨٤,٥	بنى سويف
٤٣,١	١٠٢,٤	٧٠,٥	٩٨,٩	٨٧,٤	الفيوم
٤٤,٥	٩٥,٩	٧٧,٢	٩٦,٨	٨٦,٨	المنيا
٤٢,٣	٩٢,٧	٧٩,١	٩٧,٧	٩٠,٥	أسيوط
٤٢,١	٨٨,٢	٨٥,٤	٩٧,٥	٩٢,٦	سوهاج
٥٥,٥	٩٤,٣	٩٦,٤	١٠١,٢	٩٦,٠	قنا
٥٩,٦	٩٠,٧	١٠٧,٦	٩٨,٦	١٠٠,٩	أسوان
٤٦,٢	٩٢,٣	٨٣,٧	٩٨,٠	٩٣,٢	الوجه القبلى

نسبة القيد الإجمالية لطلاب التعليم العام					المحافظة
نسبة القيد الإجمالية / بالثانوية % / ٢٠٠٠	الانتقال للثانوى من أتموا الإعدادى ٢٠٠٠ / ٩٩	نسبة القيد الإجمالية بالإعدادى / ٩٩ / ٢٠٠٠	الانتقال للإعدادى من أتموا الابتدائى ٢٠٠٠ / ٩٩ / %	نسبة القيد الإجمالية بالابتدائى % / ٢٠٠٠ / ٩٩	
٦٣,٧	١٠٣,٥	١٠٥,١	١١١,٥	١٠٨,٩	البحر الأحمر
٧١,٨	٩٧,١	١٠٢,٩	١٠٦,٠	١٠٣,٨	الوادى الجديد
٣٣,٦	٨٤,٩	٨٥,٦	٩٣,٢	٩٨,٢	مرسى مطروح
٥٣,٢	٩٧,٦	٨٩,٤	٩٨,٨	٩٦,٠	شمال سيناء
٤٢,٣	٨٣,١	٩٠,٢	٩٦,٨	٩٤,٢	جنوب سيناء
٥٢,٦	٩٥,٢	٩٣,٨	١٠٠,٧	١٠٠,١	محافظات الحدود
٥١,٧	٩٣,٨	٩٠,٣	٩٨,٨	٩٩,٢	مصر

تشير بيانات الجدول السابق أن نسبة القيد الإجمالى بالابتدائى مرتفعة بشكل واضح وذلك لوجود نسبة غير قليلة من الأطفال فى هذه المرحلة ممن تزيد أعمارهم عن ١١ سنة سواء نتيجة لإعادة بعض الصفوف وبخاصة فى الصفوف العليا أو بسبب الالتحاق المتأخر فى المدرسة من البداية.

وتشير بيانات جدول (٥) إلى أن نسبة التسرب فى محافظات الوجه القبلى أعلى منه فى محافظات الوجه البحرى، حيث بلغ نسبة من انتقلوا إلى الإعدادى ٩٨,٨% وقيد منهم بالإعدادى ٩٢,١% فى محافظات الوجه البحرى عام ٢٠٠٠/٩٩ بينما بلغ فى محافظات الوجه القبلى ٩٨% ممن انتقلوا للإعدادى وقيد منهم بالإعدادى ٨٣,٧% فى نفس العام.

وبدل جدول (٦) أيضا أن محافظة الفيوم فيها نسبة تسرب عالية حيث بلغ نسبة الأطفال الذين انتقلوا للإعدادى ١٠٢,٤% وقيد منهم بالإعدادى ٧٠,٥% تليها محافظة بنى سويف حيث بلغ نسبة من انتقلوا للإعدادى ٩٧,٥% وقيد منهم

بالإعدادى ٧١,٤%. ويعزى السبب إلى أن المناطق الفقيرة تفضل مشاركة أطفالها فى العمل لمعاونتها، أو زيادة نفقات العملية التعليمية بما لا تستطيع بعض الأسر تحمله.

وقد أوضحت ذلك دراسة أجريت فى الأعوام ١٩٧٢/٧١ - و ٧٦ / ١٩٧٧ أن الوضع الطبقي ذو ارتباط بتسرب التلاميذ، فلا يوجد بين المتسربين حالة واحدة لذوى الدخول المرتفعة وأن أعلى نسب للتسرب من المدارس الابتدائية بين الأسر الريفية، إذ تصل إلى ٤٥,٦% تليها النسبة بين أبناء العمال ٣٢,٦% ثم أبناء الموظفين ١٦,٧% فأبناء التجار ٣,٤%. وهى نسب تعبر عن شعور بعض الأسر بعدم جدوى التعليم، مما يعتبر مؤشراً لغياب تكافؤ الفرص بين المحافظات، ولا شك أن هذه الأرقام تعتبر مؤشراً هاماً على إخفاق التعليم فى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، وتعكس هذه الأرقام أن هناك نسبة من طلاب بعض المحافظات مثل محافظة الفيوم وبنى سويف المفروض قبولهم فى مرحلة التعليم الأساسى والاستمرار فيه تبقى خارج نظام التعليم لأسباب وشروط التعليم التى تفرز الناس اجتماعياً.

ومن التفسيرات الواضحة للتباين بين المحافظات فى نسب التسرب والرسوب هو وجود اختلافات جوهرية بينهم فى معدلات القراءة والكتابة، حيث بلغ هذا المعدل ٧٧,٩% فى المحافظات الحضرية عام ٢٠٠٠، بينما انخفض فى محافظات الصعيد باستثناء محافظة الجيزة حيث بلغ ٥٥,١% وأدى ذلك إلى انخفاض فى مستوى التحصيل التعليمى حيث بلغ فى الوجه البحرى ٩٦,٠% والوجه القبلى ٧٢,٠% لعام ١٩٩٤، وارتفاع نسبة الأمية فى هذه المحافظات، ويعزى السبب لعدم تعميم التعليم فى المرحلة الابتدائية طوال السنين الماضية، مما أدى إلى تسرب ورسوب الطلاب من التعليم فى المرحلة الابتدائية طوال السنين

الماضية، مما أدى إلى تسرب ورسوب الطلاب من التعليم عاما بعد عام وإضافتهم إلى رصيد الأمية. وأيا كان الأمر، فإن مصر لا تزال فى حاجة إلى جهد مكثف لرفع مستوى التحصيل التعليمى على نطاق الوطن كله فطبقاً لدليل التعليم عام ٢٠٠٠ احتلت مصر المرتبة (١١٩) بين (١٧٤) دولة التى شملها تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠م والصادر عن البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة. ويلاحظ أن قيمة دليل التعليم فى مجموعة محافظات الوجه البحرى بلغت ٠,٦١٤ وبلغت ٠,٥٣١ فى محافظات الوجه القبلى كما أن هناك حاجة إلى بذل جهد أكبر لتحقيق توزيع متكافئ لخدمات التعليم بين المحافظات المختلفة، فعلى سبيل المثال تبلغ أعلى قيمة دليل التعليم لمحافظة بورسعيد حوالى ٠,٧٥٨ و ٠,٧٤٩ و ٠,٧٣٩ و ٠,٧٣٤ مثلها فى محافظات السويس، الإسكندرية والقاهرة على التوالى. وتقل اختلافات دليل التعليم بين المحافظات الحضرية عنها بين محافظات الوجه البحرى وكذلك بين محافظات الوجه القبلى. ويوضح ذلك أن المدى المطلق (أى الفرق بين أعلى قيمة أو أقل قيمة) لدليل التعليم داخل كل من هذه المجموعات الثلاث يبلغ ٠,٠٢٤ ، ٠,١٢٦ ، ٠,٢٥٧ على التوالى. وهذا معناه عجز نسبة ليست بالقليلة من أفراد الشعب عن ملاحقة التغيرات السريعة فى المجتمع، وهذا فى حد ذاته انتفاء لتكافؤ الفرص فى مجتمع واحد يتعلم أفرادُه تعليماً عادياً، ويتعلم البعض الآخر تعليماً متميزاً، وتبقى الغالبية محرومة من حق إنسانى كفلته المواثيق والدساتير العالمية والمحلية.

معدلات النجاح: تمثل معدلات النجاح فى الامتحانات، أهمية كبرى فى تحديد نسبة التلاميذ الذين كافحوا من أجل مواصلة تعليمهم وإتمامه بالنسبة لمرحلة التعليم الأساسى، وبعد ذلك إما أن يتركوا التعليم عند نهاية هذه المرحلة ويخرجون إلى العمل فى الحياة، وإما أن يبقوا ويواصلوا التعليم فى المرحلة التعليمية التالية.

ج. التكافؤ في التحرك المعهود في النظام التعليمي:

يعمل النظام التعليمي كآلية للاختيار الاجتماعي، حيث لا يتمكن الأطفال القادمون من خلفية فقيرة من التقدم نحو المراحل الأعلى أو إلى التعليم الثانوي العام الذي ينظر إليه عادة على أنه يؤدي طبيعياً إلى الجامعات، ويكون إتمام التعليم الأساسي حاسماً بالنسبة لكثير من الأطفال، فهم إما ينتقلون إلى مدارس الثانوي العام، أو يخرجون من النظام التعليمي، أو يلتحقون بالتعليم الثانوي الفني الذي لا يتيح آفاقاً واسعة للعمل، ويؤيد هذا الوضع البيانات الواردة في الجدول التالي:

جدول رقم (٦)
معدلات الاستمرار في التعليم قبل الجامعي عام ١٩٩٨ / ٩٧

المرحلة	عدد التلاميذ	% التعليم الأساسي = ١٠٠
ابتدائي	٧٤٩٩٧٣٩	١٠٠
إعدادي	٣٩٢٧٤٤٥	٥٢,٣
الثانوي العام	٩٠٩١٩٩	١٢,١
الثانوي الفني	١٨٠٨٠٠٨	٢٤,١

يتضح من الجدول رقم (٦) أنه برغم من أن عدداً أكبر من التلاميذ اتجهوا إلى الثانوي العام والثانوي الفني في عام ١٩٩٨ / ٩٧ فإن مجموعهم لا يزيد قليلاً عن ثلث من التحقوا بالتعليم الابتدائي ومما يدعو إلى مزيد من الإزعاج أن غالبية من اتجهوا إلى التعليم الثانوي (الثلاثين) وجدوا أنفسهم في المدارس الفنية بدون احتمال كبير للعثور على وظائف عند التخرج أو لمواصلة التعليم العالي. فالمهارات التي يجيدها الخريجون هي حاصل لمجموع إسهامات بيئة

المدرسة والمنزل معاً وإذا قامت المدرسة بنفس الجهد الموحد لكل الطلاب، فإن مهارات الخريجين سوف تبقى غير متكافئة، حيث تعكس الفروق بين البيئات الاقتصادية والاجتماعية التي تربي فيها الأطفال.

ومن هنا يتضح أن التعليم، بدلاً من أن يتجه إلى إحداث التوازن في المجتمع برفع مستوى الطبقات المحرومة وإنقاذها من الأمية وتهيئة فرص العمل، إذ به يقوم بالمحافظة على الوضع الطبقي والهيكل الاجتماعي الذي تفيد منه الطبقات المتسيدة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. فماذا عن موقع مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ضمن وثائق تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية؟

ثانياً: تكافؤ الفرص التعليمية ضمن وثائق تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية

أكدت المؤتمرات والمنظمات والهيئات الدولية مثل : مؤتمر التعليم للجميع بجومتين ١٩٩٠م والمؤتمر الخامس لتعليم الكبار في هامبورج (١٩٩٧م) والمؤتمر الدولي في كوبنهاجن (١٩٩٨م) ، كما أكدت - أيضاً - المؤتمرات الإقليمية مثل : مؤتمر الإسكندرية السادس لتعليم الكبار وتحديات العصر (١٩٩٦م) والمؤتمر العربي الاقليمي حول التعليم للجميع بالقاهرة (٢٠٠٠م) والمؤتمر القومي لتطوير التعليم العالي بالقاهرة (٢٠٠٠م) كل هذه المؤتمرات أكدت على الدور التنموي للتربية ، فأصبح هناك اتفاق تام حول ضرورة أن يكون التعليم حقاً لكل فرد ، لا يصددهم عنه عجز مالي أو اجتماعي ، باعتباره من المكونات الجوهرية للتنمية البشرية.

ونظراً لأن تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية يتطلب أن يستفيد كل متعلم استفادة حقيقية من برامج التعليم التي تقدمها المدرسة، وتقديم كافة الخدمات

التعليمية، حتى يتمكن الطالب من تحقيق قدراته الذاتية، وتنمية الشخصية ورعايتها ومن ثم التخرج بنجاح"، حيث يركز هذا المفهوم على ضرورة الاهتمام بجودة التعليم، وتقديم برامج تعليمية حافزة وثرية، تتناسب مع قدرات التلاميذ ومواهبهم، واحتياجاتهم المتنوعة وذلك من أجل تحقيق أقصى درجات التنافس والتميز وهو الشق الثانى من تكافؤ الفرص التعليمية.

فإن ذلك يقتضى تفسير مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية فى ضوء حاجات البشر وظروفهم لكونهم إنسائين حيث يرى سعيد إسماعيل أن تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية لن يتحقق إلا " بتوفير فرص متكافئة ومستمرة لتعليم مجموع السكان، بأشكال مدرسية وغير مدرسية، وفى صيغ نظامية أو غير نظامية، تركز على قاعدة من التعليم الأساسية يتواءم مع البيئة الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، ويصبوا إلى تحقيق الأهداف العامة التى ترنوا إليها الأمة، وفى باحتياجات جميع أفرادها من غير تمييز.

وهنا يأخذ مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية شكلاً أشمل من مجرد توفير التعليم النظامى للجميع، فيؤكد هنا على التعليم المستمر، بجميع صيغ وأشكاله، ضماناً لتحقيق العدالة فى توزيع الفرص التعليمية، كذلك لم يغفل المفهوم الفئات المحرومة، والمهمشة، والتى لم تنل فرصتها من التعليم كشرط لازم لتحقيق التنمية بمختلف مجالاتها.

فبينما يواجه تفعيل الدور التتموى للتربية فى كافة المجتمعات النامية — قبل المتقدمة منها — بعثر ثورات يمكن أن تطبع التحول من العصر الصناعى الحديث إلى عصر جديد — عصر ما بعد الحداثة — سعت الحكومات والهيئات الدولية، لا سيما فى السنوات الأخيرة إلى مواجهة تلك الثورات من خلال تركيز جهودها على زيادة فرص التعليم، وفى هذا السياق كان الأمر يتعلق — بالنسبة

للمجتمعات النامية - ببلوغ هدف التعليم للجميع الذى حددته اليونسكو عام ١٩٩٩م. ولكن إلى أى مدى يسهم التعليم النظامى بجمهورية مصر العربية فى تحقيق هذا الهدف وبالتالي تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ؟ أو يمكن تحديد أبرز معالم واقع تكافؤ الفرص فى التعليم النظامى بجمهورية مصر العربية وذلك من خلال وثائق تطوير التعليم فى مصر على النحو التالى :

أ) معالم واقع تكافؤ الفرص فى التعليم النظامى بجمهورية مصر العربية؟

أكدت وثائق تطوير التعليم فى مصر بدءاً من وثيقة تطوير وتحديث التعليم فى مصر - سياسته وخطته وبرامجه تحقيقه (١٩٧٩م)، ومروراً بوثيقة السياسة التعليمية فى مصر (١٩٨٥م) ووثيقة استراتيجية تطوير التعليم فى مصر (١٩٨٧م)، فوثيقة تطوير التعليم فى مصر : سياسته واستراتيجيته وخطة تنفيذه (١٩٨٩م) وحتى وثيقة استراتيجية تطوير التعليم (يوليو ١٩٩٢م) والتى جاءت تحت عنوان مبارك والتعليم . أكدت جميعاً - على الترتيب - على وجوب :

٥الارتفاع التدريجى بقدرة النظام التعليمى على الاستيعاب دعماً لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

٥زيادة فاعلية ديمقراطية التعليم بتحقيق الاستيعاب الكامل والقضاء على التسرب.

٥عدم المساس بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية كحق دستورى.

٥التمسك بمبدأ تحقيق الفرص التعليمية والعمل على تحقيقه فى أنقى وأرقى صورته.

٥التركيز على تكافؤ الفرص التعليمية كمبدأ من مبادئ السياسة التعليمية الجديدة.

وبنظرة أولية. لما أكدت عليه الاستراتيجيات الخمس السابقة — والتي صيغت لتطوير التعليم المصرى على مدى قرابة أربعة عشر عاما متتالية — يمكن الوقوف على أبرز ما انتاب تلك الاستراتيجيات من معالم قصور أهمها :

• أن معظم برامج وثائق تطوير وتحديث التعليم فى مصر لم تنفذ ولم تجد تطبيقا لها فى الواقع العملى.

• أن وثيقة تطوير السياسة التعليمية فى مصر (١٩٨٥ م) مع تضمينها لبرامج تنفيذية لتحقيق أهدافها ، لم يمض عليها أكثر من شهرين حتى استقالت الوزارة ، وشكلت وزارة جديدة فى سبتمبر ١٩٨٥ م وتم تغيير وزير التعليم ، فصاحب ذلك تعطيل العمل بهذه الوثيقة.

• ما عبرت به استراتيجية تطوير التعليم فى مصر (١٩٨٧ م) عما يعانى منه النظام التعليمى من غياب فلسفة واضحة وإطار قومى ، بجانب القصور فى الوفاء بالحقوق الدستورية ومنها حق تكافؤ الفرص التعليمية.

• التساؤل الذى قدمته وثيقة تطوير التعليم فى مصر (١٩٨٩ م) .

هو الذى مفاده : كيف سيتم تحقيق ديمقراطية التعليم فى ظل غياب مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

• ما قررته استراتيجية تطوير التعليم فى مصر (١٩٩٢ م) من التأكيد على أنه طالما أن التعليم أصبح من وجهة النظر السياسية قضية أمن قومى فلا بد من ترجمة ذلك فى الواقع ، وذلك : بوضع التعليم ضمن أولويات الأمن القومى والاهتمام بالتربية الخاصة بالمعوقين والحد من مشكلة الأمية كسبيل لتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية.

وبينما أظهرت النظرة الأولية ما انتاب استراتيجيات تطوير التعليم فى مصر من معالم قصور أظهرت النظرة التحليلية لواقع التعليم النظامى أن : هذا النمط التعليمى بهيئته ومحتواه وطرائقه الحالية يعمل وفق قواعد جامدة لا تتفق ومتطلبات المجتمع، وكان محصلة هذا كله كما من المشكلات ارتبطت ارتباطا وثيقا بعدم قدرته على تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، ومن هذه المشكلات :

(١) تهميش التعليم النظامى ضد المعوقين. أصبحت قضية المعوقين قضية حقوق

نصت عليها الأديان السماوية وأقرتها المنظمات الدولية وشملتها دساتير الدول لكونها تخص شريحة من المجتمع تقدرها المنظمات الدولية المتخصصة بـ ١٠% من السكان. وتعد هذه النسبة — جد — خطيرة خاصة إذا أدركنا أن عدد سكان مصر عام ٢٠٠١م يقترب من ٦٨ مليون نسمة ومع ذلك فالمنتفع للسياسة التعليمية الخاصة بالمعوقين فى جمهورية مصر العربية يلاحظ الكثير من معالم القصور التى تنتاب الواقع التنفيذى لإجراءات هذه السياسة أهمها .

أن التربية الخاصة فى مصر قاصرة على كل من : فئات الصم فى مدارس الأمل ، المكفوفين فى مدارس النور ، والمتخلفين عقليا فى مدارس التربية الفكرية ، وهذه المدارس الخاصة موزعة على ٢٦ محافظة فقط من محافظات مصر ، كما أن تلك المدارس متمركزة فى عواصم المحافظات ، مما يضطر الطفل المعوق إلى الانتقال من القرى إلى عواصم المحافظات حتى يجد المدرسة التى تتناسب مع طبيعة إعاقته وهذا الوضع يمثل صورة من صور عدم التكافؤ للفرص التعليمية للأطفال المعوقين فى البيئات المختلفة.

عجز السياسة التعليمية عن تحقيق الاستيعاب الكامل للمعوقين ، فنسبة استيعاب مدارس التربية الخاصة لإجمالي فئاتهم لا يتعدى ٠,٥ % من العدد الكلى لهؤلاء المعوقين.

المناهج الدراسية غير مناسبة وطبيعة الإعاقة بجانب قصور الوسائل والمعينات التعليمية بمدارس وفصول التربية الخاصة رغم أهميتها القصوى لتعليم المعوقين.

القصور الواضح فى نظام إعداد معلم الفئات الخاصة ، مع عدم قدرة العاملين بالمدارس الخاصة - معتمدين ومعاونين ومستخدمين - على تسيير العملية بتلك المدارس بنجاح.

عجز الرعاية النفسية عن توفير الخدمات النفسية بالمدارس الخاصة بالمعوقين ، إذ تبلغ نسبة الاختصاصيين النفسيين إلى عدد التلاميذ المعوقين ١ : ٧٦ (١٩٩٧ م) ، وهذه النسبة تعد ضئيلة للغاية بالنسبة للدور الكبير والفعال الذى يقوم به الاختصاصى النفسى مع الطفل المعوق.

يشير المدى الزمنى للسلم التعليمى لمدارس المعوقين إلى عدم إتاحة الفرص المتكافئة فى التعليم تبعا لقدراتهم وامكانياتهم ، ففى الوقت الذى يوفر للمعوق بصريا الفرص التعليمية التى تمكنه من مواصلة تعليمه العام والعالى لا يوجد للمعوق سمعيا سوى تعليم ابتدائى مدته ٨ سنوات ثم تعليم إعدادى مهنى لمدة ثلاث سنوات فتعليميا فنيا ثانويا لمدة ثلاث سنوات ، أما المعوق عقليا فلا يتاح له سوى تعليم ابتدائيا لمدة ٦ سنوات بعد فترة تهيئة لمدة عامين ثم تعليم إعداديا مهنيا لمدة ثلاث سنوات فحسب ، أما الأطفال متعدّدوا الإعاقة فلم تتضمن اللاحة التنظيمية مدارس أو سلما تعليميا لقبولهم وتعليمهم .

كما تزال حلقة التشغيل والإدماج الاجتماعي من أضعف الحلقات في سلسلة الاحتياجات الأساسية للمعوقين ، ورغم التشريعات القائمة والتي تنص على تشغيل نسبة ٥% من المعوقين في الأجهزة الحكومية والمؤسسات الأهلية، إلا أن تفعيل تلك التشريعات والتقبل الاجتماعي لتشغيل المعوقين لدى هذه المؤسسات مازال شعار كثير من التساؤلات حول الفاعلية والجدوى الاقتصادية لتشغيلهم.

(٣) تحيز التعليم النظامي لجانب الذكور مقارنة بالإناث. يظل مبدأ الحقوق

المتساوية للالتحاق بالتعليم لكل من البنين والبنات هدفا بعيد المنال، فكافة المؤشرات العالمية توضح تفاوتاً مستمراً ، ففي عام ١٩٩٠م بلغت نسبة الإناث ٧٠% من عدد الأطفال الذين لم يلتحقوا بالتعليم الأساسي والثانوي (١٩٩٢م)، وبالنسبة للأمم فإن الوضع أكثر سوءاً فمن بين ٩٦٠ مليون أمي، هناك ٧٠٠ مليون فتاة (١٩٩١م).

وعلى الرغم من تأكيد جميع القرارات والمواثيق الدولية — كوثيقة اليونسكو من أجل المؤتمر العالمي الرابع للمرأة ببيكين عام ١٩٩٥م وتقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين عام ١٩٩٦م على "حتمية القضاء على جميع أشكال التحيز ضد المرأة" على اعتبار أن عدم تكافؤ الفرص التعليمية بين الجنسين يمثل تحدياً لمفهومى العدالة والتنمية ، فإن كثيراً من معالم القصور تنتاب الواقع الفعلي لتعليم المرأة في المجتمع المصري. أهمها :

مشتير الإحصاءات إلى انخفاض في معدل الفتيات في جميع مراحل التعليم النظامي عن نظرائهن من الذكور ، فهناك فجوة بين استيعاب البنين والبنات في المرحلة الابتدائية بلغت — على الترتيب — ٧٣ر٧٧% ، ٧٥ر٧٣% في العام الدراسي ١٩٩٨/٩٧ ، كما بلغت نسبة أعداد



الطلاب - بنين ، بنات - فى المرحلة الابتدائية فى ذات العام الدراسى
 ٤٤ر٥٤% ، ٤٥ر٦٤% على الترتيب ، وفى المرحلة الإعدادية
 ٥٣ر٥٣% للبنين ، ٤٦ر٧٤% للبنات.

صاحب هذا التفاوت البين فى نسب الاستيعاب وأعداد الطلاب بين الذكور
 والإناث ارتفاع نسبة أمية الإناث إلى ضعف النسبة العامة للذكور ،
 فبينما تبلغ نسبة الأمية بين الإناث ٤٤ر٧٤% تصل هذه النسبة بين
 الذكور إلى ٢٢ر٥٠%.

صنّج عن هذا التفاوت فى نسب الاستيعاب بين الذكور والإناث ، ارتفاع
 نسبة الذكور الحاصلين على الشهادة الابتدائية وكذا الحاصلين على
 مؤهل متوسط وفوق المتوسط عن الإناث الحاصلين على الشهادة
 الابتدائية ١٠ر١٦% : ٨٣ر٤٤% وكذا الإناث الحاصلين على مؤهل
 متوسط وفوق المتوسط حيث تبلغ هذه النسبة على الترتيب ٣٠ر٧٥% ،
 ٢٢ر٩٢%.

صنّرتب على هذا التفاوت فى نسب الاستيعاب بين الذكور والإناث وأعدادهم
 - أيضا - ارتفاع نسبة الحاصلين على مؤهل جامعى عن الإناث ،
 حيث بلغت هذه النسبة - على الترتيب - ٧٤ر٥٠% ، ٣٠ر٨٩%.

(٣) تحيز التعليم النظامى ضد الفقراء والمحرومين والمهمشين . يعتبر الفقر

الذى يعانى منه بعض أطفال المجتمع المصرى من المعوقات الأساسية فى
 التحاقهم بالتعليم ، فتكاليف التعليم بالنسبة للعديد من الأسر - مثل
 المصروفات المدرسية - الزى الرسمى المدرسى - والأدوات المدرسية
 والكتب والانتقالات والدروس الخصوصية - تتجاوز ببساطة إمكانياتهم ،
 وحتى عندما يتم توفير التعليم بالمجان وبشكل كامل فإن الخسارة

المحتملة لما يمكن أن يكسبه الطفل من دخل بسبب تواجده في المدرسة — تكلفة الفرصة البديلة — يجعل من التحاقه بها أمرا غير اقتصادي بالنسبة له ولأسرته وبخاصة من سكان الريف والبادية والمناطق العشوائية — المحرومين والمهمشين — ويمكن إبراز أهم معالم القصور التي تنتاب واقع تعليم الفقراء والمهمشين من أبناء المجتمع المصري والتي تحد بدورها من تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بين الأغنياء والفقراء من أبناء هذا المجتمع في :

يشير تقرير التنمية البشرية إلى أن التعليم الأساسي في مصر في تدهور مستمر ، كما أن الأمية ترتفع بين الفئات الضعيفة اجتماعيا كالنساء والفقراء والمحرومين ويضيف التقرير أن ثمة دلائل تؤكد على أن عوائد التعليم في مصر سلبية بصفة عامة، وبصفة خاصة بين الفقراء، حيث أن فرص وصولهم إلى التعليم متدنية منذ البداية.

تظهر الدراسات التطبيقية (٥٣ ، ٧٢) أن الفقر يؤثر تأثيرا بالغا على تكافؤ الفرص التعليمية وأن الأغنياء يحصلون على الفرص التعليمية الأفضل سواء من حيث المراحل التعليمية التي يمكن أن يصلوا إليها أو نوعية التعليم التي حصلوا عليه ، كما أن التفاوت في الفرص التعليمية ليس من اختيار الفقراء ولكنه هو اختيار للأغنياء فحسب.

سأن كيف الفرص التعليمية التي يحصل عليها أبناء الأغنياء — بالتحاقهم بالمدارس الخاصة بالمصروفات ومدارس اللغات — متفوق على الفرص التعليمية التي يحصل عليها أبناء الفقراء والذين — في الغالب — يلتحقون بالمدارس المجانية الحكومية ذات الإمكانيات البشرية والمادية المحدودة إذا ما قورنت بإمكانات مدارس اللغات والمدارس الخاصة.

يوجد العديد من المناطق الريفية والساحلية والنائية ذات التجمعات الصغيرة من السكان لا يوجد بها مدارس ابتدائية وإعدادية أو غيرها، مما يحول دون التحاق الأطفال بتلك المناطق بأى نوع من التعليم ، وإذا أرادوا التعليم فعليهم أن يسيروا المسافات بعيدة ، ويغد هذا بدوره عائقا دون الالتحاق بالتعليم، وعلى الأخص الأبناء الفقراء والبنات منهم بصفة خاصة.

أكدت الإحصاءات أن الفرص التعليمية غير متكافئة بين الريف والحضر، حيث يتجه معظمها نحو الحضر. وقد أدى هذا وترتب عليه :

- ٠ ارتفاع نسبة الأمية فى الإناث فى ريف المحافظات ، حيث بلغت فى ريف الوجه القبلى (٧٩%) ، وفى ريف الوجه البحرى (٦٩%) بينما بلغت هذه النسبة فى حضر بعض المحافظات (٣١%).
- ٠ نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية بين الريف والحضر ١٧ر٦٨% ، ١٩ر٦١% ونسبة الحاصلين على المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة ٤٢ر٦٢% فى الريف ، ٦٧ر٥% فى الحضر بينما نسبة الحاصلين على مؤهل جامعى ٤٨ر٤% ، ١٩ر٧٨% على الترتيب.

٢) ضعف الطاقة الاستيعابية للتعليم النظامى. حيث تواجه أنظمة التعليم

الرسمى فى مصر تحديات وصعوبات متنامية ، مبعثها عدم قدرة هذا النظام على الاستجابة للطلب الاجتماعى المتزايد على هذا النوع من التعليم وحيال ذلك تشير الاحصاءات الرسمية إلى :

أن حوالى ٢٥% من الأطفال الملزمين لم يلتحقوا بالتعليم الابتدائى بعد، حيث بلغت نسبة الإستيعاب فى المرحلة الابتدائية فى العام الدراسى

١٩٩٨/٩٧م حوالى ٨٠٪ ، ومن الطبيعى أن يمثل هؤلاء — غير المستوعبين — أحد الروافد الرئيسة للامية فى مصر..

تتبلغ نسبة الاستيعاب فى التعليم الجامعى والعالى فى العام الجامعى ١٩٩٨/٩٧م ٣٤٪ من شريحة السكان التى تتراوح أعمارهم بين ١٨ — ٢٣ عاما. وهذه النسبة تقل عن النسب المناظرة لها فى الدول المتقدمة والتى تصل إلى ٦٠٪.

تضعف القدرة الاستيعابية لمؤسسات التعليم الجامعى والعالى وقصورها دون توفير جامعة واحدة لكل ٣ مليون مواطن — وإن كان معلوما أن المتوسط العالمى حاليا هو جامعة لكل ٢ مليون مواطن شريطة ألا يزيد عدد طلابها عن ٥٠ ألف طالب — بالرغم من الزيادة الظاهرية فى ميزانية التعليم الجامعى إلا أن هذه الزيادة لم تكن للإرتقاء بجودة التعليم الجامعى وإنما تم استيعاب تلك الزيادة للإتفاق على الأجور والمرتبات وارتفاع الأسعار وبالتالي تكلفة إنشاء الوحدات.

(٥) ضعف جودة التعليم النظامى : يقرر واقع التعليم النظامى بأن العلاقة بين

الخطاب التربوى الرسمى وترجمته إلى واقع ما زالت — فى أغلب الأحيان — علاقة شكلية ، فكثير من استراتيجيات تطوير التعليم وتوصيات المؤتمرات واللجان — وهى توصيات معادة ومكررة — لا توضح الأسباب والعوامل التى أدت إلى تراكم استمرار الخلل فى التعليم، كما أن التعليم يعانى منذ أكثر من مائة عام من مشكلات خطيرة كمشكلة الدروس الخصوصية وقصور الطاقة الاستيعابية وعدم كفاية مؤسسات التعليم النظامى كميا وكيفيا بجانب التسرب من المدارس وما صاحبه من تزايد أعداد الأميين. ومع معاناة التعليم من هذه المشكلات منذ ما يزيد عن مائة

عام إلا أنها تراكمت بلا حلول مناسبة حتى صارت عبئا ثقيلا على كيان التعليم فأضعفت جودته مما حال دون تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية ومما يؤكد ذلك :

تقليدية النظام التعليمي وعدم مواكبته لمتغيرات العصر، مما زاد من عزلة المدرسة عن المجتمع وانفصالها عن دنيا العمل، بجانب إخفاقه في إكساب التلاميذ للقدرة على التعليم الذاتي والتعامل مع المستجدات التكنولوجية.

عدم استقرار السياسة التعليمية وافتقارها إلى فلسفة واضحة المعالم ومما صاحب ذلك من تدهور لمكونات العملية التعليمية من : إعداد معاصر للمعلم، وإدارة رشيدة وعجز في الموارد المالية والأبنية المدرسية ، بجانب غياب البعد المستقبلي لمناهجنا التعليمية.

تدنى كفاءة وفعالية التعليم الجامعي والعالي وعدم ملائمة مخرجاته لمتطلبات سوق العمل وبالتالي عدم استيعاب سوق العمل لتلك المخرجات.

زيادة الكثافة الطلابية بالجامعات عن المعدلات المناسبة للتحصيل الأمثل في ضوء إمكانات الجامعات وكلياتها المختلفة من قاعات ومعامل ومدرجات ومعينات ومكتبات وأعضاء هيئة التدريس.

٢) تعقيب تحليلي ناقد: باستقراء المعالم الرئيسة لواقع تكافؤ الفرص التعليمية على صعيد جمهورية مصر العربية؛ يتضح جليا أن التربية - بشكلها التقليدي - غير قادرة على توفير " التعليم للجميع " ولعل ما يدعم ذلك ويؤكدده المؤشرات الكمية والكيفية التالية:

١. - أن سكان المناطق العشوائية يعانون من مشكلات تعليمية كثيرة من أهمها : انخفاض المستوى التعليمي وانخفاض نسبة من يستطيعون



الوصول إلى التعليم العالي، حيث أظهرت الدراسة أن نسبة الأميين ٢٢% ومن يقرأ ويكتب ٩٥% والمتحقيين بالتعليم الإعدادي ٩% ودبلوم متوسط ٣٣% وفوق المتوسط ١٥% ومؤهل عال ١١% وأوصت ذات الدراسة بضرورة العمل على حل مشكلات المناطق العشوائية دون الاعتماد الكلى على المجهودات الحكومية.

٢. أن نسبة الأمية بين الإناث أعلى من نسبتها بين الذكور ، وكذلك نسبة الذكور في التعليم الأساسى أعلى من نسبة الإناث. وأكدت ذات الدراسة على أن الأمية ظاهرة ريفية بشكل أساسى. وهذا معلم من معالم عدم تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية.

٣. أنه رغم أن القطاع الريفى هو مصدر المنتجات الزراعية والغذائية وأغلب العمالة، إلا أن كثافة الفصل الدراسى تصل إلى ٤٧ تلميذا فأكثر بجانب عدم استيعاب جميع من هم فى سن الإلزام ، ويترتب على هذا ارتفاع نسبة الأمية. هذا بالإضافة إلى حرمان بعض القرى — حتى — من المدارس الابتدائية. وانتهت الدراسة إلى التأكيد على ما يعانيه الريف المصرى من حرمان تعليمى، مما يظهر عدم تكافؤ الفرص التعليمية بين الحضر والريف حتى على نطاق المحافظة الواحدة.

٤. أن أهم المشكلات التى تحد من تحقيق تكافؤ الفرص بالريف المصرى فى : اتجاهات الآباء نحو تعليم الأبناء لجهلهم بقيمة التعليم وتمركز أولوياتهم نحو الزراعة لتوفير ضروريات الحياة لا سيما فى ضوء صعوبة الظروف المعيشية الاقتصادية، وكبر أعداد أفراد الأسرة مما يؤدى إلى عدم إلحاق الأبناء بالتعليم أصلا أو تسربهم من المرحلة الأساسية بجانب الزواج

المبكر فى المناطق النائية والريف وبخاصة عند الإناث مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة الأمية وخاصة بين الإناث.

٥. أن مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بدأ يتآكل وذلك لتأثره الحاد بالطبقية فى المجتمع ، فالمدرسة لم تعد المؤسسة التربوية والتعليمية الوحيدة التى يمكن أن تقوم بالدور المنوط بها فى المجتمع فهى تقوم بغرس وبناء ثقافة الطبقات المهيمنة فى المجتمع ، وبدلاً من أن تساعد على تعظيم مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية والحراك الاجتماعى فإنها تساهم فى إعادة الإنتاج الاجتماعى القائم على تكريس دور الطبقات الغنية وسيطرتها على المجتمع، مما يستوجب بالضرورة أن تتجه الجهود — لا — لإصلاح التعليم وحده وإنما — كذلك — للتغيير والتطوير بما يخفف — إلى أدنى درجة ممكنة — من تلك المظاهر الصارخة بالظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقي الحاد الذى يبذر الأحقاد وينشر مظاهر التوتر والإحباط.

٦. أن أهم أسباب ارتفاع نسب الحرمان من التعليم النظامى فى المناطق العشوائية بالقاهرة والجيزة والقليوبية تمثلت فى : عدم كفاية مؤسسات التعليم النظامى كمياً وكيفياً أو الحرمان التام منها ، كما أن الحالة بالمدارس المتواجدة بتلك المناطق متردية ، هذا بجانب إحجام عدد كبير من الأطفال عن الالتحاق بتلك المدارس نظراً لبعدها عن الكتلة السكانية ونقص كفاءة التدريس وسوء التغذية. وهذا كفى لعدم تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بتلك المناطق.

٧. أنه رغم ضخامة الجهود التى تبذل حيال مشاريع محو الأمية وتعليم الكبار إلا أن هذه الجهود ليست كافية لاستيعاب المهمشين فى المجتمع المصرى مما يؤدى إلى إهدار كبير فى التنمية البشرية ، لذا أوصت ذات الدراسة

بضرورة الأخذ بالمفهوم الوظيفي لتعليم الكبار ، وتوظيف المفهوم الشامل للتنمية البشرية لمراعاة الحاجات الأساسية لفئة المهمشين.

٨. أن البيئة الثقافية — ممثلة في رأس المال الثقافي — وكذلك العلاقات والاتصالات الاجتماعية — ممثلة في رأس المال الاجتماعي — التي يمكن أن توفرها الأسرة لأبنائها تؤثر تأثيرا بالغا على مستوى تعليم الأبناء وإنجازهم التعليمي كما أنهما يمثلان عنصرين غير ماديين تقدمهما الأسر الغنية لأبنائها، ولهذا فإن رصيد الفقراء من هذين العنصرين يكون ضعيفا ، وبالتالي فهما يؤثران على تكافؤ الفرص التعليمية.

٩. يحدد الفقر الطبقة التي ينتمي إليها الفرد ومن ثم يؤثر على تحديد المستوى التعليمي الذي يمكن أن يصل إليه ، فقد اتضح أن معظم الفقراء لا يصلون إلى مراحل التعليم العليا وربما تكتفى الأغلبية منهم بإنهاء مرحلة التعليم المتوسط ، كما أن من يصل منهم إلى التعليم الجامعي فإنهم يلتحقون بكليات دون كليات القمة مثل الآداب والعلوم. وهذا معلم آخر من معالم عدم تحقيق الفرص التعليمية.

١٠. ترتفع نسبة الأمية بين الفقراء مما يؤدي إلى ما يسمى بالفقر التعليمي وهذا معلم من معالم عدم تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية.

١١. تضمن تقريراً للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء (٢٠٠٠ م) أن تعداد الأميين في المدن والحضر المصري حسب إحصاء (١٩٩٦ م) بلغ ٩٥٨ر٣٠٨ر٥ بينما بلغ تعدادهم حسب ذات الإحصاء في الريف المصري ٦٧ر٣٣٧ر١٢. أي أن عدد الأميين (١٠ سنوات فأكثر) في الريف أكبر من ضعف عددهم في الحضر. وهذا يعكس فقر الخدمات التعليمية التي تقدم لأبناء الريف المصري رغم تمثيلهم لغالبية السكان في مصر.

١٢. تضمن تقريراً إحصائياً للبنك الدولي (٢٠٠٠ م) أن نسبة الإنفاق على التعليم عام ١٩٩٥ م قد بلغت ٥٧% من إجمالي الناتج القومي وكانت هذه النسبة قد انخفضت إلى ٤٨% عام ١٩٩٦ م ، وبلغت نسبة صافي الالتحاق بالمرحلة الابتدائية - نسبة استيعاب الملزمين - عام ١٩٩٦ م ٩٣%.

١٣. كما أن هناك شبه اتفاق عام أبرزته : التقارير الدولية. كتقرير بول كيندى (١٩٩٣م) وتقرير جاك ديلور وآخرون (١٩٩٩ م) والدراسات التى قامت بها منظمة اليونسكو (١٩٩٥ م) وكذلك البنك الدولى (١٩٩٩ م)، على أن هناك بعض العوامل والمسببات التى أدت إلى تدهور أوضاع النظام التعليمى فى مصر ، فأصبح لا يفى إلا بقدر بسيط من الحاجات التعليمية ولا يوفر فرص التعليم بصورة متكافئة بين أفراد المجتمع. ومن أهم هذه العوامل والمسببات : ضعف الطاقة الاستيعابية وتحيز التعليم النظامى لجانب الذكور مقارنة بالإناث وتحيز التعليم ضد الفقراء والمحرومين بجانب ضعف جودة التعليم النظامى وتحيزه ضد المعوقين.

١٤. الأعداد الكبيرة للأميين على الرغم من الجهود المبذولة فى هذا المجال، فنسبة الأمية فى مصر طبقاً لإحصاءات ٢٠٠١ م (٢١٩%) وهى بين الذكور ٢١% وبين الإناث ٤٣% مما يتطلب جهوداً مضاعفة لتقليل هذه النسب إلى أدنى حد ممكن.

١٥. الأعداد الكبيرة من المنحدرين حديثاً من الأمية ، والذين يتسربون من التعليم النظامى أولئك الذين لم يتمكنوا من مواصلة التعليم بعد مرحلة التعليم الأساسى.

١٦. عجز التعليم النظامى عن استيعاب جميع الفئات العمرية لقصور قس طاقاته الاستيعابية بجانب وجود أعداد كبيرة من المتسربين.

١٧. عجز النظام التعليمى بصورته الحالية عن تحقيق التكامل بين التعليم النظامى وغير النظامى لعدم توفر المرونة فى مناهجه ولوائحه.

١٨. وجود أعداد هائلة من الشرائح السكانية المحرومة من الخدمة التعليمية - لعوامل اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية - وخاصة سكان المناطق النائية بالريف المصرى.

١٩. أن التعليم النظامى بصورته الراهنة لا يحقق تكافؤ الفرص التعليمية ، فهو تعليم : يعمل لصالح الأثرياء ، نمطى ، انغزالى ، تعليم قلة متحيز ضد الريف والمرأة والمعوق والفقير ، لا يراعى انعكاسات الثورة العلمية والتكنولوجية ". وتؤكد هذه الحقيقة ، ما أظهرته النظرة التحليلية لواقع التعليم النظامى من " أن هذا النمط بنيته ومحتواه ، وطرائقه الحالية يعمل وفق قواعد جامدة إلى حد بعيد ، لا تتفق ومتطلبات تنمية المجتمع وكان من محصلة هذا كله مجموعة من المشكلات ارتبطت ارتباطا وثيقا بعدم قدرته على تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية ".

عود على بدء ..

انطلاقا من الحقيقة السابقة والتي مؤداها " أن التعليم النظامى فى مصر لم ينجح بعد فى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية ". ودعمًا لديمقراطية التعليم التى تعد إحدى الأهداف الرئيسة التى يسعى النظام التعليمى إلى تحقيقها. وتفعيلا لأحد مبادئ ديمقراطية التعليم - ألا وهو مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية - وذلك بالابتعاد - ولو تدريجيا - عن تعليم النخبة والسعى - ولو تدريجيا - نحو تعليم الجميع. ونظرا لأن الدول تتقدم عن طريق التعليم ، حيث

يتأثر التقدم المجتمعي بنوعية التعليم وجودته كما تتأثر إنتاجية الفرد بمقدار التعليم الذى حصل عليه ونوعيته.

لذا فقد أصبح المجتمع المصرى بحاجة إلى نهج تعليمي:

سيحقق لكل فرد فى المجتمع مكانا سواء فى المدرسة أو فى أى نظام تعليمي مواز كتعليم الكبار ، لما لهذا النوع من أهمية فى إتاحة الفرص المتكافئة للتعليم وبصورة حقيقية وموسعة لتنوع مجالاته وأشكاله.

سيعالج ثغرات التعليم النظامي والتي تعوق القيام بمسئوليته لتوفير فرص التعليم للجميع وذلك عن طريق التعليم الموازي بأشكاله المتعددة.

سينظر إليه كنمط تعليمي غير تقليدي يقدم تعليما موازيا للتعليم الأساسي والثانوي وما بعد الثانوي وتعليم الكبار.

سيتيح الفرصة أمام كل من لم يوفق فى التعليم النظامي للالتحاق بأحد أشكال التعليم الموازي لتدريبه وإعداده للالتحاق ببعض ميادين العمل.

سيمنح الفرصة لكل من المتسربين من التعليم والمنقطعين عنه والذين لم تتح لهم فرصة الالتحاق بمؤسساته لمواصلة تعليمهم فى المراحل اللاحقة ، أملا فى تحسين مستوى معيشة الفرد والمجتمع.

سيؤيد من توعية الأهل – فى المناطق النائية بالريف المصرى – بأهمية تعليم الفتاة كأداة قوية لجذبهن إلى التعليم من خلال مراكز تعليم الكبار أو أحد أشكال التعليم الموازي الأخرى.

سأهمية التعليم الموازي فى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وذلك لما له من وظائف أهمها : أنه يدعم ويتم التعليم المدرسي ويحل محله فى أحيان كثيرة كما أنه يوفر فرصا تعليمية للذين لم يستكملوا التعليم فى مراحله الأولى أو الذين أخفقوا أو تسربوا منه. كما أنه يؤدي دورا

انخرطوا في سوق العمل ويرغبون في استكمال تعليمهم ، فماذا عن أشكال التعليم الموازي وأهم أنماطه ؟ ومدى طبيعة التعليم الجامعي الخاص كشكل من أشكال التعليم الموازي التابعة لوزارة التعليم العالي ؟

ولعل الإجابة عن تلك التساؤلات تدفعنا إلى تساؤل آخر ألا وهو : ما واقع التعليم الجامعي العالي بين تحديات العصر والمتغيرات المجتمعية ؟ وهذا هو موضوع الباب الثاني .

2000

1

1

الباب الثاني

التعليم الجامعي و العالي

بين تحديات العصر و المتغيرات المجتمعية

أولاً: تحديات العصر و التعليم الجامعي و العالي.

- التحديات الكمية.

- التحديات النوعية.

ثانياً: المتغيرات المجتمعية (المحلية) و إنشاء الجامعات الخاصة
بجمهورية مصر العربية.

- التحول الأيديولوجي - من الاشتراكية إلى الرأسمالية.

- تنامي الطلب الاجتماعي علي التعليم الجامعي و عوامله.

- أزمة تمويل التعليم الجامعي.

عود على بدء ..

29

29

29

الباب الثاني

التعليم الجامعي والعالي بين تحديات العصر والمتغيرات المجتمعية

مقدمة

تحتل الجامعة حيزاً كبيراً في هيكل المجتمع المعاصر ، بما تحمله من مواطن أساسية للعلم والفكر ، ومراكز الثقافة والمثقفين ، إذ تتلاقح فيها الأفكار وتنفذ المناظرات ، وتكتشف الابتكارات والاختراعات .

وفي ظل المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، التي طرأت مؤخراً والتي انعكست آثارها على التعليم العالي ، كان لابد للجامعة أن تتكيف مع الواقع وتتطور مع أحداث هذه المتغيرات ، إلا أن الدور المتغير لمؤسسات التعليم العالي يدعو إلى القول بوجود تحديات - كمية ونوعية - تواجه هذه المؤسسات عالمياً تفت في عضدها ، وتقف حائلاً دون تقدمها، الأمر الذي بدأت معه الدول ومنها مصر - تتبنى أنماطاً جديدة من التعليم العالي ومنها " التعليم الجامعي الخاص " الذي ينبغي الاهتمام به وتوجيهه للمستقبل توجيهاً سليماً ، بوصفه وسيلة لمواجهة هذه التحديات .

و بينما يعيش العالم الآن - ونحن في بدايات الألفية الثالثة - حقبة جديدة مثيرة من التقدم الإنساني نتيجة للتطورات العلمية و التكنولوجيا المذهلة التي حدثت في القرن العشرين - و بصفة خاصة العقود الخمسة الأخيرة - في مجالات لم تسمع بها أذن ولا كانت تخطر على بال بشر: غزو الفضاء ، فيزياء الليزر الكيمياء الإحصائية ، طفل الأنابيب ، الهندسة الوراثية ، بنوك الأمشاج.

لقد تحول (العلم) إلى (قوة) قادرة على تغيير وجه الحياة على الأرض ، حتى صرنا نقرأ كثيراً عن مجموعة البلاد المتقدمة التي يتزعمها السبعة الكبار

والتي سموها - تأديبا معها ربما - بالبلاد النامية ... وبين المجموعتين تقع بلاد أخرى أقل تقدما أو أقل تخلفا ، وهما (أى المجموعتين) تقدم وتخلف فى الإمساك بناصية العلم ، وفى القدرة على تسخيرها لتحقيق أهداف المجتمع وتحقيق الازدهار على أرضه .

على ذلك وإذا كان مقياس التقدم والتخلف يتمثل فى مدى الإمساك بناصية العلم تلك وفى مدى القدرة على تسخيرها فلا بد أن يمسك بالزمام ناصية التعليم ألا وهى الجامعة .

فالجامعة هى البيئة التى يتحقق من خلالها أداء رسالة متميزة فى مجالات المعرفة والفكر وفى تكوين نخبة ثقافية من منظور ثقافة العصر واحتياجات المجتمع وتوجهاته ، كما أنها مركزا للبحث العلمى الخلاق يسهم فى إثراء المعرفة وتطويرها لحل مشكلات المجتمع والإسهام فى تنميته وتطويره .

ولكن بالنظر للمتغيرات المجتمعية التى طرأت مؤخرا ، والتى انعكس آثارها على التعليم العالى نجد أن الدور المتغير لمؤسسات التعليم العالى يدعو إلى القول بوجود تحديات تواجه هذا النوع من التعليم على الصعيد العالمى.

ويتعرض المجتمع المصرى - كبقية المجتمعات - لمتغيرات وتحديات فرضتها الظروف العالمية عليه ، وعلى رأس هذه المتغيرات العالمية " العولمة " بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبأدواتها من ثورات تكنولوجية ومعرفية واتصالات ، واقتصاد السوق ، وشركات متعددة الجنسية.

كما أن المجتمع المصرى قد تعرض لعدة تغيرات محلية : اجتماعية واقتصادية وتاريخية ، كان على رأسها التحول الأيديولوجى (من الاشتراكية إلى الرأسمالية) ، وتنامى الطلب الاجتماعى على التعليم والتعليم الجامعى تحديدا وتعد فترة تسعينيات القرن العشرين فترة حاسمة ، فى تاريخ التعليم الجامعى المصرى ، حيث شهدت توسعا وتنوعا كبيرا فيه . فمع بداية عام ١٩٩١م شهدت

ساحة التعليم الجامعي بداية التعليم الجامعي المفتوح ، وفي عام ١٩٩٣م الانتساب الموجه ، وفي عام ١٩٩٦م التعليم الجامعي الخاص ، وفي تلك الفترة بدأ إدخال أقسام التدريس بلغة أجنبية بالجامعات الحكومية .

ويرجع هذا التنوع في التعليم الجامعي إلى الاستجابة لاهتمامات واحتياجات الأفراد المتعددة ، والتكيف مع متغيرات تفرضها التطورات العالمية وظروف المجتمع . ذلك أن الدول عبر أرجاء العالم تلجأ إلى إعادة تنظيم نظم التعليم بها ، نظرا لأن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة تجرفها بقوة ، وينظر إلى التعليم في كل مكان باعتباره الطريقة الرئيسية لمنح الأفراد القدرة لمواجهة هذه التغيرات . ولذا جاء هذا الباب ليقف بالقارئ الكريم علي أبرز تحديات العصر وأهم المتغيرات العالمية والمحلية الكامنة وراء إنشاء الجامعات الخاصة المصرية. وذلك علي النحو التفصيلي التالي:

أولاً: تحديات العصر والتعليم الجامعي والعالي.

تشير كلمة التحدي إلى أزمة تنجم عن شئ جديد يأخذ صفة المعاصرة لحين ظهور غيره ، يولد الحاجة لدى المجتمع الذي يندفع بها نحو التغلب عليه ، وتتطلب تغييراً شاملاً في شتى مناحي الحياة وخاصة التربية ومناهجها .

ونظرا للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، التي طرأت مؤخراً والتي انعكست آثارها على التعليم العالي ، كان لابد للجامعة أن تتكيف مع الواقع وتتطور مع أحداث هذه المتغيرات . ورغم ما حققته البلاد العربية ومنها مصر من قفزات كمية ونوعية في مجال التعليم العالي وتوفير خدماته في زمن قصير نسبيا ، فإن الدور المتغير للجامعات ومؤسسات التعليم العالي كافة يدعو إلى القول بوجود تحديات تواجه التعليم العالي على المستوى العالمي. ومما يؤكد

ذلك الدراسة التي قام بها كل من: altbach , Philip , comport , Patricia , and Johnston , D . Bruce برصد الأدبيات التي نشرت على مدى ربع قرن في الفترة من (١٩٧٠ - ١٩٩٤) ، والتي تصف واقع التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه في أزمة ، وعند النظر في أنواع الأزمات التي تشير إليها هذه الأدبيات كانت الأزمة المالية في المرتبة الأولى تلتها أزمة ثقة المجتمع ثم أزمة المناهج وأزمة الجمود وأزمة التنوع وأزمة القيادة والإدارة والتنظيم

وبصفة عامة فقد لاحظ تقرير منظمة اليونسكو لعام ١٩٩٥ عن " التغيير والتطوير في مجال التعليم العالي " ، أن العالم في نهاية القرن العشرين شهد تطوراً غير مسبوق ووعياً متزايداً في جميع النواحي ، ومع ذلك فإن التعليم العالي في حالة أزمة في جميع أنحاء العالم ، فبالرغم من تزايد أعداد الطلبة ، فإن الدعم الذي ينال التعليم العالي يتناقص ، والفجوة بين الدول المتقدمة والنامية بخصوص واقع التعليم العالي والبحث العلمي في تزايد مخيف .

وقد لاحظت الوثيقة الوعي المتزايد بالأخطار الناتجة عن تبني المفاهيم والقيم المستوردة ، وإهمال الثقافة والفلسفة القومية والإقليمية والآثار السلبية لهذا الإهمال على التعليم .

وتلقت اليونسكو في هذه الوثيقة أيضاً انتباه الدول الأعضاء إلى أن " عملية العولمة " تتطلب بالإضافة إلى الخبرة في المهنة المتقدمة في مجال التعليم العالي وعياً على القضايا الاجتماعية والثقافية والبيئية .

ويلخص جيرولد آبس " التحديات التي تواجه التعليم العالي فيما يلي :

- ◆ النمو الكبير في أعداد الطلبة المسجلين بنسبة أعلى من نسبة نمو المصادر التمويلية .

- ♦ التمويل ومشكلاته .
- ♦ ظهور أفكار جديدة حول التعليم والتعلم بما فيها تلك الأفكار الناجمة عن أثر التكنولوجيا .
- ♦ التغيرات في المناهج .
- ♦ المنافسة بين الكليات والجامعات من جهة والمؤسسات البديلة من جهة أخرى .
- ♦ امكانيات التعاون .

وعلى أية حال فإن المشكلة السكانية وما يصاحبها من مشكلات تمويلية للتعليم - العالي تحديداً - وانخفاض القدرة الاستيعابية لمؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي تمثل حجر الزاوية في تحديات التعليم العالي وأزماته ، والتي تقف عائقاً أمام تحقيق الأهداف بكفاءة وفاعلية ، وبما يمكنها من تلبية احتياجات المجتمع العربي الآخذة في التطوير والتغير مع مرور الزمن .

وتأسيساً على ما سبق فإنه يمكن تقسيم تحديات العصر حيال التعليم العالي في البلاد العربية إلى قسمين : تحديات كمية ، وأخرى نوعية ، وذلك على النحو التالي :

أ: التحديات الكمية :

يمكن تناول هذا النوع من التحديات في صورتين هما : تحدى المشكلة السكانية مع تزايد الطلب على التعليم الجامعي ، وتحدي التمويل .

١. تحدي المشكلة السكانية وتزايد الطلب على التعليم الجامعي :

لقد شهد التعليم الجامعي في الوطن العربي توسعاً كمياً ملحوظاً ، سواء كان في مدخلاته أو مخرجاته ، وذلك في مقاومة منه لمواجهة مشكلة الانفجار

السكائى وما صاحبها من تنامى الطلب الاجتماعى عليه . وتؤكد الأبحاث والإحصائيات المتعلقة بهذا الموضوع أن هناك تطوراً كمياً ، حدث خلال الفترة من (١٩٦٠ - ٢٠٠٠ م) ، ومن المتوقع أن يزداد النمو الكمى لتلك المؤشرات خلال الفترة من (٢٠٠٠ - ٢٠١٥ م) ، ويتضح ذلك من خلال المؤشرات الستة التالية :

■ بالنسبة لمشكلة الانفجار السكائى ، فقد أدى هذا الانفجار بدوره إلى انفجار تعليمى ، حيث ارتفع معدل النمو السنوى فى عدد سكان الدول العربية خلال الفترة من ١٩٧٣م وحتى ١٩٩٦م إلى (٢,٧%) مما يضاعف عدد السكان خلال عقدين من الزمن ، ولذا فمن المتوقع أن يصل إلى (٤٠٠) مليون نسمة بحلول عام (٢٠١٠ م) ، وبناء على الافتراض الأكثر تواضعاً والذي يفترض أن معدل هذا النمو سيكون بحدود (٢,٢%) وذلك على أمل حدوث تغييرات وتحولات واسعة فى القيم والميول الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بمعدلات الإنجاب والخصوبة ومستويات المعيشة. بموجب هذا الافتراض سيبلغ عدد سكان الوطن العربى (٣٧٠,٦٥) مليون نسمة عام (٢٠١٥ م) ، ولأن الهيكل العمرى للسكان يمتاز بنسبة صغار السن ، إذ أن نصف السكان تقل أعمارهم عن (١٥) سنة ، فسيزداد عدد السكان فى الأعمار التعليمية إلى حوالى (٩٠) مليون نسمة عام (٢٠١٥ م).

وفى مصر فإن الزيادة السكائية تهدد بشكل صارخ كل جهود التنمية وتمثل تحدياً على أمن مصر القومى . وتشير الإحصاءات أن عدد السكان كان عام ١٩٨١م حوالى (٤٤) مليون نسمة ، ووصل إلى حوالى (٧٠) مليون نسمة عام ٢٠٠٣م ، بمعدل زيادة تصل إلى مليون وثلاثمائة ألف نسمة سنوياً ، ومن المتوقع أن يصل عدد السكان إلى حوالى (١٠٠) مليون نسمة عام ٢٠٢٥م .

ولأن قضية الزيادة السكانية ترتبط بزيادة أعداد الطلبة في كافة مراحل التعليم لذا سترتب على هذه الزيادة السكانية ضرورة التوسع في مؤسسات التعليم العالي - والجامعي تحديداً - لتلبية الطلب الاجتماعي المتزايد عليه وزيادة الإنفاق الجاري على التعليم في الوطن العربي، والذي سيبلغ في ضوء التقديرات السابقة حوالى (١٠٧) بليون دولاراً أمريكياً عام (٢٠١٥)، بعد أن كان (٦٠) بليون دولاراً في عام (٢٠٠٠ م).

١- ازدياد عدد الجامعات في الوطن العربي من (١٢) جامعة عام ١٩٤٥ إلى (١٣) جامعة عام ١٩٦٠م ثم إلى (٣٢) جامعة عام ١٩٦٩م . ووصل إلى (١٨٤) جامعة عام ١٩٩٦ منها (١٤٤) جامعة حكومية ، (٤٠) جامعة خاصة .

وجدير بالذكر أنه خلال عقد الثمانينيات أضيف للجامعات القائمة (٥١) جامعة جديدة بمعدل سنوى (٢٨,٦٥ %) ، واستمر النمو بمعدلات مشابهة في عقد التسعينيات ، كما استمر النمو والتوسع الداخلى للمؤسسات فزاد عدد الكليات في الجامعات حتى أصبح في العام ١٩٩٢م (٩٥٧) كلية .

وفى مصر وحدها بلغ عدد الجامعات فى العام ٢٠٠٤م (٢٠) جامعة تضم (٣٨٨) كلية ومعهد وبيئاتها كالاتي:

(١٢) جامعة حكومية بالإضافة إلى (٨) فروع للجامعات تضم ٢٧٧ كلية ومعهد. جامعة الأزهر الشريف وتضم (٦٠) كلية . الجامعة الأمريكية وتضم (٤) كليات . (٦) جامعات خاصة وتضم (٤٧) كلية .

▪ ارتفع عدد المقيدى من الطلبة فى التعليم الجامعى فى البلاد العربىة من (١٧٣) ألفا عام (١٩٦٠م) إلى (٤٠٠) ألفاً عام (١٩٧٠م) ، ثم إلى (١,٣) مليون طالباً وطالبة عام (١٩٨٠م) . وارتفع عام (١٩٨٨م) إلى

(٢,٣) مليوناً. حتى وصل إلى ثلاثة (٣) ملايين طالبا وطالبة عام (١٩٩٦م)
 (٣,٦) مليون في عام ١٩٩٨، ووصل هذا المؤشر إلى (٥,٩) ملايين طالبا
 وطالبة عام (٢٠٠٥ م) ، ومن المتوقع أن يصل هذا العدد إلى (٩,١) عام
 (٢٠١٠) ثم إلى (١٣,٥) مليون طالبا وطالبة في عام (٢٠١٥ م) كما هو
 موضح بالجدول التالي ، والذي يوضح أعداد السكان والطلبة في الوطن العربي
 في الفترة من ٢٠٠٠م - ٢٠٠٥م وتوقعاتهما في الفترة من ٢٠٠٥ - ٢٠١٥م
 بالملايين .

جدول (٧)

أعداد السكان والطلبة في الوطن العربي للفترة من ٢٠٠٠ - ٢٠٠٥
 بالملايين وتوقعاتهما في الفترة من ٢٠٠٥ - ٢٠١٥ بالملايين

السنة	عدد السكان	عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية	عدد تلاميذ المرحلة المتوسطة	عدد تلاميذ المرحلة الثانوية	إجمالي عدد التلاميذ	عدد الطلبة المقيدين في الجامعات
٢٠٠٠	٢٧٣,٣٨	٣٩,٢١	٢٣,٣١	٣,٧٢	٦٦,٢٤	٣,٨٥
٢٠٠٥	٣٠٣,٤٥	٤٢,٠١	٢٧,٨٦	٤,٣٣	٧٤,٢٠	٥,٩
٢٠١٠	٣٣٣,٥٢	٤٤,٨١	٣٢,٤١	٤,٩٤	٨٢,١٦	٩,١
٢٠١٥	٣٧٠,٦٥	٤٧,٦٢	٣٦,٩٧	٥,٥٥	٩٠,١٤	١٣,٥

وفي مصر تحديدا شهدت الجامعات تطورا ملحوظا في أعداد الطلبة المقيدين حيث
 ازدادت أعداد الطلاب المقيدين بالمرحلة الجامعية من (٥٠٨) ألف طالبا عام
 ١٩٨٢/٨١ إلى نحو (١,٢٥) مليون طالبا عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وذلك بنسبة
 زيادة قدرها (١٤٥ %) .

وزادت أعداد الطالبات المقيدات بنفس المرحلة من (١٧٢) ألف طالبة عام ٨١ / ١٩٨٢ إلى نحو (٦٢٨) ألف طالبة عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ ، وذلك بنسبة زيادة قدرها (٢٥٨ %) ، أى أن أعداد الطالبات فى عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ قد زادت أكثر من ثلاثة أمثال العدد المناظر لعام ٨١ / ١٩٨٢ ، وتجدر الإشارة إلى أن نسبة الطالبات المقيدات فى العام الجامعى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ بلغت (٥٠,٦ %) من إجمالى المقيدى بالجامعات ، وهذا يحدث لأول مرة فى تاريخ التعليم الجامعى فى مصر حيث تزيد نسبة الإناث عن الذكور .

وبطبيعة الحال فإن هذا التنامى فى أعداد الطلبة المقيدى بالجامعات المصرية " الحكومية " يمثل عبئا استيعابيا ضخما على هذه الجامعات ، التى باتت تعانى من اكتظاظ طلابى غير مسبوق ، فطبقا لإحصائية العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ بلغ أعداد الطلبة فى جامعة القاهرة (٢١٠,٨٣٢) طالبا وطالبة ، وفى جامعة عين شمس (١٦١,٧٦٨) ، وفى جامعة الإسكندرية (١٥٢,١٠٢) ، وفى جامعة طنطا (١١٢,١٧١) ، وفى جامعة المنصورة (١٠٧,٩٣١) طالبا وطالبة بينما يجب ألا تتجاوز الجامعة ثلاثين ألف طالبا وطالبة .

▪ ارتفع عدد أعضاء هيئة التدريس من (٩) آلاف عضو عام ١٩٦٠م إلى (٦٨) ألف عضوا عام ١٩٨٠م ، ثم إلى (١٠٨) ألف عضوا عام ١٩٨٥م ووصل إلى (١١٩) ألف عضوا منهم (٤٠ %) ماجستير (٦٠ %) دكتوراه عام ١٩٩٦م ، ووصلت حاجة الوطن العربى إلى (٢٥٠) ألف عضوا عام ٢٠٠٠م وفى مصر وحدها كان هناك ارتفاعا ملحوظا وجوهريا فى أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات حيث زادت أعدادهم إلى نحو (٣٧) ألف عضوا فى عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ مقابل (١١) ألف عضوا عام ٨١ / ١٩٨٢م وذلك بنسبة زيادة قدرها (٢٣٦ %) ، وتجدر الإشارة إلى أن أعداد معاونى هيئة التدريس بلغت نحو

(٢٢) ألف عضوا عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ مقابل (١٥) ألف عضوا عام ١٩٨٢ / ٨١ بنسبة زيادة قدرها (٤٧%).

ارتفع عدد الخريجين من (٣٩٠) ألف خريجا فى الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٥م وإلى (١,٣) مليون خريجا فى الفترة من ١٩٨٥ - ١٩٩٠م ، ثم إلى (٥,٢٤) مليون خريجا فى الفترة من ١٩٨٠ - ١٩٩٥.

وفى مصر كان من الطبيعى أن تؤدى زيادة أعداد الطلبة المقيدى بالجامعات إلى زيادة أعداد الخريجين ، والذين بلغت أعدادهم نحو (٢٢٦) ألف خريجا فى عام ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م مقابل (٨٢) ألف خريجا عام ١٩٨٢ / ٨١ بنسبة زيادة قدرها (١٧٥ %).

اختلال بنية التعليم العالى : فقد هيمنت أعداد الطلبة المقيدى فى المراحل النهائية (بكالوريوس / ليسانس) خلال الفترة من ١٩٨٠ - ١٩٩٦ على أعلى نسبة من مجموع طلبة التعليم العالى ، وبلغت فى معدلها (٨٠ %) وهى نسبة عالية جدا فى جميع المقاييس ، فى حين اقتصرت نسبة المقيدى فى الدراسات العليا (ماجستير / دكتوراه) على (٥ %) فقط ، وظل نصيب طلبة المعاهد المتوسطة حوالى (١٥ %) ، فى حين أن نسبة توزيع طلبة التعليم العالى فى معظم الدول الصناعية المتقدمة تشمل على (٥٥ %) للمقيدى فى المراحل النهائية، (١٧ %) للدراسات العليا ، (٢٨ %) لمرحلة المعاهد المتوسطة.

ويتضح من توزيع هذه النسب مدى الإقبال المتزايد على التعليم الجامعى فى البلاد العربية ، الأمر الذى يمثل تحديا كميا ، وعينا ثقيلًا على الجامعات العربية " الحكومية " التى تعجز بمفردها عن مواجهته وتلبيته .

٣.تحدي التمويل:

تواجه الأنظمة التعليمية فى جميع دول العالم تحديات كبيرة من أهمها توفير التمويل الكافى لتأمين التعليم المناسب لطلابه بالكم والنوع المناسبين ، والتعليم العالى هو أكثر مستويات التعليم كلفة حيث يشكل تمويله عبئا على ميزانيات الحكومات التى تدعمه مباشرة ، لأنه بطبعه مكلف بل وباهظ التكاليف لما يتطلبه من عناصر بشرية مكلفة وتجهيزات مادية مكلفة أيضا ، ولأن كل تقدير مالى فيه يترتب عليه تحديد لقدرته وكفاءته ونوعية خريجيه .

وتشير التوقعات إلى أن أزمة مالية ستواجه التعليم مستقبلا ، ذلك أن هناك عدة عوامل رئيسية سوف تؤثر بشدة على مستوى الإنفاق على التعليم بصفة عامة فى كل دولة ، ومن هذه العوامل :

- معدل النمو الاقتصادى المستقبلى لكل دولة .
- نصيب التعليم من إجمالى الدخل القومى .
- مسار سلوكيات نصيب الطالب من نفقة التعليم .
- قدر المعونة التعليمية التى تتلقاها الدولة من مصادر خارجية .
- الأولوية النسبية التى يعطيها شعب وقادة كل دولة للتعليم .

ويتفق التربويون والاقتصاديون على وجود أزمة مالية خطيرة تواجه مؤسسات التعليم العالى ، فبالرغم من ارتفاع ميزانيات التعليم العالى مقارنة بالمستويات الأخرى من التعليم ، فإنها لا تزال غير قادرة على مجابهة الطلب الاجتماعى الكبير نحوها ، ومقابلة التكاليف العالية له ، مما يضع حكومات الدول خاصة النامية - أمام ضغوط شديدة، أدت إلى تراجع كفاية التمويل الجامعى تحديدا . وفى البلاد العربية المعاصرة - ومنها مصر - أصبح التوسع فى التعليم العالى وازدياد احتياجاته المالية وغير المالية من السمات البارزة التى يترتب عليها الحاجة إلى مزيد من الأموال والطلب والضغط على الحكومات لمد التعليم العالى خاصة الجامعى بأموال أكثر ، من أجل توفير الاحتياجات المتزايدة ومتابعة

المسيرة ، مما دفع ببعض الحكومات إلى السماح بخصخصة هذا النوع من التعليم مع قيام الجامعات الحكومية واستمرارها ، حيث تتفاقم مشكلة التمويل مع مرور الزمن بفعل ما درج على تسميته بالانفجار السكاني الذي سبب بدوره الانفجار التعليمي والذي تمخضت عنه مشاكل عديدة جعلت التعليم العالي والجامعي تحديداً في أزمة بسبب تراجع كفاية تمويله والتي يمكن إرجاعها إلى عدة أسباب لعل أبرزها:

- الإقتصار على التمويل الحكومي للتعليم الجامعي في معظم الدول العربية والاعتماد عليه بشكل رئيسي في بقية هذه الدول.
 - الإقبال الشعبي على التعليم الجامعي وتضاعفه ودعم الحكومات له بسياسات التوسع فيه والمحافظة على مجانيته ، و تسهيل شروط القبول فيه.
 - مشروعات التطوير في التعليم الجامعي التي استدعت إضافة مبالغ كبيرة من الأموال إلى موازنة مؤسسات التعليم الجامعي.
 - التضخم و ارتفاع الأسعار ، و انخفاض القوة الشرائية لمعظم العائلات العربية بمبالغ أقل.
- وقد أدت العوامل السابقة إلى تناقص كفاية تمويل التعليم العالي ، و الجامعي تحديداً ، في الوطن العربي.

وبالنظر إلى الممارسات المعمول بها لتمويل التعليم في شتى دول العالم نجد أنها مصنفة إلى ثلاثة محاور هي : التمويل الحكومي ، التمويل غير الحكومي ، التمويل المشترك (حكومي - غير حكومي) ، ولعل هذا التقسيم ناجم عن طبيعة التعليم وخصائصه من المنظور الاقتصادي الذي يعتبر التعليم سلعة اقتصادية متوسطة أي أنها تتضمن من جهة بعض صفات السلعة الاقتصادية الخاصة (التي تتصف بظاهرة الاستهلاك الفردي ، وقابلية تقسيم الفوائد الناجمة

عن امتلاكها أو الاستثمار فيها) وتتضمن من جهة أخرى صفات السلعة الاقتصادية العامة (التى تتصف بظاهرة الاستهلاك الجماعى ، وصعوبة تقسيم الفوائد الناجمة عن امتلاكها واستثمارها) .

ب : التحديات النوعية

يمكن تحديد أهم التحديات النوعية التى تواجه التعليم العالى فى الوطن العربى:

١- ضعف التناسق والترابط بين سياسات التعليم العالى وبين مؤسسات التوظيف فى المؤسسات العامة والخاصة ، مما يؤدى إلى بروز ظاهرة البطالة المقتعة بين الخريجين . وذلك بسبب انعدام التوازن بين المعروض من القوى العاملة التى تخرجها الجامعات فى التخصصات المختلفة وبين المطلوب من هذه القوى لسوق العمل .

ومع أن متطلبات سوق العمل أصبحت متغيرة بفعل التقدم العلمى والتكنولوجى المتسارع ، إلا أن هناك زيادة فى نسبة الطلبة والخريجين فى التخصصات النظرية والإنسانية عن نسبتها فى الدراسات العلمية والتطبيقية فحسب بيانات اليونسكو تراجع عدد طلبة التخصصات العلمية والتكنولوجية من (٤١%) عام ١٩٨٠م إلى (٣٤%) عام ١٩٩٢م ، فى حين شكل عدد طلبة الفنون والآداب والعلوم الإنسانية (٦٦%) . وقد يرجع هذا إلى سياسات القبول بالجامعات التى تخضع أحيانا لضغوط اجتماعية واقتصادية وسياسية .

٢- تعتبر الجامعات العربية امتدادا للتقاليد الجامعية الأوروبية والأمريكية ، وتنقطع صلتها بالمجتمعات العربية وتقاليدها وثقافتها ، وتتفاعل مع الجامعات

الأجنبية ثقافيا وعلميا أكثر مما تفاعل مع بعضها بعضا ، وتستمد معظم تقاليدھا من فلسفات ونظم ميطرة على الجامعات الأجنبية .

٣- النمطية فى التخطيط والبرامج الدراسية ، ونظم قبول الطلبة ، ونظم التعيين والترقية لأعضاء هيئة التدريس ، ونظم التمويل والتكوين المعتمدة فى الجامعات العربية . بالإضافة إلى عدم التوازن فى الوظائف التى تقوم بها مؤسسات التعليم العالى حيث تركز على التدريس بينما البحث العلمى وخدمة المجتمع يحظى بدرجة أقل من الاهتمام. وقد ترتب على هذه الظاهرة التصلب والجمود والشكلية فى النظم والإجراءات.

٤- ضعف التمويل اللازم للجامعات ، والذى ترتب عليه عدم قدرتها على دفع مرتبات مجزية لأعضاء هيئة التدريس ، مما أدى إلى تدهور نوعية التدريس بشدة فى مؤسسات هذه المرحلة، لانصراف هؤلاء الأعضاء إلى تكريس معظم أوقاتهم لأعمال خارجية من أجل الحصول على أجر إضافى ، والذى أدى بالتالى إلى اتحدار مستوى خريجیها ، وعدم مسايرتها لمتطلبات العصر الحديث ، وعدم قدرتها على إعداد أجيال من الشباب القادر على المنافسة فى سوق العمل فى عصر العولمة ، والقادر على إنتاج المعرفة ، واستخدام المنتجات الحديثة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .

٥- ضعف أنشطة البحث العلمى التى تجرى فى إطار الجامعات العربية : إن العلم والبحث العلمى هما الطريق الوحيد لمواكبة روح العصر ، وإذا لم يتسلح الإنسان بالمعلومات والمعرفة التى تتسم بها الحضارة الجديدة التى نعيشها الآن ، سيتعرض لعدة ضغوط نفسية وفسولوجية ، لإخفاقه فى ملاحقة التغيرات السريعة التى تشنها تكنولوجيايات تتبدل وتتغير بإيقاعات سريعة ، تتجاوز قدراته على التلقى والاستيعاب ، كما سيواجه بكم هائل من الخيارات

التي تلقى عليه عبء الإلمام بها ، والانتفاء منها ، وإلا تعبرض للإحباط ،
الذى هو من أهم أسباب الغف والتخلف .

٦- وفيما يتعلق بخدمة المجتمع الذى يعد أحد أهم أهداف الجامعات ، فإنها تتخذ
طابعا شكليا ورمزيا نظرا لقلة الوعي والبعد السياسى والاجتماعى لدى
مؤسسات التعليم الجامعى ، كذلك بالنسبة لتنمية الاتجاه العقائدى الذى ينصب
فى مهام الجامعات من خلال محتويات المناهج ولغة التدريس فإن ذلك يكاد
يكون مفقودا ، إذا ما قورن بالجامعات الأوروبية والأمريكية التى تعتر بلغاتها
وثقافتها وتعمل على غرسها وتأكيداها فى مجتمعاتها .

٧- إهمال معايير الكفاءة والاقتدار والتميز فى اختيار القيادات التربوية الإدارية ،
فرغم أنه من المعلوم أن كفاءة التعليم رهن بكفاءة الإدارة التربوية ، والثانية
رهن بكفاءة إداريها وبقدرتها على التجديد والتطوير فى أساليب الإدارة . فإن
المعايير المستخدمة فى ذلك - فى بعض البلاد العربية - ليست بالضرورة
معايير أكاديمية بحتة ، كما أنها ليست بالكفاءة أو التميز ، وإنما تتدخل فى
ذلك مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والشخصية ، مما يترك
انعكاسا سلبيا على مضويات العاملين فى مؤسسات التعليم العالى وإنتاجهم
وعلى المناخ التنظيمى لهذه المؤسسات بوجه عام . وقد يرجع ذلك إلى بيرو
باثولوجية الإدارة Administrative Bureau Pathology حيث إن القوانين
التي تحكم المؤسسات التعليمية الجامعية هى فى الغالب قواتين صدرت منذ
فترة طويلة وعلى الرغم من تطوير بعضها ، فإن روحها بقيت على حالها
مقيدة للعمل وقائلة لأية مبادرات أو جهود تطويرية .

٨- ضعف التكامل والتنسيق بين الجامعات العربية ، فعلى الرغم من وجود
تنسيق بين الجامعات فى القطر الواحد من خلال الأجهزة المختصة ، ووجود

تنسيق على مستوى العالم العربي كله من خلال اتحاد الجامعات العربية ، فإن هذه الجهود لا تكفى لتحقيق صيغة فعالة من التنسيق تعمل على زيادة كفاءة التعليم العالي العربى وتساعد على حل مشكلاته .

٩- غياب نظم ومعايير تقييم الأداء لمؤسسات التعليم العالي لضمان جودة مخرجاتها ، حتى يتم الكشف عن جوانب القصور بها أو تدعيم إيجابياتها .
وجدير بالذكر أن الجامعات الأردنية تعد الجامعات الوحيدة فى العالم العربى التى تطبق معايير اعتماد عام وخاص، وترتبط هذه المعايير ارتباطا وثيقا بنوعية التعليم أو جودته . وفى مصر أعدت مؤسسات الدولة مشروعا بإنشاء هيئة مستقلة لتقويم الأداء ، غير أن هذا المشروع لم يخرج بعد إلى حيز التنفيذ .

وبعد

هذا العرض الموجز لأبرز التحديات المعاصرة التى تواجه التعليم الجامعي على الصعيدين الدولى و المحلي ؛ فقد أمكن إجمال أبرز تحديات التعليم الجامعي و أهم مشكلاته على الصعيد العربى و المصري (خاصة) فيما يلى :

- نقص الإمكانيات البشرية (أعضاء هيئة التدريس ، إداريون) التى تمكنها من استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة ، والناجمة عن مشكلة الانفجار السكاني وما صاحبها من تنامي الطلب الاجتماعى على التعليم بصفة عامة والجامعى تحديدا .

- نقص الإمكانيات المالية ، مما أدى إلى تخلف بعض الجامعات العربية عن مثيلاتها فى دول أخرى لديها إمكانيات التطوير والتحديث بحيث استطاعت مواكبة التطورات والمتغيرات التى طرأت على جميع مجالات الحياة .
- تتسم خطة ومناهج الدراسة فى كثير من الجامعات العربية بالتمطية وعدم المرونة ، مثل ضرورة تواجد الطالب فى قاعات المحاضرات بصورة

منتظمة ، واقتصار الدراسة الجامعية على فئة عمرية ثابتة غالبا (من سن ١٨ إلى ٢٣ سنة) ، بالإضافة إلى أن المقررات الدراسية غير مترابطة ، وغير مرتبطة بالبيئة ، في حين أن الكثير من الجامعات في الدول المتقدمة تأخذ بنظم الدراسات البيئية والدراسات متعددة التخصصات ، كما أن هذه المقررات غالبا لا تحفز الطلبة على التفكير العلمي والابتكارى .

- اعتماد مجموع درجات الطلبة في شهادة الثانوية العامة كمعيار وحيد وأساسى للقبول وتوزيع الطلبة على التخصصات .
- تدنى مستويات الأداء الجامعى ، فلازل الكثير من الجامعات العربية تعتمد فى أساليب التدريس بها على طريقة الإلقاء أو التلقين من جانب الأستاذ الجامعى ، واستقبال المعلومات وحفظها واستظهارها من جانب الطلبة ، ولعل ذلك بل من الطبيعى أن يؤدي إلى انخفاض الكفاءة الخارجية كأمـر حتمى لانخفاض مستوى الكفاءة الداخلية .
- افتقاد كثير من الجامعات العربية إلى نظم الاختبار والقياس والتقويم التى يستطيع بها الأستاذ الجامعى الحكم على مستوى استيعاب الطلبة ومدى استجابتهم وتفاعلهم مع المقررات الدراسية .
- تخصص كثير من الدول نسبة لا بأس بها من ميزانياتها لخدمة البحث العلمى الذى يتم غالبا فى الجامعات ومؤسسات البحث العلمى ، أما فى الدول العربية فلا نجد إلا نسبة ضئيلة جدا من ميزانية كل دولة لأغراض البحث العلمى ، وهذا فى حد ذاته يعطل خطط التنمية فى الدولة ، ويسبب قصورا فى مجالات البحث العلمى .
- الخصومة بين مؤسسات التعليم الجامعى ، ومؤسسات الإنتاج الحكومية والخاصة ، وبالتالي الخصومة بين البحث والتطوير ، فى الوقت الذى ارتبط

فيه التطوير بالبحث في العالم المتقدم ، وارتبطت الجامعات ومراكز الأبحاث بها بمؤسسات الإنتاج ، ولم يعد هناك بحثا بلا استخدام ، كما لم يعد هناك تطويرا بلا بحث .

▪ انخفاض الدخل المادي لأعضاء هيئة التدريس ، حيث لا يتناسب دخل العضو مع متطلباته الشخصية والأسرية والبحثية ، الأمر الذي يضطر الكثير منهم تحت ضغط الحاجة للبحث عن مصادر لتحسين الدخل وزيادته ، ويضطر الكثير منهم للعمل في أماكن ومؤسسات أخرى ، الأمر الذي يؤثر حتما على الأداء العام هنا وهناك .

▪ تتخذ وظيفة خدمة المجتمع في الجامعات العربية طابعا شكليا ورمزيا ، وأيضا تنمية الاتجاه العقائدي - الذي ينصب في مهام الجامعات من خلال محتويات المناهج ولغة التدريس - ، يكاد يكون مفقودا في الجامعات العربية ، وقد يرجع ذلك كله إلى قلة الوعي والبعد السياسي والاجتماعي لدى مؤسسات التعليم الجامعي .

▪ ضعف التكامل والتنسيق بين الجامعات العربية ، وغياب نظم ومعايير تقييم الأداء لمؤسسات التعليم العالي لضمان جودة مخرجاتها .

▪ اعتماد التعليم الجامعي في بعض الدول العربية على نظم التعليم الجامعي الأجنبية التي لا تتناسب في مضمونها مع اهتمامات وميول الطلبة في الدول العربية .

▪ تزايد أعداد الطلبة المتخرجين من الكليات النظرية في الجامعة ، مع حاجة المجتمع العربي إلى المتخرجين من الكليات العلمية لارتباط ذلك بحاجات ومتطلبات التنمية في هذا المجتمع .

▪ بيرو بانولوجية الإدارة ، ذلك أن القوانين التي تحكم المؤسسات التعليمية هي في الغالب القوانين التي تحكم الأداء الحكومي ، على الرغم من تطوير بعضها

إلا أن روحها بقيت على حالها مقيدة للعمل ، وقائلة لأية مبادرات أو جهود تطويرية .

وتأسيسا على ما سبق ، أصبح من الضروري البحث عن سبل وحلول لمواجهة بعض هذه التحديات ، وكان من هذه الحلول الأخذ بنظام الخصخصة في مجال التعليم الجامعي ، في صورة إنشاء جامعات خاصة ، حيث يعتبر نظام الخصخصة مخرجا من الأزمات التي تعاني منها كثير من نظم التعليم الجامعي التقليدية وبخاصة في الدول العربية .

ولكي لا يترك التعليم الجامعي يئن بسلبياته الخطيرة التي ترجع في أغلبها إلى انخفاض كفاية التمويل ، ومن منطلق أن التعليم من المنظور الاقتصادي إنما هو سلعة متوسطة ، فقد اتجهت بعض الحكومات العربية ومنها الحكومة المصرية إلى خصخصة التعليم الجامعي والسماح بإنشاء جامعات خاصة - بجانب الجامعات الحكومية - تخلق نوعا من التنافس مع القطاع العام وتتولى تحقيق ما عجزت عنه الجامعات الحكومية نتيجة تراجع مخصصاتها الحكومية أمام الازدياد المضطرد لأعداد الطلبة والتوسع المستمر في فتح البرامج والتخصصات الأكاديمية ، خاصة وأن ما عجزت عنه الجامعات الحكومية يمثل تحقيقه ضرورة حتمية - كإنشاء تخصصات غير نمطية - للتعامل والتعايش مع متغيرات ومتطلبات القرن الحالى ، قرن ثورات الاتصال والمعلوماتية والتكتلات الاقتصادية ولكن قبيل ذلك نتساءل عن الموجهات العامة (المتغيرات المجتمعية) وراء إنشاء الجامعات الخاصة على الصعيد المصري . وهذا هو موضوع المحور الثانى لهذا الفصل .

ثانيا : المتغيرات المجتمعية (المحلية) وإنشاء الجامعات الخاصة بمصر .

المجتمع منظومة متكاملة لا يمكن فصل جزء منه لبحثه وتحليله دون الأخذ بعين الاعتبار للأجزاء الأخرى ، فلا يمكن بحث التعليم أو اتخاذ قرارا بشأنه أو وضع أي تصور أو استشراف لمستقبله دون النظر في الجوانب الأخرى للمجتمع - الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية - فكل منها يؤدي دورا ينعكس على العملية التعليمية ومؤسساتها ، وبالتالي تنعكس آثار العملية التعليمية على الجوانب الأخرى للمجتمع ، أي أن كل أجزاء المجتمع تؤثر وتتأثر ببعضها البعض .

ولأن المجتمع المصري قد تعرض لتغيرات تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية على مر العصور - خاصة في القرن العشرين - فقد كان يترتب على هذه التغيرات في كل مرة إعادة هيكلة لهذا المجتمع في جميع جوانبه ، وقد ترتب على التغيرات السريعة والمتلاحقة في الربع الأخير من القرن العشرين نتائج واضحة على الحياة الاجتماعية ، والقيم ، والتعليم ومؤسساته في مصر ، والتي كان من بينها السماح بإنشاء جامعات خاصة بجانب الجامعات الحكومية وكان من أهم هذه المتغيرات - المحلية - التحول الأيديولوجي ، وتنامي الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي ، وأزمة تمويل التعليم الجامعي ، وفيما يلي تعريج على كل منها .

أ- التحول الأيديولوجي (من الاشتراكية إلى الرأسمالية) :

الأيديولوجية هي " نسق من الأفكار يقوم - في ارتكازه على نسق مقبول من القيم - بتحديد اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء الأغراض المبتغاة المتوقعة بتطور المجتمع ، أو الجماعات الاجتماعية أو الأفراد " . وبالتالي فلا يمكن عزل طابع السياسة التعليمية عن طابع السياسة العامة السائدة في الدولة ، حيث

ترتبط السياسة التعليمية بالسياسة العامة للدولة (التوجه الأيديولوجي) وتتأثر باتجاهاتها وتشريعاتها وأجهزتها المختلفة .

قبع الحرب العالمية الثانية وخلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ، ساد الاعتقاد بأن الدولة يجب أن يكون دورها مركزيا فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وذلك استنادا إلى الثقة بقدرتها على حسن تعبئة وتوزيع الموارد ، واعتقادا بأن الاستثمار العام والتخطيط المركزى أقدر على التعجيل بالنمو الاقتصادي ، وكان هذا التوجه يستند إلى الأيديولوجية الاشتراكية .

وبالنسبة للتعليم الجامعى ، فقد تدعم الاتجاه نحو سيطرة الدولة على الجامعات بنمو الفكر الاقتصادي الاشتراكي ، وقيام الدولة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الأخرى وخاصة الدول النامية - ومنها مصر - التى نظرت إلى مؤسسات التعليم جميعها ومنها الجامعات باعتبارها مشروعات حكومية تستهدف إنتاج المواطن الذي يؤمن بقيم مجتمعه الاشتراكي ، ويسهم فى إحداث التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المطلوبة .

وبعد سقوط الكتلة الاشتراكية عام ١٩٨٩م والذي تبعه سقوط الاتحاد السوفيتى ، وانهيار سور برلين. تهاوت النظم الاشتراكية فى أوروبا الشرقية وسادت بذلك الأيديولوجية الرأسمالية . ولم تكن مصر - والعالم الثالث عموما - ببعيد عن هذه المتغيرات والتحولات الأيديولوجية .

فمنذ قيام ثورة ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٧٠ كانت الأيديولوجية السائدة فى المجتمع المصرى هي الأيديولوجية الاشتراكية التى تقضى بإحكام سيطرة الدولة

على كل الأمور في كافة جوانب المجتمع . ولذا كان إسهام القطاع الخاص في عملية التنمية محدودا إلى درجة كبيرة في الفترة التي تلت قيام ثورة ١٩٥٢م ، وظل الوضع على ما هو عليه حتى منتصف سبعينيات القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩٧٤م ، حيث تحول المجتمع المصري اقتصاديا وسياسيا إلى نظام ليبرالي يأخذ بتنظيم الاقتصاد على أساس حر (سيادة اقتصاديات السوق) أو ما أطلق عليه وقتها بالانفتاح الاقتصادي . وصاحب ذلك بطبيعة الحال انضمام مصر إلى منظومة الدول الرأسمالية ، وكان هذا - الانفتاح الاقتصادي - يعنى ثلاثة أمور هي:

- ١ - فتح الباب أمام السلع والاستثمارات الأجنبية .
- ٢ - إطلاق حرية الاستهلاك والاستثمار للمصريين .
- ٣ - سحب الدولة يدها من مختلف صور التدخل في القرارات الفردية وتخليها التدريجي عن كثير من مسؤولياتها الاقتصادية والاجتماعية التي تحملتها في ستينيات القرن العشرين .

وكان للأخذ بهذه السياسة " الانفتاح الاقتصادي " عدة نتائج أثرت على الكيان الاقتصادي والاجتماعي في مصر ، والذي لا يمكن تجاهل أثرها على التعليم . والمتمثل في إعادة النظر في مسؤولية الدولة المطلقة عن التعليم وضرورة ترك جانب من شئونه للقطاع الخاص ، نتيجة لزيادة ديون مصر والتي هي محصلة السياسات الاقتصادية الجديدة . ومن هنا بدأت الفئات الاجتماعية القادرة نتيجة لعدم رضائها عن التعليم في المدارس الحكومية ذات المستوى المتدني في العدول عن إرسال أبنائها إليها ، وشرعت في استحداث نظامها

التعليمي الخاص الذي يتناسب مع توجهاتها وطموحاتها ، وكان من بين القنوات التعليمية التي طالبت بها تلك الفئات إنشاء جامعات خاصة مصرية يوكل إليها تعليم أبنائها. ذلك أن هذه الفئات استطاعت بما تملك من رأس مال - بعد اضمحلال دور رأس المال الوطني - أن يكون لها تواجد سياسى يمكنها من الضغط على القرار السياسى ، وقد يكون ذلك هو التفسير المنطقى لبعض مخاوف معارضى إنشاء الجامعات الخاصة المصرية .

ب- تنامي الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعى وعوامله :

ومن الملاحظ أن معظم المتغيرات والعوامل تعمل لصالح زيادة التدفق الطلابى نحو التعليم العالى ، ويمكن إرجاع تنامي الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعى فى مصر إلى عدة عوامل محلية من أهمها : الانفجار السكائى ، زيادة الطموح التعليمى ، السياسات الحاكمة للتعليم الثانوى العام والفنى ، التغير فى التركيب الاقتصادى ، التغير فى التركيب الوظيفى ، ارتفاع مستوى المعيشة . وفيما يلى نسلط الضوء على كل عامل من هذه العوامل الستة .

١. عامل الانفجار السكاني :

تعتبر الزيادة فى السكان عاملا أساسيا فى تنامي الطلب الاجتماعى على التعليم ، فمن المعلوم أن هناك زيادة سريعة فى السكان ، خصوصا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سواء بالنسبة للزيادة المطلقة فى أعداد السكان أو بالنسبة لمعدلات النمو ، ويظهر ذلك جليا فى الدول النامية ، أو الأقل تقدما .

ويعتبر النمو السكائى المتزايد من أكثر المظاهر المميزة للمجتمع المصرى ، ففي الفترة من (١٩٤٢ - ١٩٦١) زادت معدلات النمو الطبيعى للسكان من (٩,٤ فى الألف) عام ١٩٤٢م إلى (٢٦,٦ فى الألف) عام ١٩٥١م ثم إلى (٢٨ فى الألف) عام ١٩٦١ ، وقد نتج عن ذلك زيادة سريعة فى السكان فى الفترة من (١٩٣٧ - ١٩٦٠ م) ، فازداد سكان مصر من حوالى (١٦ مليون) نسمة إلى حوالى (٢٦ مليون نسمة) ، وبسبب ارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات خاصة بين الأطفال ، نتيجة الرعاية الصحية استمرت الزيادة لتصل إلى (٤٤ مليون) نسمة عام ١٩٨٢م ، ثم إلى حوالى (٥٠ مليون) نسمة عام ١٩٨٨ .

وفى عام ١٩٩٠م وصل عدد سكان مصر إلى (٥٦ مليون) نسمة ، وازداد بعد ذلك ليصل إلى حوالى (٦١,٥٠ مليون) نسمة فى عام ١٩٩٦م ، وبمعدل نمو سنوى مقداره (٢,٠٨ %) . ويبلغ إجمالى سكان مصر حالياً (٦٩,٩٩٧ مليون) نسمة . ويتوقع أن يصل عددهم إلى (٨٧,٧ مليون) نسمة فى عام ٢٠١٥م . وإلى ما يقرب من (١٠٠ مليون) نسمة فى عام ٢٠٢٥ . هذا ويمكن تخيل حجم مشكلة الزيادة السكانية إذا علمنا أن مصر تزيد حالياً بمعدل فرد كل (٢٤,٤ ثانية) .

وبالطبع فإن هذه الزيادة السكانية المستمرة مع التزام الدولة بتحقيق الإنزام حتى نهاية المرحلة المتوسطة ، يؤدى إلى زيادة فى الفرص المقدمة للتعليم الثانوى وما يتلوه من تعليم جامعى .

وتشير خصائص التوزيع الديموجرافى للسكان فى مصر -وفقاً لتعداد عام ١٩٩٦م - إلى أن نسبة عدد الأطفال الأقل من (٦ سنوات) تصل إلى (١٥,١ %) ، ومن (٦ إلى أقل من ١٠ سنوات) تصل إلى (٩,١ %) ، ومن

(١٠ إلى أقل من ١٥ سنة) تصل إلى (١٠,٧ %) ، ومن (١٥ إلى أقل من ٦٠ سنة) تصل إلى (٩,٩ %) . وفي ذلك إشارة إلى أن القاعدة العريضة من عدد السكان ممن هم في سن التعليم ، وهذا يوضح مدى التحدي الذي يواجهه المؤسسات التعليمية والجامعات في مواجهة هذا التدفق الطلابي الهائل . والدليل على ذلك تميز الاتجاه العام للطلبة المقبولين بالجامعات بالتزايد خاصة في العقد الأخير من القرن العشرين ، حيث بلغ أعداد المقبولين من حملة الثانوية العامة في عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ نحو (٢٤٢ ألف) طالبا وطالبة مقابل (٩١ ألف) طالبا وطالبة عام ١٩٨٢ / ٨١ م ، بنسبة زيادة قدرها (١٦٦ %) ، وبالنسبة لشريحة السكان (الفئة العمرية ١٨ - ٢٣ عاما) فقد بلغت نسبة المقيدون بالتعليم العالي والجامعي حوالى (٣٠,٥ %) في عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ ، في حين كانت النسبة المناظرة في عام ١٩٨٦ / ٨٥ م حوالى (١٦,٩ %) .

ويعنى هذا أن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في مصر لا توفر فرصا كافية للراغبين في هذا النوع من التعليم ، وأنها لا تستطيع الوفاء بالطلب الاجتماعي المتزايد على التعليم الجامعي بما يلبي آمال وطموحات ورغبات المواطنين كي يعيشوا عصرهم " عصر العولمة " ومن هنا كان الاتجاه نحو الاستثمار في التعليم الجامعي بإنشاء جامعات خاصة مصرية .

٢. عامل زيادة الطموح التعليمي :

فعلى المستوى الفردى يوجد حماس متصاعد وطموح تعليمى متزايد وخصوصا على التعليم العالي ، نظرا لما يضيفه على صاحبه من وجهة اجتماعية ، فضلا على أنه مازال يمثل الأساس للترقي الاجتماعي ، والوصول إلى المراكز الاجتماعية المرموقة ، على الرغم من تخطى الدولة عن سياسة تكليف

الخريجين ، ويدعم ذلك وزير التعليم الأسبق - حسين كامل بهاء الدين - بقوله " إنه يجب ألا تغيب حقيقة أن الشهادة العلمية هي أمل كل مواطن ، حيث أضحت شهادة اجتماعية يتزوج بها المرء ويتحقق بها وضعه الاجتماعي ، كما تفتح أمامه آمالا كبرى لتحقيق ذاته " ، ومما يدعم ذلك أيضا إصرار أولياء الأمور من مختلف الطبقات الاجتماعية على إلحاق أبنائهم بإحدى الكليات الجامعية أو المعاهد العليا ، على الرغم من توقعهم أنهم قد لا يعملون بهذه الشهادة بعد التخرج .

٣. عامل السياسات الحاكمة للتعليم الثانوى العام والفنى :

من الملاحظ أن اللوائح والسياسات الحاكمة للتعليم الثانوى العام والفنى تساعد على فيضان التدفق الطلابى المتجه من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية ، وذلك لعدة اعتبارات من أهمها :

- تتحدد أهداف التعليم الثانوى فى " إعداد الطلبة للحياة العامة ، وإعدادهم للتعليم العالى بما فى ذلك ترسيخ القيم الدينية والسلوكية والقومية " . إلا أن الواقع العملى يشير إلى أن تحقيق الهدف الأول لا يزال محدودا ، حيث أنه يندر وجود فرص عمل حقيقية أمام خريجى الثانوى العام - إذا رغبوا فى العمل - ومن ثم لا يجدون غير أبواب الجامعات والمعاهد للالتحاق بها.
- يشترط نظام القبول بالتعليم العالى فى المتقدم للالتحاق به أن يكون حاصلا على شهادة الثانوية العامة فى نفس العام ، مما أدى إلى تزامم الطلبة على الجامعات والمعاهد باعتبار أن فرصة الالتحاق سوف تضيع إذا لم يفتنموها .
- اتجاهات المجتمع السلبية ونظراته المتدنية للتعليم الفنى المتوسط تجعل الطلبة يحجمون عن الالتحاق به ، ويتحولون نحو التعليم الثانوى العام باعتباره الموصلى للمراحل التعليمية الأعلى ، والمكانة الاجتماعية الأرقى .

- إن التعليم الفني لا يتيح لخريجيه مواصلة التعليم العالي إلا في أضيق الحدود وبشروط معينة ، مما يعمق الاتجاه السلبي نحو التعليم الفني ، ويزيد الإقبال على التعليم الثانوى العام ، وبالتالي زيادة الإقبال على التعليم العالي .
- اتجاه الوزارة نحو تخفيض أعداد الطلبة الملتحقين بالتعليم الفني وخصوصا التعليم الفني التجارى ، قد ترتب عليه زيادة أعداد الطلبة المقبولين بالتعليم الثانوى العام ، ومن ثم زيادة أخرى فى الأعداد المتجهة نحو التعليم العالي .

٤. عامل التغير فى التركيب الاقتصادى :

وهو العامل الرابع من العوامل المحلية المؤدية إلى تنامى الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعى ، فقد كان لظهور حركات التصنيع وتطورها خصوصا فى القرن العشرين أثر عظيم فى إحداث تغير هائل فى التركيب الاقتصادى ، سواء كان ذلك فيما يتصل بمدى إسهام كل قطاع من قطاعات النشاط الاقتصادى فى قيمة الإنتاج العام ، أو بحجم قوة العمل التى تعمل فى كل منها .

ولاشك أن طبيعة النمو الاقتصادى الحالى واحتمالاته المستقبلية فى الدول النامية ، تؤكد أنه سيحدث انكماش نسبى فيما يعملون بقطاع الزراعة ، فى حين أن هناك زيادة عددية فيما يعملون بقطاعى الصناعة والخدمات ، ومن الواضح أن حجم القوى العاملة فى قطاع الصناعة يتزايد بمعدل أكبر نتيجة اهتمام هذه الدول بالتصنيع وزيادة استثماراتها فيه .

ففى مصر وفى الفترة من (١٩٣٧ - ١٩٧٤ م) نجد أن نسبة المشتغلين بالزراعة من إجمالى السكان العاملين قد انخفض من (٦٩%) عام ١٩٣٧م إلى (٤٤,٦%) عام ١٩٧٤م ، فى حين ارتفعت نسبة المشتغلين بقطاع الصناعة خلال المدة نفسها من (١٠,٦%) إلى (١٩,٧%) ، كما ارتفعت نسبة

المشتغلين بقطاع الخدمات في نفس المدة من (١٠ %) إلى (١٨,٥ %) ، كما ارتفعت أيضا نسبة المشتغلين بقطاع التجارة والنقل خلال نفس المدة من (١٠,٤ %) إلى (١٧,٢ %) من مجموع المشتغلين .

ويتضح من هذه الإحصائيات أن هناك نموا في العاملين بقطاعي الصناعة والخدمات ، وهذا بدوره يستتبع زيادة الطلب على التعليم ، ولاسيما العالي منه ، ذلك أن العمل في هذين القطاعين يتطلب عادة مستويات تعليمية عالية وتخصصات على درجة كبيرة من التنوع ، خاصة مع بداية الألفية الثالثة وما صاحبها من تقدم وتنوع معرفي وتكنولوجي هائل وعلى درجة عالية من التعقيد والأهمية ، في جميع المجالات الحياتية .

٥. عامل التغير في التركيب الوظيفي :

لم يؤد التطور الاقتصادي الحديث إلى نمو أنشطة الصناعة أو الخدمات من حيث الإنتاج أو العمالة فحسب ، بل أدى أيضا إلى تغير في التركيب الوظيفي بجميع القطاعات الأخرى الاقتصادية ، فالخبرة المكتسبة عن طريق الوراثة ، أو عن طريق النشأة في مجال العمل والتي قد تصلح في مجتمع زراعي بدائي أو مجتمع حرفي ، لم تعد صالحة لعالم صناعي تكنولوجي طبيعته التغير والتطور ، ومن أهم صفاته التخصص والتنوع .

كما أن نمو الصناعة وفقا لأساليب الإنتاج الحديثة قد تتطلب مزيدا من خريجي الكليات والمعاهد المختلفة ، هذا بالإضافة إلى أن الاتجاه نحو تنمية نظام الحكم المحلي قد خلق مجالات جديدة للتوظيف للمتخصصين في شئون الحكم المحلي والإدارة والتخطيط الإقليمي وغيرهم . كل هذه التغيرات في التركيب الوظيفي قد أدت إلى زيادة الطلب على التعليم خصوصا في مراحله الثانوية والعالية ، كما أدت إلى ضرورة تعدد أنواعه وتنوع تخصصاته .

٦. عامل ارتفاع مستوى المعيشة :

من الواضح أن هناك علاقة قوية بين ارتفاع مستوى المعيشة والطلب على التعليم ، فكلما ازداد دخل الفرد كلما ازدادت رغبته في التعليم أو إعطاء أبنائه الفرصة للاستزادة منه ، ففي المجتمعات الريفية أو الفقيرة يضطر الفرد إلى دخول سوق العمل في أقرب وقت ممكن لكسب الرزق ، أما في المجتمعات الغنية حيث يرتفع مستوى الدخل للأفراد ، وحيث يستطيع الآباء الاستغناء عن مساعدات أبنائهم في المعيشة ، فإن الآباء غالبا ما يرغبون بل ويطالبون بإعطاء أبنائهم فرصا أعظم للتعليم ، وسنوات أطول للدراسة .

ويتضح من العرض السابق لأهم عوامل تنامي لطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي، أن تزايد هذا الطلب يضع الجامعات المصرية (الحكومية) أمام تحد كبير فيما يتعلق بمدى قدرتها على تحقيق التوازن بين هذا الكم المتزايد من المتعلمين ، ونوعية التعليم الذي يقدم لهم، في ظل تغيرات تكنولوجية ومعلوماتية فائقة الكم والنوعية .

وتتمثل المشكلة في ضرورة تلبية الطلب المتزايد على فرص التعليم العالي من جهة ، وقصور الموارد المالية الحكومية في الوفاء بهذه المتطلبات من جهة أخرى ، ومن هنا سمحت الحكومة للقطاع الخاص بالمشاركة في تلبية هذا الطلب الاجتماعي المتزايد ، والذي لا يمكن للتعليم العالي الحكومي الوفاء به منفردا نظرا لاعتبارات كثيرة على رأسها أزمة التمويل التي تعاني منها الجامعات الحكومية ، والتي تعتبر دافعا محليا ثالثا وراء إنشاء الجامعات الخاصة المصرية وينضج ذلك فيما يلي :

ج. أزمة تمويل التعليم الجامعي :

استعانت مصر منذ الثمانينيات بتطبيق برامج البنك الدولى المرتبط بوكالات التمويل الدولية ، حيث دُفعت مصر إلى ذلك الاتجاه التمويلى نتيجة وجود عجز مالى بلغ أكثر من (١٥ %) ، ومديونية قومية بنسبة (٢١ %) من إجمالى الناتج القومى ، ومعدل تضخم بلغ (٢٣ %) ، وعجز مزمّن فى الميزان التجارى . وفى هذا الصدد ارتفعت أصوات تنادى بضرورة المشاركة والتعاون فى تمويل وإنشاء صندوق وطنى لتمويل التعليم بعيدا عن الهيمنة الداعمة .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم جامعات الدول ومنها الجامعات المصرية فى عالمنا المعاصر تعاني من أزمة مالية حادة (وقد سبق مناقشة تحدى التمويل الجامعى فى الفصل الثانى غير أن البحث يتناوله هنا كدافع وراء السماح بخصخصة التعليم الجامعى) ، ففي أغنى دولة فى العالم ، أجبرت الأزمة المالية جامعات أمريكية كثيرة على إلغاء مقررات يقل إقبال الطلبة عليها ، والاستغناء عن كثير من أساتذتها ، وإغراء آخرين بالتقاعد المبكر ، واستخدام عناصر خارجية لبعض الوقت بأجور ضعيفة ، ورفع معدل أستاذ / طالب ، وزيادة المصروفات الدراسية .

وإذا كانت هذه الوقائع دلالة حية على انهيار الصروح الجامعية فى دول أجنبية أغنى من مصر والتي بلغت ديونها عام ٢٠٠٤ ما قيمته (٤٦٠ مليار) جنيها مصريا ، برغم ما أسقط منها فى مؤتمر باريس. كما تراجع فيها معدل الإنفاق الحقيقى على الطالب الجامعى بنسبة (١١,٣ %) فى خلال عشر سنوات من عام ٨٦ / ١٩٨٧ حتى عام ٩٦ / ١٩٩٧. فماذا تفعل الدولة إذن للنهوض بجامعاتها فى ظل هذه الأوضاع المتردية لتساير التطورات والمتغيرات العالمية منها والمحلية ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال صيغت عدة حلول كان من بينها " إقرار سياسة ترشيد المجانية " ، حيث تحافظ الدولة رسميا على مبدأ مجانية التعليم فى كل مراحله ، وقد أقر ذلك الدستور . ولكنها عمليا أصبحت صورية أو متآكلة ، ذلك لأنه فى الجامعات - وبالذات فى كليات القمة - حوالى (٧٥ %) من الطلبة ينتسبون إلى أسر برجوازية مثقفة ، مما يعنى حرمان العدد الأكبر من أبناء الطبقة الشعبية من تعليم جامعى يقال أنه مجانيا ، وهذا الوضع يؤكد حقيقة أن الدولة تطعم أبناء الأغنياء على حساب الفقراء ، علما بأن نسبة لا بأس بها من طلبة الجامعة البرجوازيين تعلموا فى مراحل التعليم العام فى مدارس خاصة دفعوا لها عن كل فرد أكثر من خمسين (٥٠) ألف جنيها مصريا فى المتوسط العام ، ثم تكرمهم الدولة وتعلمهم بالمجانية الشكلية فى الجامعة .

وفى هذا الصدد يصرح رئيس الدولة - الرئيس مبارك - فى عام ١٩٨٥م ردا على بعض أصحاب فكرة إنشاء جامعات خاصة مصرية بقوله : " إنه مدرك تماما للأسباب التى أبدوها ، وإنه يعظم جيدا أن القادرين والموسرين يزاحمون فعلا أبناء الطبقات الكادحة فى مجانية التعليم الجامعى .. وأن هذا العبء الضخم الملقى على عاتق الإمكانيات المحدودة لجامعات تعلم بالمجانية الكاملة قد أثرت على المستوى الكيفي لتعليم "

بهذا يصبح تعليم المجانية من أسوأ أنواع التعليم ، ويكفى أن نعلم أن حجم الإنفاق على الأنشطة التعليمية والبحثية والبيئية فى الجامعات الحكومية المصرية قد بلغ ما يقرب من (٣٣,٢) مليار جنيها مصريا خلال الفترة من ٩١ / ١٩٩٢ حتى ٩٩ / ٢٠٠٠م ، ويتم تمويل معظم هذا الإنفاق بشكل دورى من بنك الاستثمار القومى فى صورة قروض محلية ، تثقل كاهل الدولة . ومع هذا فإن كلفة الطالب - كما تدفعها الدولة - قد بلغت فى آخر زيادة لها

(٦٣٠٠) جنبها مصريا أي حوالى ألف دولار أمريكى ، بما يقل عشرين مرة عن كلفة طالب الجامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عصر الليبرالية الجديدة ، وخصخصة الاقتصاد ، وتدنى الإنفاق على التعليم الجامعى ، مع فتح الجامعات لتعليم أكبر عدد من شباب المواطنين تلبية للزخم الكبير فى الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعى من قبل مختلف الفئات والأعمار فى المجتمع ، لذلك كان لابد من ترشيد المجانية ، وتحميل المستفيد جزءا من كلفة التعليم ، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار فى التعليم لتخفيف أعباء الحكومة .

• عود على بدء •

لقد أتضح جليا أن قطاع التعليم بوصفه نظاما فرعيا تابعا للنظام الكلى للمجتمع يمثل أهم قطاع تنعكس عليه وبصورة مباشرة ما يصيب النظام العام للمجتمع من متغيرات وتحولات ، وتخطيط النظام التعليمى لكى يواجه ويواكب هذه المتغيرات والتحولات لا يستدعى فقط إصلاح النظام القائم وإنما يتطلب - فى كثير من الأحيان - نظاما جديدة وطرقا جديدة توضع فى صورة اختيارات أو بدائل حرة للمستقبل أمام متخذى القرار ، مع تقديم الإجراءات اللازمة للقرار السياسى الذى يعضد إنجاح أى شروع تعليمى .

وبعد طى صفحة القرن العشرين - بوداعنا للألفية الثانية - نستوقفنا المتغيرات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى شهدتها هذا القرن الفائت ، والذى حمل فى ثناياه سمات عديدة وخصائص متنوعة من الصعب احتوائه بتسمية معينة واحدة .

وفي المجال السياسي : تقلص دور الدولة ، نظرا لظهور مجموعة من المؤسسات والمنظمات الأهلية غير الحكومية على الساحة السياسية العالمية ، والتي أصبحت تلعب دورا فعالا في معالجة قضايا كثيرة كحقوق الإنسان ، والسكان ، والبيئة .

وفي مجال العلم والتكنولوجيا : أصبح التزايد المعرفي مذهلا إلى الدرجة التي جعلت بعض الكتابات تعتبر أن كلمة " انفجار " هي أصدق تعبير عن هذا التزايد ، كما صاحب هذا الانفجار سرعة مذهلة في تطبيق نتائج العلم وهو ما يسمى بالتكنولوجيا ، مما أسهم في تغيير معالم الحياة ووقعها بشكل كبير .

أما في المجال الاقتصادي : فقد ظهرت بعض المستجدات والتطورات الاقتصادية ، من أبرزها الدور المتزايد للشركات عابرة القارات والتي لا تنتمي لدولة أو منطقة جغرافية معينة ، وكذلك الاتجاه العالمي المتزايد نحو تحرير التجارة العالمية التي دخلت مرحلة الانفتاح التام غير الخاضع للقيود أو التحكم ، وذلك بعد توقيع اتفاقية الجات ، وقيام منظمة التجارة العالمية ، هذا بالإضافة إلى انتشار النموذج الاقتصادي الرأسمالي الذي كان من أبرز نتائجه تحرير الاقتصاد ، ونمو وانتشار القطاع الخاص أو نمو وانتشار الخصخصة Privatization في معظم المجتمعات .

وقد أدت هذه التطورات الاقتصادية الحديثة - وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونمو الفكر الاقتصادي الرأسمالي والليبرالي وسيادة اقتصاديات السوق - إلى إعادة النظر في الكثير من المفاهيم ، ومنها المفاهيم المرتبطة بالتعليم ، وكان من أهم ملامح التغيير إعادة النظر في مسؤولية الدولة المطلقة على التعليم وضرورة ترك جانب من شؤونه للقطاع الخاص ، باعتباره المسئول الأول عن التنمية والاستثمار والإنتاج .

وطبيعي ألا تكون مصر بمعزل عن هذه التغيرات والتحولات ، وهي البلد المحوري في منطقتها ، بل والبلد ذات الأهمية الاستراتيجية في مجالات السياسة الدولية ، ففي ظل تداعيات النظام الاقتصادي العالمي ، وسيطرة قوى السوق ، توجهت الدعوة إلى تطوير التعليم الجامعي الرسمي ، وحث رأس المال الخاص على تقديم الدعم المادي لعملية التطوير ، وساعد على ذلك ضعف قدرة الدولة على الإنفاق بسخاء على التعليم الجامعي المتنامي ، والذي صار مكلفا بدرجة كبيرة خاصة بالنسبة للتخصصات غير النمطية المرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة والمطلوبة لسد الاحتياجات الجديد لسوق العمل .

وتأسيسا على ما سبق فقد سمحت الحكومة المصرية بالاستثمار في التعليم الجامعي وإنشاء جامعات خاصة مصرية كاستجابة حتمية لهذه المتغيرات المجتمعية العالمية منها والمحلية ، وكبديل من البدائل التي وضعت أمام متخذي القرار لمواجهة تداعيات هذه المتغيرات وما تمليه من تحولات ، لكل ذلك نتساءل ماذا عن طبيعة خصخصة التعليم الجامعي والعالي ، وأهم أشكالياتها. على الصعيد العربي والمصري (خاصة) ؟ وما أبرز متطلبات الحد من تلك الإشكاليات ؟ و هذا ما يتناوله الباب الثالث من هذا الكتاب.

الباب الثالث

التعليم الجامعي الخاص طبيعته – مبرراته – متطلباته

أولاً: الإطار المفاهيمي للخصخصة وأهم مشكلاتها على الصعيد العربي.

- الإطار المفاهيمي للخصخصة وخصخصة التعليم الجامعي.
- بعض المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي الخاص على الصعيد العربي.

ثانياً: التعليم الجامعي الخاص. مبرراته – متطلباته.

- مبررات التعليم الجامعي الخاص.
- محازير خصخصة التعليم الجامعي.
- متطلبات المجتمع العربي من التعليم الجامعي الخاص.

• عود على بدء •

1

2

أولاً: الإطار المفاهيمي للخصخصة وأهم مشكلاتها على الصعيد العربي.

- الإطار المفاهيمي للخصخصة وخصخصة التعليم الجامعي.
- بعض المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي الخاص على الصعيد العربي.

الباب الثالث

التعليم الجامعي الخاص

(طبيعته - مبرراته - متطلباته)

مقدمة

فى إطار عصر العلم والتكنولوجيا، أخذت دول العالم تتسابق لتحقيق مستويات معيشية مرتفعة لمواطنيها، وتحقيق السيادة العلمية لمجتمعاتها، والاستئثار بحصة كبرى من السوق، وبالتالي إذا كنا نريد تغيير موقفا على الخريطة العالمية، فلا بد من تغيير جذرى لكل الممارسات والقوانين التى تحكم حركة المجتمع، لتتواءم مع متطلبات المرحلة التى سوف تتعامل مع وحدة النانو، وتسلسل الجينوم البشرى، وسيادة العلم، والتسارع المتزايد فى توليد المعارف.

ولعله من متطلبات هذا التغيير، العمل على إيجاد أنماط جديدة من التعليم الجامعى تكون قادرة على التنبؤ بمسار العلم واحتياجات منطلقات العصر، كما ولا بد أن نتفوق فى المجالات التى لها ميزة تنافسية، والتى منها مجال التعليم الجامعى الخاص. ذلك أن السبيل لتجويد الأداء، والارتقاء بمستوى الوسائل، ورفع مستوى الأداء وضمان موقع محترم فى سوق السلع والأفكار يفرض علينا أن نواجه أنفسنا بحقيقة أن السنوات القليلة القادمة سنوات مليئة بالتغيرات والمفاجآت، بل وتحديات ومخاطر حقيقية، وعلينا أن نبدأ فى مواجهة مشاكل داخلية ملحة، تتجسد فى مخاطر العولمة وتآكل الثقة فى كثير من المسلمات، وتزايد الإحساس بالمادية مع تعاظم الاتجاه نحو الخاص.

وهذا الاتجاه الذى شمل التعليم الجامعى، وذلك فى ظل التحولات الشديدة التى شهدتها المجتمعات الدولية فى مختلف المجالات فى العقدين الأخيرين من القرن الماضى، حيث فرضت قضية خصخصة التعليم الجامعى نفسها كقضية

أساسية في رسم ملامح التعليم الجامعي - العربي تحديداً - في الحاضر والمستقبل باعتبارها صيغة جديدة للتعليم الجامعي لا مناص من الاعتراف بها، وتقبلها، وتبنيها، حتى لا تنحرف عن المصلحة الوطنية العليا. ولعله من المتفق عليه أن التعليم - الجامعي تحديداً - في معظم أنحاء العالم بات يعاني من مشكلتين جوهريتين : الشح في الإنفاق، والانحدار في المضمون، وقد أخذت كثير من الدول في هذا العصر تتطلع إلى خصخصة التعليم بوصفها وسيلة لمعالجة تلك المشكلات بما في ذلك الدول العربية . حيث تشير الدلائل إلى أنه لن تستطيع الحكومات في المستقبل القريب أن تتحمل عبئا في التعليم فوق عبء التعليم الأساسي للجميع، فضلا عن أن هناك كثير من الدول عاجزة عن توفير التعليم الأساسي لجميع أبنائها.

وفيما يتعلق بالواقع التعليمي في الوطن العربي - ومنه مصر - فقد شهدت السنوات الأخيرة زيادة في الإقبال على التعليم العالي - والجامعي تحديداً - خاصة مع تغير دور الدولة، وتناقل أعباء الديون، وتدنى معدلات النمو، لذلك كان لابد من تشجيع الاستثمار والقطاع الخاص للإسهام في مشروعات التنمية لمواجهة الاحتياجات المتنوعة والمتزايدة للمواطنين ومن بينها الحاجة الأساسية للتعليم، تحقيقا لاعتبارات الرشادة الاقتصادية، و لرفع جودة الخدمة المقدمة لجميع أفراد المجتمع وكافة شرائحه، وفي هذا السياق بدأت بذور التعليم الجامعي الخاص تنمو استجابة للطلب المتزايد على التعليم الجامعي، وتخفيف العبء عن كاهل الحكومات، وتوفير التخصصات المختلفة التي يتطلبها سوق العمل.

وعلى الرغم من وجود قناعة بأهمية دور القطاع الخاص في تحقيق التنمية في المجتمع، إلا أنه نظرا لطبيعة هذا الموضوع، وحساسية قضية التحول من القطاع العام إلى القطاع الخاص، والذي تتشابه فيه الاعتبارات الأيديولوجية

السياسة مع الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية، فقد انقسمت الآراء إلى مؤيد لخصخصة التعليم الجامعي ومعارض لها، ولأن علاقة التبادل بين العام والخاص علاقة حقيقية ولا مناص منها نظرا لطبيعة المتغيرات التي تميز المجتمع الدولي الجديد والتي تفرض على التعليم الجامعي الخاص دورا هاما تجاه المجتمع العربي لذا سوف يهتم الباب الحالي بالتعرف على طبيعة خصخصة التعليم الجامعي و العالي بجانب استقراء ما يثار من جدل حول الآراء المؤيدة لخصخصة التعليم الجامعي والتي تمثل مبرراته وبين الآراء المعارضة له والتي تمثل محاذيره، يلي ذلك تسليط الضوء على متطلبات المجتمع العربي من التعليم الجامعي الخاص لمواجهة التحديات العالمية المعاصرة، وذلك على النحو التفصيلي التالي:

أولا الإطار المفاهيمي للخصخصة وأهم مشكلاتها على الصعيد العربي:

أ) الإطار المفاهيمي للخصخصة وخصخصة التعليم الجامعي:

١. مفهوم الخصخصة ومظاهر التحول حيالها.

إن كلمة الخصخصة Privatization هي كلمة حديثة نسبيا، توأكب تطورات العصر الحديث والتحويلات الاقتصادية التي تحدث فيه. وقد نشأ هذا المفهوم في مجال الاقتصاد الرأسمالي الخاص وكانت بداية الخصخصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقلت من أمريكا إلى أوروبا وبالتحديد بريطانيا والمكسيك . ولم يصبح هذا المفهوم شائعا إلا في أواخر سبعينيات القرن العشرين . على الرغم من شيوعه في لغة الاقتصاد وفي لغة الصحافة.

ولأن هناك شبه اتفاق - لدى الاقتصاديين - على أن إدارة المال العام قد لا تكون بكفاءة وإنتاجية القطاع الخاص، لذا فالخصخصة هي اتجاه مرغوب فيه

اقتصاديا، وتنظيما من جانب الحكومات المعاصرة، ذات الارتباط الوثيق بالرأسمالية العالمية القائمة على نظام آليات السوق والحرية الاقتصادية. حيث يسوق أنصار التحول نحو القطاع الخاص مبررات منها : إن المبادرات الفردية وآليات السوق ضرورية لتنشيط الاقتصاد الوطنى وتحقيق التنمية بشكل متسارع، كما أن هذا التحول يحفز الأفراد على بذل المزيد من الجهد وتحقيق الإتيان والجودة، وهذا بدوره يؤدي إلى إحداث تأثيرات إيجابية كبيرة على الإنتاج والعمالة والتوزيع، كما أن عملية التحول نحو الخاص تحرر الدولة من المهام الاقتصادية الجزئية بما يسمح لها بالتركيز على رفع كفاءة المشروعات التى تظل فى يدها، كما يؤدي إلى تنامي الرأسمالية الوطنية التى تتوجه باستثمارها نحو المشروعات الإنتاجية.

وعن مفهومها فالخصخصة وإن كانت تشير فى شكلها الظاهر إلى قيام الدولة بتفويض صلاحيتها للقطاع الخاص ليقوم بخدمات عامة، إلا أنها فى مفهومها الباطن تمثل عملية عالية التعقيد، فليس للخصخصة مفهوم عالمى موحد يتفق عليه الجميع، فهى كما يقول " سافاز Savas " قد تعنى عند البعض وسيلة كما أنها قد تعنى عند البعض الآخر هدفا، فالبراجماتيون الذين يسعون إلى إيجاد حكم أصلح أو الشعبويون الذين يحرصون على تحقيق حياة اجتماعية أفضل، تعنى الخصخصة عندهم وسيلة لبلوغ أهدافهم تلك، أما الذين يبحثون عن الفرص التجارية من خلال أعمال الدولة، فإن الخصخصة لديهم تعنى غاية فى حد ذاتها، ولعل هذا ما يجعل مفهوم الخصخصة مغلفا بكثير من التشويش وعدم الوضوح.

ويعرف فتحي درويش الخصخصة بأنها : " العملية التى بموجبها يتمكن القطاع الخاص من إدارة وتمويل المؤسسات العامة الصناعية أو التجارية أو

الخدمية، رغبة في تحقيق مجموعة من الأهداف من أبرزها تحقيق ربح وعائد مالى "

ومن خلال استقراء بعض الأدبيات التى تناولت الخصخصة، يمكن التوصل إلى أن مفهوم الخصخصة يتضمن مجموعة من العناصر والممارسات منها :

- تحويل الخدمات التى تقوم بها المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص.
- السماح للقطاع الخاص بإدارة وتمويل المشروعات الاقتصادية الإنتاجية بما يتوافق مع آليات ومتطلبات السوق وخدمة المستهلك.
- اتباع أساليب عمل وطرق جديدة تهتم فى المقام الأول بالمنافسة وتلبية احتياجات السوق.
- إجراء تغييرات قانونية واقتصادية، وتوفير المناخ الذى يسمح للقطاع الخاص بتحقيق أهدافه فى المؤسسات التى يديرها ويمولها.

وفيما يتعلق بأساليب التحول نحو القطاع الخاص : فليس هناك أسلوب واحد للتحول، كما أن نطاق التحول وكيفية تنفيذه تختلف من مجتمع إلى آخر، حسب ظروف كل مجتمع والبنية القانونية والدستورية والاقتصادية، كما أن آليات التحول تختلف من مشروع لآخر. ويذكر كمال المنوفى أن أدبيات التحول نحو القطاع الخاص تقرر عددا من الأشكال منها:

- بيع وحدات القطاع العام كليا أو جزئيا للقطاع الخاص المخلّى أو الأجنبى.
- تأجير وحدات القطاع العام إلى القطاع الخاص أو التعاقد مع الأخير على الإدارة مثل المشروعات السياحية.
- إنهاء احتكار الدولة لبعض القطاعات مثل البنوك والتأمين والعمل فيها جنبا إلى جنب مع القطاع الخاص.
- المشروعات المشتركة التى ساهم فى إنشائها وملكيته وإدارتها كلا من القطاعين العام والخاص.

- فتح الباب أمام القطاع الخاص للعمل في ميدان الخدمات العامة كالصحة والتعليم والكهرباء والنقل. ويمكن للقطاع الخاص تقديم الخدمات السابقة بالأساليب التالية :
- التعاقد مع الحكومة : حيث تتولى الحكومة مسئولية قطاع معين مع ترك بعض الاختصاصات للشركات الخاصة، فمثلا في البرازيل والهند وزائير تتولى الحكومة مسئولية قطاع الطرق ولكنها تترك الصيانة للشركات الخاصة.
- حقوق الامتياز الاحتكارية Molmopoly Franchise بمعنى أن تتعاقد الدولة مع شركات خاصة على تقديم خدمة ما في منطقة معينة على أساس احتكاري.
- عقود الإدارة : بمعنى أن تستبقى الهيئة العامة مسئولية الخدمة في أيديها، على أن تتعاقد مع شركة خاصة في إدارتها.
- الكوبونات Vouchers، والتي بمقتضاها يحصل المستهلك على السلعة أو الخدمة مجانا أو بسعر مخفض، ويطبق هذا الأسلوب في الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الأغذية المدعمة والمدارس التي تمولها الدولة.
- تعاونيات المستهلكين، وهي منظمات تطوعية تختلف عن الشركات المساهمة، من زاوية أن العائد لا يوزع على الأعضاء بحسب حصة كل منهم في رأس المال، وإنما بحسب حجم مشترياته من السلع والخدمات التي تقدمها التعاونية.

عوامل إنجاح عملية الخصخصة :

هناك عدد من العوامل الضرورية لإنجاح عملية الخصخصة وتكمن في النقاط التالية:

١ التزام الدولة بمبدأ الخصخصة.

• مفهوم خصخصة التعليم الجامعي Privatization of Higher Education

وأبرز ركائزها:

لا يقصد بخصخصة التعليم الجامعي نفس المعنى المطروح بالنسبة للنظام الاقتصادي حيث لا يجب أن يفهم من خصخصة التعليم الجامعي بيع الجامعات الحكومية للقطاع الخاص، كما هو معطوم بالنسبة للخصخصة في مجال مؤسسات الإنتاج، أو أن تطرح أسهمها في البورصة لكي يتبادلها رجال المال والأعمال، وإنما يقصد بالخصخصة في مجال التعليم الجامعي " أن يسمح بإنشاء مؤسسات للتعليم الجامعي يمتلكها ويمولها ويديرها أفراد أو شركات أو هيئات غير حكومية، ولا يكون هدفها الأساسي التربح، وإن لم يمنع هذا أن يكون لها عائدها الاقتصادي للقائمين على إنشائها والمستثمرين فيها " . وذلك وفقا للقوانين واللوائح المنظمة لذلك، وأن تستهدف نفس الأهداف التي تقصدها الجامعات الحكومية، وتخضع لوزارة التعليم العالي في تقييم نوع الخدمة ومدائها وكيفية أدائها.

وفي ظل التحولات الشديدة التي شهدتها المجتمعات الدولية في مختلف المجالات في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، فرضت قضية خصخصة التعليم الجامعي نفسها كقضية أساسية في رسم ملامح التعليم الجامعي في الحاضر والمستقبل، وطُرحت هذه القضية بشدة باعتبارها صيغة جديدة للتعليم الجامعي، لا مناص من الاعتراف بها وتقبلها وتبنيها، وذلك بناءً على عدة ركائز، فما هي هذه الركائز والتي تستند إليها فلسفة الدعوة لخصخصة التعليم الجامعي ؟ هذا ما سوف نعرض له فيما يلي :

ويمكن إجمال الركائز التي تستند إليها فلسفة الدعوة لخصخصة التعليم

الجامعي على المستوى العالمي في عدة ركائز أهمها :

أ- فك الارتباط بين الحكومات ومؤسسات التعليم الجامعي، وذلك لعدة اعتبارات منها :

- تخفيف العبء عن كاهل الحكومات، حيث إن التمويل الذاتي لمؤسسات التعليم الجامعي الخاص يخفف العبء الملقى على عاتق ميزانيات الدول التي تسمح ظروفها بالخصخصة.
- التعليم الجامعي الخاص موضع طلب شديد، لأنه أفضل نوعيا من التعليم الجامعي الحكومي.
- يتمتع خريجو الجامعات الخاصة بحظوظ أفضل وأوسع في سوق العمل، ومزاولة مهن أرفع مكانة اجتماعية وأعلى أجرا من الناحية المالية في المجتمع.
- تعتبر خصخصة التعليم الجامعي أحد العوامل المساعدة في إعادة توزيع الدخل، بينما التعليم الجامعي الحكومي يشكل عامل هبوط وتراجع وانخفاض لدخل طبقات المجتمع.
- تفضل المؤسسات - خاصة الصناعية الكبرى - تطبيق اتجاه الخصخصة لحل مشكلاتها التنظيمية والإنتاجية والخدمية وغيرها عن طريق إجراء وتمويل البحوث العلمية في مؤسسات جامعية خاصة أكثر من إجرائها وتمويلها في مؤسسات جامعية حكومية.

ب- تحقيق التوازن بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص، حيث يقدم القطاع الخاص أمثلة لنماذج إدارية بديلة وبرامج تعليمية مختلفة، وبهذا يستفيد القطاع العام والمجتمع بصفة عامة من عملية الخصخصة، قمرونة تمويل التعليم الجامعي الخاص توفر تخصصات تكنولوجية عصرية ومستقبلية ملحة لا تستطيع اعتمادات التعليم الجامعي الحكومي تلبيتها نظرا لوجود البيروقراطية الإدارية والمالية المقيدة للتعليم الجامعي الحكومي.

ج- التفوق والامتياز، وذلك على اعتبار أن :

- التعليم الجامعي الخاص يستجيب على نحو أسرع وأفضل لمطالب السوق، لتقديمه تعليم ملائم ومتميز يلبي حاجات الفرد والمجتمع.
- التفوق والامتياز القائم على الإجاز والتحصيل والإبداع قد تم تحقيقه في القطاع الخاص في كثير من الدول المتقدمة.
- التعليم الجامعي الخاص - وإن كان يحمل طابعا نخبويا وماليا - قد يسمح بظهور إمكانات وقدرات إنسانية متميزة، يمكن أن تهدر وفقا لمعايير القبول بالتعليم الجامعي الحكومي.

د- الحرية الأكاديمية، فالخصخصة تمنح المؤسسات الجامعية استقلالا نسبيا عن الحكومات، فتتبع في تقاليدھا الجامعية وحریتھا الأكاديمية، على اعتبار أن غالبية المؤسسات الجامعية الحكومية مسیسة وتتحكم فیھا الدولة - رغم استقلالیتھا - بينما المؤسسات الجامعية الخاصة لا تخضع لاعتبارات السياسة لعدم سيطرة الدولة علیھا سواء من الناحية الإدارية أو التمويلية.

هـ - التنوع والمنافسة، فالتعليم الجامعي الخاص لا يفرض على الناس - خاصة غير القادرين - ولا يمنع أحدا من التقدم إليه - طبقا لشروطه ومصروفاته - ووجود كلا النوعين (الخاص والحكومي) في المجتمع تحقق فائدتان : فهو من جهة يلبي تنامي الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي في إطار من حرية الاختيار، ومن جهة أخرى يخلق نوعا من التنافس بين الخاص والحكومي، وكذلك بين رؤوس الأموال وبعضها بما يتوقع أن يتولد عنه تخفيض التكلفة وتحسين النوعية.

وإذا كانت هذه هي الركائز التي تستند إليها فلسفة الدعوة إلى خصخصة التعليم الجامعي والتي تدعم انتشاره والاستجابة له في دول كثيرة من العالم،

خاصة تلك الدول التي تأخذ بنظام السوق والحرية الاقتصادية، فما هي أنماط الخصخصة في مجال التعليم العالي وما هي المؤسسات التي تمثلها في مصر ؟، هذا ما سوف نعرض له فيما يلي :

٢) أنماط خصخصة التعليم العالي والمؤسسات التي تمثلها في مصر :

تتعدد أنماط خصخصة التعليم العالي، وتختلف دلالتها باختلاف النظم التعليمية، والفلسفة الاجتماعية والتربوية والأيدولوجية السائدة في المجتمعات، ويمكن تقسيم تلك الأنماط إلى أربعة أنماط رئيسة هي :

١- نمط الخصخصة الشديدة :

في هذا النمط يقوم القطاع الخاص بإدارة وتمويل مؤسسات التعليم العالي التي أنشأتها الدولة دون تدخل من الدولة وبعيدا عن سيطرتها، ويفترض في هذا النمط استرداد كامل تكلفة التعليم العالي الرسمي الفعلية (يدخل فيها نسب الأصول الثابتة كالمباني والأجهزة، إضافة إلى تكاليف التعليم الجارية كالرواتب والمراجع وغيرها) من المنفعين سواء كانوا طلبة أو أرباب عمل أو الاثنين معا ولعل هذا النمط من الخصخصة غير مرغوب فيه لما يعكسه من آثار خارجية على التعليم العالي، فضلا عن كونه غير قابل للتطبيق في الممارسة العملية، وتخلو مصر - حاليا - من المؤسسات التي تمثل هذا النمط الخصصصي، وإن كانت الجامعة الأمريكية بالقاهرة - جامعة خاصة غير مصرية - لا تبتعد كثيرا عن هذا النمط لولا التمويل الأمريكي لها بنسبة (١٠٠ %)، وكذلك جامعة سنجور بالإسكندرية التي تساهم فرنسا في تمويلها بنصيب كبير.

بد نمط الخصخصة القصوى : وفي هذا النمط من الخصخصة يتولى القطاع الخاص إنشاء وإدارة وتمويل مؤسسات التعليم العالي من كليات وجامعات خاصة دون أية

إعانات أو تدخل من الدولة، ويرى البعض أن هذا النمط من المؤسسات الخاصة وغير المعانة يسهم في التخفيف من العبء المالى الذى تتحمله الدولة حيال التعليم العالى، ولكن كلفة هذه المؤسسات الاقتصادية وغير الاقتصادية على المجتمع باهظة على المدى الطويل. ومن المؤسسات التى تمثل الخصخصة القصوى فى مصر : الجامعات الخاصة المصرية .

ج - نمط الخصخصة المعتدلة :

فى هذا النمط من الخصخصة تتولى الدولة مسئولية تمويل مؤسسات التعليم العالى بشكل شبه كامل بحيث تغطى نفقاتها على وجه التقريب، هذا على الرغم من نشأة هذه المؤسسات على يد جهات أهلية، وعلى الرغم من أن القطاع الخاص هو الذى يتولى إدارتها.

ومن المؤسسات التى تمثل نمط الخصخصة المعتدلة فى مصر : المعهد العالى للتكنولوجيا (خاص بمصروفات)، المعهد العالى للسياحة والفنادق (خاص بمصروفات)، وغيرها من المعاهد الخاصة بمصروفات مثل معاهد الخدمة الاجتماعية والمعاهد التجارية.

د - نمط الخصخصة المرغوبة :

وفى هذا النمط تتولى الدولة مسئولية إنشاء وإدارة وتمويل مؤسسات التعليم العالى، وتلجأ فى الوقت نفسه - ضمن حدود معقولة ومقبولة - إلى الترحيب بمصادر التمويل الخاصة أو الأهلية من منطلق أن التعليم العالى هو خدمة تقوم بها جهات ومؤسسات رسمية لصالح واستفادة فئات وقطاعات أهلية داخل نسيج المجتمع الواحد، وبالتالي فمن المرغوب فيه ألا تتحمل الدولة وحدها كامل تمويل التعليم، ومن الضرورى أن تشارك هذه الفئات والقطاعات - اختياريًا

- فى تحمل جزء ولو بسيط من هذا التمويل، كل على قدر طاقته دون إجبار أو إكراه.

ومن المؤسسات التى تمثل نمط الخصخصة المرغوبة فى مصر ما حدث من تكاتف للمصريين من أجل إنشاء الجامعة الأهلية الوطنية عام (١٩٠٨ م).

وإذا كانت الأنماط الأربعة السابقة تمثل أنماط خصخصة التعليم العالى بصفة عامة، فإن التعليم الجامعى الخاص - تحديداً - يتخذ فى مصر شكلين أساسيين حتى الآن، هما :

■ إنشاء جامعات خاصة تستقل فى إدارتها وتمويلها عن الجامعات الحكومية (نمط الخصخصة القصوى)، وهذه الجامعات هى موضوع الدراسة الحالية وسوف يتناولها الفصل السابع تفصيلاً.

■ إنشاء أقسام فى الكليات الجامعية الحكومية للتدريس بلغات أجنبية (تخصص ضمنى يتم داخل الجامعات الحكومية) : حيث بدأ الاتجاه إلى التدريس باللغات الأجنبية داخل الجامعات الحكومية المصرية فى السبعينيات من القرن المنصرم - فى فترة الانفتاح الاقتصادى - فى عام ١٩٧٤م، بمقتضى القرار رقم (٦٢) بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٧٤م، وتضمن السماح لمجلس الكلية باختيار مادة يتم تدريسها باللغة الإنجليزية بالفرقتين الثالثة والرابعة، وقد تم ذلك فى كليات التجارة. وفى عام ١٩٩٣ بدأ إنشاء أقسام للتدريس باللغة الإنجليزية بكليات التجارة على مستوى الدرجة الجامعية الأولى، وامتدت إلى الدراسات العليا عام ١٩٩٦م، وظهرت هذه التطورات فى التسعينيات بتقاضى مصروفات دراسية، واقتصر ذلك فى بداية الأمر على كلية التجارة بجامعة القاهرة، ثم انتشرت هذه الأقسام فى معظم كليات التجارة بالجامعات المصرية، كما شملت كليات الحقوق

بجامعى القاهرة والإسكندرية، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية. وتستقبل هذه الأقسام طلابها من أبناء القادرين على دفع مصروفاتها الدراسية. وجدير بالذكر أن إنشاء أقسام فى الكليات الجامعية الحكومية للتدريس بلغات أجنبية، وإنشاء برامج للتعليم المفتوح عن بعد ما هى إلى محاولة للبحث عن مصادر ذاتية للتمويل، وذلك بفرض مصروفات على طالبى هذه الخدمات باعتبارها خدمات إضافية.

٢) بعض وظائف الجامعات الخاصة :

لعله من نافلة القول التذكير بوظائف الجامعة والتى يمكن تلخيصها فى : وظيفة نشر العلم والمعرفة (الوظيفة التعليمية)، وظيفة تنمية العلم والمعرفة (الوظيفة البحثية)، وظيفة تطبيق العلم والمعرفة (وظيفة خدمة المجتمع). وليس هذا فحسب ولكن أيضا من وظائف التعليم الجامعى إيجاد الهوية القومية وتنميتها (الوظيفة التراثية الثقافية)، إضافة إلى تصيق مفهوم العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص التعليمية بين جميع الطلبة، والمساهمة فى تحديد معالمها وإمكاناتها وإطلاقاتها.

وانطلاقا من هذه الوظائف، واسترشاداً بأهداف الجامعات الخاصة وبمبررات إنشائها ومتطلبات المجتمع منها، فقد أمكن حصر وظائف الجامعات الخاصة فيما يلى :

- تخفيف عبء تمويل التعليم الجامعى عن كاهل الدولة.
- إعداد الكوادر المدربة تدريباً مهنياً، وفنياً، وإدارياً، بما يمكنها من التعامل مع المتغيرات المتلاحقة.
- توفير تخصصات عصرية ومستقبلية نادرة لا تستطيع اعتمادات التعليم الجامعى الحكومى تلبيتها.
- توفير أحدث الأجهزة المتطورة (اللازمة للعملية التعليمية).

- تطوير وتحديث المناهج الدراسية وفقا لحاجات البيئة، ومطالب المجتمع المتطورة.
- تطوير الكوادر الأكاديمية بالمنح الدراسية والابتعاث.
- أداء الخدمات البحثية للغير.
- إجراء بحوث تطبيقية فى تخصصات نادرة وغير متوافرة فى الجامعات الحكومية.
- جذب العملة الصعبة للبلاد بقبول الطلبة الوافدين.
- تحسين الخدمات التعليمية.
- إشاعة روح التنافس بين رؤوس الأموال، بما يتوقع أن يتولد عنه تخفيض التكلفة، وتحسين النوعية.
- تقوية روح المواطنة لدى الطلبة، والتأكيد على الهوية الثقافية للمجتمع المصري والعربي.

بعض المشكلات التى تواجه التعليم الجامعى الخاص " على الصعيد العربى

مما سبق يمكن استخلاص عدة قضايا تمثل تحديات أساسية أو إشكاليات تنضوى على تناقضات تواجه حركة التعليم الجامعى الخاص فى عالمنا العربى، وحل هذه المشكلات أو مواجهتها من شأنه أن يقلل الفجوة بين القائم وما يجب أن يكون كما يزيل الجفوة بين التعليم الجامعى الحكومى، والتعليم الجامعى الخاص، ويصبح التميز بين جامعة وأخرى غير معتمدا على نمط الملكية القانونية، فيقال هذا عام وذاك خاص، بل يصبح التمييز قائما على قدرة الجامعة على مواجهة هذه الإشكاليات، ووضع حلول لها، والمستفيد فى النهاية هو المجتمع وفقا لمبادئ العدل والجودة وتنمية الثقافة الوطنية، والتفاعل مع العالمية، وفيما يلى عرضا لأهم هذه الإشكاليات :

١ - التمويل :

إشكالية التمويل من الإشكاليات الهامة والصعبة، فالتعليم الجامعي بصفة عامة مطلوب منه من وجهة اجتماعية وتربوية الانتقال من تعليم الصفوة إلى التعليم للجميع، وفضلا عن أن ذلك حق وعدل، فإنه مطلب من مطالب التنمية الاجتماعية في كل مجتمع، وبالنسبة للتعليم الجامعي الخاص تنشأ الإشكالية عن قصور مصادر التمويل ومن ثم اللجوء إلى الطلبة كي يدفعوا التكلفة التي عادة ما تكون باهظة. فكيف نطلب تعليم الجماهير ويكون الشعار في نفس الوقت " المستفيد يدفع ؟ ! "

إن حل هذه الإشكالية لا يتم إلا بوجود تضافر قومي لمساندة هذا النوع من التعليم باعتباره مؤسسة قومية، وهدفها الأساسي ليس الربح، ولا بد للدولة أن تقوم بدور فعال في مساندة التعليم الجامعي الخاص ماديا وإداريا، وتشجيع فتح الأبواب أمام المصادر التالية للمساهمة:

- المؤسسات الدينية.
- الجمعيات الخيرية.
- مؤسسات المجتمع المدني.
- الإعانات الحكومية.
- الأوقاف.
- المشروعات الخاصة.
- الإعفاءات من الضرائب والجمارك والتمتع بميزات إدارية من الدولة.
- أنشطة اقتصادية تقوم بها المؤسسات التعليمية.

ولاشك أن الحلول الممكنة لتيسير قيام تعليم جامعي خاص في البلاد العربية كثيرة، وتتلون بلون أوضاع كل بلد، ففي الأردن مثلا تفرض الحكومة رسوما متنوعة (على الهاتف، الجمارك، عقود البيع، معاملات الحجز..) من أجل تمويل التعليم العالي.

وبصفة عامة توجد عدة نماذج في تمويل التعليم الجامعي الخاص، وتمثل الرسوم التعليمية التي يدفعها الطلبة أساس التمويل في معظم الجامعات الخاصة،

فمعظم الجامعات الخاصة لا تمتلك غطاءً تمويلياً، وتعتمد على تقديم الخدمات والاستشارات والبحوث للشركات العامة الخاصة.

ويوجد عدد قليل من الجامعات الخاصة لديها موارد تمويل أخرى، كالجامعات المنتمية إلى منظمات دينية، كما أن هناك عدد قليل من الجامعات في بعض الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية يعتمد على الأوقاف أو على إسهام الخريجين، وتقوم الحكومات في عدد قليل من الدول بدعم الجامعات الخاصة، وفي دول أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع الجامعات الخاصة منافسة الحكومية في مجال تمويل البحوث . وفيما يلي بيان لبعض نماذج التمويل:

أ- التعليم الجامعي الخاص جزء أساسي في النظم القومية، ولا تأتي موارده من مصادر عامة، وملكيته ليست في يد الحكومة، وتوزع المحاسبة بين عدة مؤسسات ومجموعات، والمثال على ذلك جمهورية كوريا (الجنوبية)، حيث تعتبر السيطرة من جانب القطاع الخاص جزءاً من نظام التعليم الجامعي، وتفرض الجهات الحكومية حدوداً على القيد وتحديد الرسوم الدراسية، وعدد هيئة التدريس والمرتبات، وتعد كوريا مثلاً للدول ذات السيطرة الحكومية القوية على القطاع الخاص، وتفرض القواعد الصارمة على الجامعات الخاصة.

ب- تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على نظام الانتماء غير الحكومي لضمان مستوى مقبول من جودة التعليم الجامعي الخاص، وتسعى هذه الجامعات لاحتلال موقع ملائم في النظام الأكاديمي بالمجتمع، فبقاؤها يعتمد على قدرتها في اجتذاب الطلبة.

ج- يتلقى معظم طلبة الكليات الخاصة في الهند دعماً من الحكومة، وتقدم الحكومة الفلبينية تمويلاً للجامعات الخاصة، وتقدم اليابان تمويلاً محدوداً لهذه الجامعات.

٢ - الاستقلال وحدوده :

تعمل الجامعات الخاصة في معظم دول العالم باستقلال إلى حد ما، فالتشريعات لا تقيد معظم الأنشطة والبرامج الأكاديمية، غير أن الاستقلال ليس كاملاً، وتوجد مستويات لحدود هذا الاستقلال، فهناك القوانين الخاصة بالجامعات غير الربحية والتشريعات الخاصة بالتعليم الجامعي بصفة عامة، وتشريعات خاصة بالتعليم الجامعي الخاص.

وتوجد عدة قضايا تتصل بدور الجامعات الخاصة، ومقدار الاستقلال الذي يجب أن يمنح لها والحرية في تحديد أهدافها ومستوياتها ورسومها الدراسية ومناهجها وسياسات التوظيف بها، وقد دارت المناقشات حول مدى خضوع هذه المؤسسات لضوابط معينة ضماناً للمعايير الوطنية الخاصة بجودة التعليم، ومراقبة الممارسات الأكاديمية، واعتبار الجامعات الخاصة جزءاً مكملاً للنظام الأكاديمي الخاضع للتوجيه العام، ومقدار مسؤولية التعليم الجامعي الخاص عن الصالح العام، والشكل الأمثل لمحاسبة التعليم الجامعي الخاص.

وقد تمت الدول ردوداً مختلفة على هذه المناقشات، فعدد قليل من الدول فرض ضوابط صارمة على التعليم الجامعي الخاص، بينما معظم الدول تمنحه قدراً معقولاً من الاستقلال، والاتجاه العالمي يشير إلى منح الجامعات الخاصة مزيداً من الحرية، وهناك اتجاه يشجع على بقاء التعليم الجامعي الخاص خاضعاً لنوع أو آخر من المحاسبة لضمان تقديم المعلومات الدقيقة والمفيدة للطلبة، والحفاظ على

قدر أساسي من الجودة . هذا وقد تكون الاستقلالية أحيانا في صدام مع توجيه السوق للتعليم الجامعي الخاص.

٣ - آليات السوق :

تتأثر الجامعات الخاصة تأثيرا كبيرا بآليات السوق، ولابد من التعامل معه، والتعامل مع السوق متقلب ومتغير بشدة، وقد يفرض ضغوطه، وبالتالي إما الانخراط فيه، فتفقد الجامعة هويتها الثقافية وتتعرض إلى اهتزازات شديدة بسبب تقلبات السوق، وإما الابتعاد عنه وحينئذ لا تملك الجامعة إلا أن تركز على المناهج الكلاسيكية التقليدية، وتبتعد عن روح العصر.

ولأن سوق التربية غالبا ما يكون سالباً، فلا بد من ابتكار ضوابط للتعامل معه دون أن نهتز بسببه أو ننزل عنه، كما يجب التحذير من أن قوى السوق قد تدفع الجامعات الخاصة - تحت ضغط التكلفة - إلى التخلص من كبار الأساتذة والوظائف الأكاديمية الدائمة المتميزة، والاعتماد على صغار أعضاء هيئة التدريس، وتنظم التوظيف المؤقت، والعمل بعض الوقت، فذلك كله إنما يهدم الجامعة في نهاية المطاف.

٤ - المكانة الأكاديمية :

تأتى الجامعات الخاصة فى الدول النامية فى مكانه أدنى من الجامعات الحكومية ويرجع ذلك إلى أن بناء المكانة الأكاديمية للجامعات الخاصة يستلزم وقتا طويلا بجانب محدودية مواردها. غير أن هناك استثناءات لذلك، حيث استطاعت جامعة " أغاخان " فى باكستان أن تحقق مكانة أكاديمية عالية بسرعة، وفى الأرجنتين حققت عدة جامعات خاصة حديثة سمعة أكاديمية طيبة. وفى الولايات المتحدة الأمريكية وصلت جامعات خاصة مثل جامعتى ستانفورد، وشيكاغو (والذى تم إنشائهما فى نهاية القرن التاسع عشر) إلى القمة بسرعة لاعتمادهما على موارد كبيرة للتمويل والإدارة الماهرة، مما أدى إلى نموها

السريع فى بيئة أكاديمية واجتماعية كانت فى حاجة إلى هذه المؤسسات الجديدة. وتشير الدراسات إلى أن هذه الجامعات تستخدم الكمبيوتر فى العملية التعليمية، وتعتمد الطلبة على الإنترنت كأداة للتعليم الذاتى، كما تتجه نحو المشروعات التعليمية التى تضع فى الاعتبار الاحتياجات الفردية للتعليم، كما يتحمل فيها الطلبة مسئوليات أكبر فى عمليات التعلم.

٥- نهاية عصر الوظيفة :

التغيرات الحادثة فى السوق والتكنولوجيا جعلت من الوظيفة أو المسار المهني Career مسألة متقلبة متغيرة هى الأخرى حيث تتفق الكتابات فى مجال التدريب Traning على أن طبيعة العمل أصبحت قابلة للتغير، وسيغير الفرد مهنته عدة مرات. وهذا الوضع يمثل إشكالية كبيرة أمام التعليم العالى كله بشقيه العام والخاص، لكنه أصعب بالنسبة للخاص الذى ترتبط مناهجه ومساقاته بالاحتياجات الآنية للسوق مدفوعا بحافز الربح، وهذا يفرض على الجامعات الخاصة الاهتمام بعملية التدريب والتدريب التحويلي Traning the Transformation ليكون همزة الوصل بين التعليم وسوق العمل. ولذلك فإن تفادى الضغوط العشوائية لتغيير البرامج والمساقات لا يجب أن يتم إلا بخطة عقلانية موضوعة مسبقا بعناية تقوم على :

أ- بناء مسارات تتجاوز درجة البكالوريوس فى شكل دورات تدريبية سريعة

تهدف إلى تحقيق إجازات محددة.

ب- دبلومات فى مجالات معينة قابلة للتغير.

ج- فتح الباب أمام عقود شراكة للتدريب، وعلى الجامعة أن يكون لديها برامج

تدريبية منظمة ومعدة لذلك وفقا لحاجات المتدربين، وأن يكون لها كوادرها التدريبية المؤهلة للتدريب بمفهومه المعاصر.

هذا بجانب أن يظل دور الدولة فاعلا وواعيا لتوجيه السياسات القومية ودعمها وتهيئة السبل لتنفيذها في القطاعين العام والخاص على السواء من التعليم الجامعي.

٦ - عالمية التعليم العالي :

كما تعددت الأشكال الاقتصادية في عصر العولمة من شركات عملاقة إلى شركات متعددة الجنسيات Transnational إلى شركات عابرة للقارات، كذلك التعليم العالي الآن، بل إن التعليم العالي سمته الأساسية منذ نشأته التاريخية هي العالمية، ولذلك فاستجابته الواسعة الآن لهذا المتغير - العولمة - تأتي بحكم طبيعته التاريخية ولا ضرر في ذلك، إلا أن الإشكالية تكمن في التعليم العالي الخاص المحلي كما يلي:

- هل يمكن أن يمتد بخدمته خارج الأوطان ؟ وهل يقدر على منافسة الجامعات الأجنبية متعددة الجنسية على أرضه ؟
- بالنسبة للوطن فالمسألة تختلف، فسواء قبلنا فروعاً Branches لجامعات أجنبية على أرض الوطن أو قبلنا أن نفتتح مؤسسات لاستضافة برامج أجنبية لجامعات متعددة الجنسية، فالسؤال : ما مدى ملائمة ومواءمة هذه البرامج للأهداف القومية التنموية والثقافية والهوية الوطنية ؟
- إن الدولة لابد أن يكون لديها ضوابطها المرنة التي لا تعوق ولا تمنع بل تستفيد وتتفاعل، لصالح مسارها الوطني.

٧ - المسئولية الثقافية :

التعليم العالي الخاص منهما - في بلدان العالم النامي - بأنه يتجاهل الوظيفة الثقافية للجامعة تحت وطأة ارتباطه بآليات السوق التي يعمل في إطارها مدفوعا بحافز الربح.

ولابد للجامعات الخاصة بأن تضع الخطط الواضحة والأهداف الإستراتيجية إزاء هذه المسؤولية، وأن تكون متضمنة في مخرجاتها التعليمية وخاضعة للمساءلة عنها من قبل هيئة مختصة، وتتم الوظيفة الثقافية للجامعة في ثلاثة اتجاهات هي

الاتجاه الأول : يهتم بإعداد طالب قادر على التفكير الواعي الناقد المرتبط بمشكلات مجتمعه وأمته وعالمه الذي يعيش فيه، ويتسلح بالتفكير العلمي، ومهتم بقضايا العلم والتكنولوجيا بصفة عامة مهما كان تخصصه.

الاتجاه الثاني : يتعلق بدور الجامعة إزاء نشر وتنمية الثقافة الوطنية على الصعيد الاجتماعي الجماعي.

الاتجاه الثالث : يرتبط بمساهمة الجامعة في البحوث العلمية في مجال الثقافة (ومنها الأدب، والفن، وفلسفة العلم، والثقافة الشعبية، ومشكلات المجتمع)

ثانيا : التعليم الجامعي الخاص : مبرراته - متطلباته.

إن خصخصة التعليم الجامعي - شأنها شأن الكثير من القضايا الجدلية في المجتمع - ليست أمرا يتطلب القبول أو الرفض، ويجب ألا ينظر إليها من زاوية " تكون أو لا تكون " فهناك مبررات كثيرة تؤكد الحاجة إلى تعليم جامعي خاص جنبا إلى جنب مع الجامعات الحكومية، بحيث يكون الاثنان نظاما متستقا يكمل أحدهما الآخر، كما أن هناك محاذير (سلبيات) حول هذا النوع من التعليم، وهذه تدعونا إلى النظر باهتمام لقضية خصخصة التعليم الجامعي ومحاولة السيطرة - قدر الإمكان - على سلبياتها وتعظيم إيجابياتها، وفيما يلي عرضا لهذه المبررات وتلك المحاذير.

أ) مبررات خصخصة التعليم الجامعي :

تعددت المبررات التي يستند عليها مؤيدو خصخصة التعليم الجامعي، ومن أهم هذه المبررات أو الإيجابيات ما يلي :

١- تخفيف العبء المالي عن كاهل الحكومات. ففي ظل تداعيات النظام الاقتصادي العالمي وسيطرة قوى السوق، وضعف قدرة الدول - خاصة النامية - على الإنفاق بسخاء على التعليم الجامعي المتنامي، فقد صار التعليم الجامعي مكلفا بدرجة كبيرة، خاصة بالنسبة للتخصصات المرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة، كما صار هذا التعليم محتاجا لإنفاق متزايد بالنظر إلى تنامي عدد السكان وتزايد الطلب الاجتماعي عليه، ورغبة الدول نفسها في التوسع فيه.

ومن هنا لم تعد معظم الدول في العالم قادرة على توفيره مجانيا، خاصة إذا كان الهدف تقديم تعليم جامعي على أعلى درجة من الجودة، ومن ثم صار من الضروري أن تتحمل مؤسسات المجتمع المدني وتنظيماته غير الحكومية بعض مسئولية إنشاء مؤسسات خاصة بالتعليم الجامعي، لأنها المستفيد الأول من مخرجات النظام التعليمي. بالإضافة إلى أن منظمة التجارة العالمية جعلت من شروط الانضمام إليها تطبيق نظام الخصخصة.

٢- إن الجامعات الخاصة توفر فرصا جديدة للتعليم الجامعي ليست بديلا لتلك التي توفرها الجامعات الحكومية وإنما رديفا لها. فخصخصة التعليم الجامعي لا تعني أن تحل الجامعات الخاصة محل الجامعات الحكومية، وإنما تعني أن هناك في نظام التعليم الجامعي مكانا لكل من الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة يعملان في تناسق وتكامل.

٣- استيعاب جميع الراغبين في التعليم الجامعي. حيث إن نسبة التعليم الجامعي في الوطن العربي أقل بكثير من غالبية الدول الأجنبية. فهي في مصر

(١٩ %)، وفي الأردن (٢٧ %)، وفي لبنان (٢٨ %)، بينما في إسرائيل (٣٤ %)، وتتراوح في معظم دول أوروبا بين (٣٠ % إلى ٤٠ %) وفي أمريكا (٥٩ %) وتصل في كندا إلى (٦٢ %) - وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن نسبة الالتحاق بالتعليم العالي في الوطن العربي قد ارتفعت من (٤ %) من الفئة العمرية (١٨ - ٢٤ عاما) عام ١٩٧٠م إلى حوالي (١٢ %) عام ١٩٩٠م، ثم وصلت إلى حوالي (١٦ %) عام ٢٠٠٠م، لكن هذه الزيادة تتضاءل إذا ما قورنت بمعدلات الالتحاق في الدول الصناعية التي ارتفعت من (٢٤ %) عام ١٩٧٠م إلى حوالي (٤٠ %) عام ١٩٩٠م، وإلى (٤٥ %)

عام ٢٠٠٠م. وهذه الزيادة الكبيرة في معدلات الالتحاق بالتعليم الجامعي في الدول الصناعية لم تحدث إلا نتيجة لتنوع البنى والأشكال للتعليم العالي والاستثمار فيه لحسابه وليس على حسابه.

فالجامعات الخاصة إذن قد تعف الدولة من بعض الضغوط التي تمارس عليها لكي يستوعب التعليم الجامعي جميع خريجي الثانوية العامة، وهي ضغوط بالطبع لها أبعادها السياسية والاجتماعية، حيث تقبل الجامعات الحكومية الطلبة وفقا لمعيار الأفضلية، وتحيل باقي الطلبة ومن لم يؤهله مجموعه في الثانوية العامة للتوجه إلى الجامعات الخاصة.

٤ - المساهمة في حل مشكلة التكدس والازدحام الكبير للطلبة في الجامعات الحكومية. مما كان له أثره في ضعف كفاية التعليم المقدم فيها، كما أن قبول الطلبة القادرين ماديا في الجامعات الخاصة سيؤدي إلى توفير أماكن بالجامعات الحكومية لغير القادرين ماديا من أبناء المجتمع.

٥- إشاعة روح التنافس، حيث يشير " جرين " Green إلى أن خصخصة التعليم ينتج عنها ثلاثة أنواع من الميكانيزمات يتوقع أن تؤدي إلى إصلاح التعليم، فهي تشجع التنافس بين رؤوس الأموال بما يتوقع أن يتولد عنه تخفيض التكلفة وتحسين النوعية، كما أنها تعمل على إيجاد التوافق ما بين الخدمات التعليمية المقدمة ورغبات المستهلكين لها (الأهل والطلبة)، وهي كذلك تؤدي إلى تحفيز الأهل على مزيد من التعاون مع المؤسسات التعليمية. كما أن التعليم الخاص يزداد نشاطه وحماسه باستمرار بسبب حافز الربح.

فإقامة الجامعات الخاصة بجانب الحكومية سوف يحفز الجامعات الحكومية على الارتقاء بأدائها لأن الجامعات الخاصة تستقطب الطلبة الذين يدفعون أجور تعليمهم ويختارون تخصصاتهم، وهذا الإجراء يضمن المستوى التعليمي الواحد لجميع الطلبة ويمنع تدنى مستوى التعليم، ويحقق نوعاً من الديمقراطية بفتح الأبواب لكل راغب في التعليم.

كما أن الجامعات الخاصة سوف ينافس بعضها البعض بإنشاء تخصصات جديدة يحتاجها المجتمع، واستخدام أساليب تعليمية متطورة، وتبنى نظم إدارية ذات كفاءة عالية بسبب حافز الربح.

وحصيلة ذلك بالضرورة تطوير مستمر لنظام التعليم الجامعي، ويبقى دور الحكومات الرقابى لضبط النوعية في جامعاتها.

٦- إن الجامعات الخاصة تراعى حاجات الطلبة وميولهم. لأن الجامعات الخاصة تستقطب الطلبة الذين يدفعون أجور تعليمهم، والطالب عندما يدفع رسوم تعليمه ترتفع كفاءته بسبب اجتهاده واهتمامه مما يحسن الكفاءة الداخلية للمؤسسات التعليمية، كما أن استهلاكه يصبح أكثر انضباطاً وعقلانية بسبب

دفع التكاليف. فالإنسان يميل إلى ازدراء ما لا يدفع ثمنه بينما المجانية تحفز الناس على الاستهلاك العشوائي، وتعد مصدر هدر وتبذير.

٧- إن الجامعات الخاصة تتيح فرصا للتعليم الجامعي داخل الوطن لاستيعاب أبناء القادرين، بدلا من هجرتهم إلى الجامعات الأجنبية خارج بلادهم، مع كل ما يعنيه ذلك من مخاطر وكلفة فيتجنبوا ألوانا كثيرة من الانحرافات نتيجة وجودهم خارج نطاق إشراف أسرهم، بالإضافة إلى توفير العملة الصعبة التي يدفعها الطلبة فبلدهم أولى بهذا الإنفاق. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه بوجود هذه الجامعات - في مصر - يمكن تصحيح آثار ما عرف بمشكلة التحويلات من جامعات دول الكتلة الاشتراكية (سابقا)، حيث تمكن بعض أبناء الوجهاء من التحويل من جامعات هذه الدول إلى كليات الطب والهندسة بالجامعات المصرية (الحكومية)، على الرغم من حصول بعضهم على (٥٠%) في الثانوية العامة، كما أن بعضهم لم يسافر إلى هذه الجامعات من الأصل وتم التحويل على الورق.

ومما يؤكد هذا المبرر ما أعلنه الدكتور كمال الجنزوري - نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط الأسبق - في جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٤ / ٩ / ١٩٩٢ بأن الإحصائيات تؤكد أنه يوجد بالخارج (١٠) عشرة آلاف مصرياً يدرسون خارج مصر، ويسددون مصروفات دراسية للجامعات الأجنبية تقدر بحوالى (١٠٠) مائة مليون دولار، وأن هناك نحو (١٠) عشرة آلاف عربياً يدرسون في أوروبا وأمريكا ويرغبون في الدراسة بمصر مؤكداً أن إنشاء الجامعات الخاصة سيوفر لمصر نحو (٢٠٠) مائتين مليون دولاراً، نصفها ينفقها المصريون بالخارج، والنصف الآخر تحصل عليه مصر من إتاحة الفرصة للطلبة العرب للدراسة بكليات الجامعات الخاصة المصرية.

ويمكن إرجاع هذا المبرر إلى أن النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد، قد أفرز في الكثير من الدول النامية شريحة من الناس تتمتع بمستويات اقتصادية واجتماعية متميزة، وتبحث عن تعليم جامعي متميز أيضا، وقد صار لهذه الشريحة نفوذها السياسي والاجتماعي، وترغب في تأكيد وجودها السياسي والاجتماعي من خلال تنشئة أبنائهم في مؤسسات تعليمية جامعية يركنون إلى توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية، ويضمنون بها تأكيد وجودهم كقوة اقتصادية اجتماعية سياسية تضمن مصالحهم وتصور طموحاتهم .

وبالمقابل فقد كان رد الفعل لهذا التوجه نشوء قوى اجتماعية أخرى تنادى بأن تتولى هذه الشريحة الاجتماعية الجديدة الإنفاق على أبنائها من جيبها الخاص، فليس من العدل أن تكون هذه الفئة الجديدة التي تشغل قمة الهيكل الاجتماعي قادرة على الإنفاق على تعليم أبنائها، وفي نفس الوقت ينافسون أبناء الطبقات الفقيرة في الحصول على أماكن متميزة، وذات ندرة في الجامعات الحكومية بحكم قدرتها التحصيلية التي وفرتها لهم عوامل اقتصادية وتعليمية.

٨- إن الجامعات الخاصة بحكم ما تتمتع به من استقلالية ومرونة، قد تكون أقدر على التكيف مع المتغيرات الحديثة. وقد تستجيب على نحو أسرع وأفضل لمطالب السوق لتقديمها تعليم ملائم ومتميز يلبي حاجات الفرد والمجتمع ، لأن الطالب الذي يدفع تكاليف تعليمه يختار تخصصه وفقا لاعتبارات اقتصادية، ويتجه لأنواع التعليم ذات المردود الاقتصادي العالي، وإلى المهن التي يرتفع الطلب عليها في سوق العمل.

فتحرر الجامعات الخاصة من جمود النظم البيروقراطية، وبعدها عن هيمنة السلطة السياسية، سواء بالنسبة لسياسات القبول، ونظم التعليم والمناهج

والتقويم، قد يعطيها فرصة أكبر للتكيف مع متطلبات السوق، وإقامة علاقات تعاون مع جامعات أجنبية.

٩- إن الجامعات الخاصة تسهم في التنمية الاقتصادية، وليس هذا فقط بحكم ما تنتجه من قوى بشرية مدربة أو من بحوث لها مردودها الاقتصادي، وإنما باعتبارها مشروعات، تستثمر فيها أموال كبيرة في إنشاء مباني وتزويدها بالتجهيزات المختلفة، وجذب استثمارات، وتوفير فرص عمل لكثير من الأفراد الذين يعملون في خدمات لهذه الجامعات.

١٠- إن الجامعات الخاصة سوف تحدث بالضرورة تغيرات في سلم رواتب أعضاء هيئة التدريس والفئات المعاونة مما سينعكس أثره على رفع معنويات العاملين بالجامعات وتحسين مستويات أدائهم للعمل.

١١- إن الجامعات الخاصة تتمشى مع الاتجاه العالمي نحو الخصخصة واقتصاد السوق، بالإضافة إلى وجود تعليم خاص قائم من قبل في التعليم قبل الجامعي، ووجود المعاهد العالية الخاصة في التعليم العالي، وكذا المعاهد العليا الخاصة بمصروفات التابعة لبعض الجمعيات الأهلية أو لأشخاص.

١٢- إن الجامعات الخاصة هي جامعات للمستقبل وللمتميزين ذهنياً وعلمياً ومادياً - وليس للفاشلين دراسياً -، يتجاوز سلبات الجامعات الحكومية ومواكبة التطورات في العلوم الحديثة. فالجامعات الخاصة ستركز على مجالات حديثة تماماً يحتاجها المجتمع وغير موجودة بالجامعات الحكومية. وهذه المجالات تتطلب تكنولوجيا متقدمة مثل الهندسة الوراثية، وعلوم الفضاء والذرة، والحاسبات الآلية.. وذلك من أجل مسايرة التطور العالمي الرهيب الذي لا مكان فيه للجمود.

١٣- نجاح الجامعات الخاصة في المجتمعات المتقدمة، وقيامها بتأدية دورها إلى جانب الجامعات الحكومية، فماذا يمنع من نقل فكرة نجاح هذه الجامعات في بلادها إلى بلاد أخرى مجارة للتقدم الحادث في تلك المجتمعات المتقدمة

ب) محاذير فخصة التعليم الجامعي :

إذا كان لخصخصة التعليم الجامعي مبرراتها القوية السابقة والتي تدعو إلى التوسع فيه، فإن هناك بالمقابل محاذير قوية يجب مراعاتها ومواجهتها، لما قد يكون لها من آثار سيئة على مسيرة التعليم الجامعي في الوطن العربي، ويمكن تلخيص هذه المحاذير أو السلبيات فيما يلي:

١- إن الجامعات الخاصة قد لا تقدم تعليماً جيداً، أو تخصصات نادرة - كما ورد بأهدافها - وذلك لعدة أسباب أهمها :

قد لا تقدم الجامعات الخاصة برامج تعليمية تلبى الاحتياجات الحقيقية للمجتمع بالرغم من وصفها بأنها أكثر قدرة على تكييف برامجها التعليمية لهذه الاحتياجات الجديدة، فهي قد تهمل التخصصات ذات الكلفة العالية وتهتم بتقديم برامج ذات كلفة قليلة. وذلك لعدم اكتمال شروط السوق لتسويق خدمة التعليم، إذ أن القطاع الخاص لا يقدم على الاستثمارات الكبيرة في التعليم، لأن الأفراد عندما يقترضون من سوق الائتمان لشراء رأس المال المادي، فإنهم يعيدون رأس المال المادي لسداد دينهم في حال عجزهم عن التسديد، أو عند فشل مشروعهم، بينما المستثمر في التعليم لا يمكنه بيع رأس ماله البشري لتسديد دينه . كما أن السوق متقلب ومتغير بشدة وقد يفرض ضغوطه، وفق تقرير خاص عن الاتجاهات والتطورات التي حدثت في التعليم العالي في أوروبا، ونشر عام ٢٠٠٣م ما يؤكد أهمية

معالجة التوتر القائم في الجامعات الأوروبية بين الاعتراف الأكاديمي بالتدريب والمؤهلات العلمية المناسبة لسوق العمل.

ولأنه يأخذ الطابع التجاري بوصفه مشروعا استثماريا، فإن التعليم الخاص لا يؤتمن على توجيه التعليم وتخطيطه وتطويره، وضمان التنسيق بينه وبين القطاعات الأخرى. لأنه سوف يعطى الأولوية للقدرات المادية على حساب القدرات العقلية، ومن ثم فقد تستخدم الجامعات الخاصة أساليب لجذب طلبة قد لا تتوافر فيهم المقاييس والمواصفات المطلوبة في طالب الجامعة، مما يؤثر في النهاية على نوعية مخرجات هذه الجامعات من خريجين.

أثبتت دراسات علم النفس، وجود علاقة موجبة بين التحصيل المدرسي وقدرات التفكير الابتكاري. ووجود علاقة دالة بين التحصيل الدراسي والتوافق الشخصي والاجتماعي، وبين التحصيل الدراسي والقدرة على التفكير. وأن المتفوقين تحصيليا أكثر ذكاءً وأكثر حساسية بالقيمة الذاتية

وإذا كانت الجامعات الخاصة تستقبل الطلبة القادرين ماليا المنخفضين تحصيليا ذوي القدرات العقلية الأقل، والتي لم تمكنهم من التفوق الدراسي فإنه من غير المتوقع أن تتوفر لدى هؤلاء الطلبة الصلاحية الدراسية لتخصصات عصرية غير نمطية - طبقا لأهداف الجامعات الخاصة - كتكنولوجيا الحاسب، والفضاء، والهندسة الوراثية، والفيزياء النووية وغير ذلك من تخصصات نادرة.

٢- إن الجامعات الخاصة قد تنزع التعليم الجامعي من إطاره الثقافي الوطني أو القومي، وستكون إحدى حلقات التبعية والتغريب والإفساد في حياة المجتمع

مما يصيب عملية الاستقرار الاجتماعي والأمن القومي في مقتل - باعتبار التعليم قضية أمن قومي - وذلك لعدة أسباب منها :

■ إن ولاءات الجامعات الخاصة، طلابا وأساتذة قد لا تكون للثقافة القومية والهوية الوطنية، وقد يرجع ذلك لانفتاح بعض هذه الجامعات بشدة على الثقافة العالمية، أو ثقافة بعض المجتمعات التي ارتبطت بعض الجامعات الخاصة بها، الأمر الذي يمكن أن يحدث تصدعات شديدة في ثقافة المجتمع وتماسكه الاجتماعي

■ إن السماح بخصخصة التعليم الجامعي - ووفقا للإجراءات والنظم المتبعة - يعطى الحق لكل حزب سياسي، وكل جمعية أهلية تعاونية، وكل أصحاب عقيدة (إسلامية، مسيحية، يهودية)، وكل نقابة مهنية، لإنشاء جامعة خاصة يمولها ويديرها، مما يضع الحكومات العربية في حرج سياسي كبير، خاصة أمام الدول ذات الضغط السياسي والعسكري والغذائي، والتي قد تزكى مثل هذا التصنيف، فتضرب بذلك السلام الاجتماعي والاستقرار الداخلي بحجر مسموم.

■ إن الجامعات الخاصة قد يسمح في قاتون إنشائها - في بعض الدول العربية بمشاركة رأس المال الوطني لرأس المال الأجنبي، وفي هذا اختراق وغزو لقلب وعقل المجتمع وذلك استنادا على عدة مبررات أهمها :

إن التمويل الخارجي يستلزم وقوف المستثمر الخارجي على اتجاه حركة أمواله للاطمئنان على أهدافه الربحية وغير الربحية، مما يمكن هذا الشريك الأجنبي من الاطلاع على كل ما يهمه في المشروعات التي أسهم فيها، الأمر الذي يمثل خطورة غير منظورة على الأمن القومي.

التمويل الخارجي يمكن صاحبه من التدخل في الشؤون الأكاديمية، ويعنى هذا التدخل وجود خبراء من جانب الممولين يعملون في مشروعات

التمويل، ويعنى بحوثا مشتركة، وقد يكون فى ذلك خطورة إن اتصل الأمر بإحصاءات ومعلومات وبيانات قومية.

٣- إن الجامعات الخاصة قد تقوض ديمقراطية التعليم الجامعى، وتهدد مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية للذين وردا بالدستور - فى غالبية البلاد العربية - وقد جاء الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى وافقت عليه الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، مؤكدا على ديمقراطية التعليم الجامعى والتى تنص المادة (٢٨) منه على " توفير التعليم العالى باعتباره حقا أساسيا يجب أن يتوافر قدر الإمكان للأجيال القادمة، دون تمييز أو تفرقة، إلا تلك الفروق التى تتعلق بقدرات الأشخاص على التعليم، كما يجب أن يكون التعليم العالى مجانيا " .

وعلى اعتبار أن ديمقراطية التعليم الجامعى وتكافؤ فرصه ومجانيته حق من حقوق البشر والمواطنين نصت عليه المواثيق الدولية والدساتير الوطنية، فإن كل جامعة يجب أن تضمن لطلابها هذه المساواة وتكافؤ الفرص التعليمية والمعيشية.

ومن المسلم به أن تحقيق السلام الاجتماعى بين أفراد المجتمع يتوقف بدرجة كبيرة على شعور الأفراد بأنهم متساوون - باستثناء الكفاءات - أمام الفرص المتاحة فى المجتمع وأن التمييز لا يتم عن طريق الإمكانيات المادية.

وبناءً على ذلك وكما يقول الرافضون لقيام جامعات خاصة، فإن تصنيف الطلبة تصنيفا طبقيا إلى أبناء أغنياء وأبناء فقراء يهدد مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، ويزرع الحقد فى النفوس ويولد العداوة بين أفراد المجتمع الواحد المتفاوتين فى الثروات، وفى هذا تقويض للديمقراطية وهدم للمجتمع.

ويرد مؤيدو خصخصة التعليم الجامعي على ذلك بأن : قضية تكافؤ الفرص التعليمية لها أبعادها المختلفة التي لا يعبر عنها فقط وجود تعليم جامعي خاص يعمل جنباً إلى جنب مع الجامعات الحكومية، وبالنسبة لمسألة المجانية فإن المجانية مكفولة في الجامعات الحكومية باعتبارها من مؤسسات الدولة التعليمية كما أن هناك تعظيماً خاصاً قبل الجامعة دونما تعارض مع الدستور، إذن لا علاقة للدستور بالأمر.

٤- إن الجامعات الخاصة يمكن أن تؤدي إلى ظهور طبقة التعليم العالي، وذلك لعدة أسباب منها :

■ قد لا يؤدي التعليم الخاص إلى تحقيق أهداف المجتمع، بل يحقق أهداف فئة واحدة من فئات المجتمع، فيسهم بذلك في تعميق التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية. ذلك لأن قوى السوق تساعد في نشر عدم العدالة بين الناس في وصولهم إلى المصادر التعليمية، سواء أكانت على أساس النوع، أم الطبقة الاجتماعية، أم المستوى الاقتصادي، أم غير ذلك.

وبالنسبة للتعليم الجامعي الخاص تحديداً. فسوف يقتصر على الطبقات القادرة مالياً ولن يفيد شريحة أوسع من المجتمع مع حرمان الأغلبية من هذا الحق، علاوة على أن طبقة التعليم العالي تمثل خطراً كبيراً يهدد الأمن القومي.

■ إن الخصخصة قد تكون مجالا لاحتكار التعليم عندما ينظر إليه بوصفه صناعة تجارية، ويمكن القياس على ما يحدث حالياً في الشركات التجارية المحتكرة للخدمات العامة مثل الاتصالات، وخطوط السكك الحديدية والطيران والكهرباء وغيرها من الشركات التي أدى احتكارها للسوق إلى أن تتحرر من قيود التنافس الذي كان متوقفاً أن ينتج عنه تقديم خدمات أفضل بأسعار أقل.

٥- إن الجامعات الخاصة، قد تستقطب أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الحكومية، فتسهم بذلك في إضعاف الجامعات الحكومية، وحرمانها من خبرة أعضاء هيئتها التدريسية، خاصة إذا كانت الرواتب التي يمكن تقديمها بهذه الجامعات أفضل مما تقدم في نظيرتها الحكومية.

٦- إن الجامعات الخاصة قد ترسخ بعض المفاهيم والقيم السالبة في المجتمع، خاصة أن ما يتم التركيز عليه في الممارسة العملية للقياس والتقويم يقتصر غالباً على الجانب المعرفي وتبقى الأهداف الشخصية والاجتماعية للتعليم العالي للإهمال . مع أن المتفق عليه هو أن القيم تمثل رأس المال الاجتماعي في كل أمة، وأن إصلاح القيم أساس لأي إصلاح تربوي، ولا بد لكل طالب أن يمتلك هوية خلقية، ولا يستطيع الطالب بناء هذه الهوية إلا إذا كان للنظام التربوي يتيح له الفرصة المناسبة لبنائها.

ويمكن التخوف هنا في أن الجامعات الخاصة قد تعلى من القيم المادية على حساب القيم الروحية، وقيم العالمية على حساب قيم المواطنة، وقيم الفردية على حساب قيم الجماعية، وتعلى من قيم الثقافة الغربية على قيم الثقافة الإسلامية، وقيم الصراع على حساب قيم التكافل، وقيم الانعزالية السياسية على قيم المشاركة الوطنية.

هذا بالإضافة إلى أن معظم طلبة الجامعات الخاصة من طبقات متميزة اجتماعياً أصلاً، وسوف يحتلون عند تخرجهم الوظائف الواعدة في المجتمع - على حساب أبناء فئات الشعب الفقيرة - وبالضرورة سوف ينحازون نحو القطاع الحديث على حساب القطاع الريفي، ونحو التحرر على حساب المحافظة، مما يؤدي إلى انفصامات في المجتمع، قد يكون لها عواقبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة.

٧- إن الجامعات الخاصة قد تسمح لأعداد كبيرة من الطلبة القادرين ماليا - بوصفها حقل استثماري - أن يلتحقوا بها وبالتالي يحصل تنوع كبير في نوعية الطلبة القادرين ماديا، وهذا التنوع يطرح أسئلة حول ما إذا كانت الأعراف والتقاليد، ومعايير السلوك الأخلاقي موضع فتاعة مشتركة لدى الطلبة ؟ ولاشك في أن ذلك يجعل الجامعة - والخاصة تحديدا - في مواجهة تحديات أخلاقية حقيقية. ولأن البعد الأخلاقي من الجامعة كان دوما مصدر قوتها وإنتاجيتها، وأن هذا البعد نفسه أصبح في العقود الأخيرة مصدر ضعفها وتدهورها. لذا فقد لاحظت وثيقة " الإعلان العالمي حول التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين - رؤية وتنفيذ "، التي أصدرتها اليونسكو عام ١٩٩٨م، أن المجتمعات المعاصرة في العالم تمر بأزمة عميقة في مجال القيم، وقد دعت إلى تبني قيم خاصة للتعليم العالي (المادة الأولى)، وتحديد معايير أخلاقية (المادة السادسة)، وضرورة أخذ القيم الثقافية الوطنية بعين الاعتبار (المادة الحادية عشر). وعليه فمن الضروري تحديد معايير أخلاقية، وأخذ القيم الثقافية والوطنية بعين الاعتبار في جامعاتنا العربية وتحديد الخاصة منها نظرا لتمويلها الخاص من ناحية، واحتمال وجود شراكة أجنبية من ناحية أخرى، وما يترتب على هذه الأمور من مثالب سبق ذكرها آنفا.

وبعد....

يتضح من العرض السابق لمبررات ومحاذير خصخصة التعليم الجامعي أن هذه القضية لها جوانبها الإيجابية كما أن لها جوانبها السلبية، ولأن الجامعات الخاصة أصبحت واقعا له ضرورته في هيكل التعليم العالي في الوطن العربي وذلك في ظل النظام العالمي الجديد، لذا فإتبه يجب تعظيم الجوانب الإيجابية لهذه

الجامعات، ومحاولة السيطرة - بقدر الإمكان - على جوانبها السلبية، ولا تترك الأمور تجرى على عواهنها، إذ لابد أن يصل أصحاب القرار - في كل قطر عربي - إلى حلول عملية حول طبيعة النمط والشروط والظروف التي يجب أن تتوافر للتعليم الجامعي الخاص وبما يتلاءم مع ظروف هذا القطر، حتى لا نفر من داء إلى داء، وهنا يظهر على السطح أهمية إنشاء جهاز خاص على أعلى مستوى لاعتماد هذه الجامعات الخاصة واعتماد الشهادات التي تصدرها، هذا ويمكن من خلال المبررات والمحاذير السابقة لخصخصة التعليم الجامعي استخلاص عدة سمات أو ملامح تمثل قواسم مشتركة في نشأة التعليم الجامعي الخاص وتحدياته في البلاد العربية، ومن أهم هذه الملامح والسمات ما يلي :

■ أهم سمة مشتركة تسم التعليم الجامعي الخاص في البلدان العربية، أن على رأس أسباب نشأته عجز التعليم الجامعي الحكومي عن استيعاب جميع الراغبين في الانتساب إليه، لاسيما بعد تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي في السنوات الأخيرة، ويتبع هذا اضطرار العديد من الراغبين فيه الالتحاق بمؤسساته في غير بلادهم، بما في ذلك البلاد الأجنبية.

على أن هناك أسباب أخرى إيجابية لنشوء التعليم الجامعي الخاص، وهي الرغبة في اجتناب التدني النوعي في مستوى التعليم الجامعي الحكومي، وفي إنشاء مؤسسات تعمل على تطوير التعليم العالي تطويراً علمياً وتقنياً وإدارياً، يجعلها أشد ارتباطاً بجامعات المجتمع المتجددة، وأقدر على تلبية حاجات سوق العمل، وحاجات التنمية بوجه عام.

■ إن الجامعات والكليات الخاصة في بلدان العالم العربي قد نشأت ونمت تحت هيمنة النظم والمناهج التقليدية للجامعات الحكومية القائمة في العالم العربي، بحيث لا تعدو أن تكون تكراراً للجامعات الحكومية القائمة في معظم

الأحوال . فى حين أن من أهم مبررات نشأتها أن تلبي - فى هياكلها ومضمونها - حاجات التطور العلمى المتجدد، ومطالب سوق العمل المتغيرة.

■ إن أنشطة الجامعات والكليات الخاصة فى العالم العربى، تنصب (هى الأخرى) على التدريس، وتقديم البرامج المرتبطة بسوق العمل مازال يتم بطريقة تقليدية، وقد تجاهلت هذه الجامعات والكليات الخاصة الوظائف الخاصة بالجامعة والمنطقة بخدمة المجتمع وإنتاج المعرفة.

■ إن التعليم الجامعى الخاص فى البلاد العربية مازال فى بداياته وربما مازال لم يتحرر بعد من هيمنة أو تأثير الإطار أو النمط العام التقليدى، وقد يكون ذلك دليلا أيضا على أن فكر وفلسفات التعليم الجامعى الخاصة لم ينضجا بعد فى عالمنا العربى، وأن الجامعات الخاصة العربية - وإن كانت قد بدأت بالفعل فى النشأة والنمو -، لم تكن وليدة فلسفات أو أفكار استراتيجية، بل كانت وليدة نشاطات مالية فى سوق التجارة، ولعل الاهتمام الحادث الآن يمكن أن يعطى زخما فكريا يساعد على ترشيد تجربة التعليم الجامعى الخاص فى العالم العربى.

■ عدم توافر هيئة تدريسية متفرغة فى معظم الأحوال، والاعتماد على الأساتذة المتنقلين بينها وبين الجامعات الحكومية، وقد يرجع ذلك إلى حداثة هذا النوع من التعليم الجامعى، الأمر الذى لا يسمح بعد بإعداد هيئة تدريس متفرغة للجامعات الخاصة بدأت بتعيين معيدين وانتهت بحصولهم على الماجستير والدكتوراه وترقيهم إلى درجة أستاذ مساعد أو أستاذ. هذا بالإضافة إلى قلة توافر الأبنية الجامعية الملائمة ونقص التجهيزات والمختبرات والمكتبات وسواها من هياكل الجامعة الأساسية وذلك فى بعض الدول العربية مثل الجمهورية اليمنية.

- لم يتمكن التعليم الجامعي الخاص في البلاد العربية حتى الآن من كسب ثقة المواطن فيه، بحيث يصبح منافسا للتعليم الجامعي الحكومي، هذه الثقة التي تؤدي إلى الارتقاء به كما هو متوقع منه، هذا بالإضافة إلى ارتفاع رسومه الدراسية، بحيث تفوق قدرة معظم الراغبين في الدراسة في مؤسساته، وترتب على ذلك استمرار الضغط على التعليم الجامعي الحكومي إلى جانب عدم تعود المواطن على شراء الخدمة التعليمية، واعتقاده بأن ذلك من مسؤولية الدولة وحدها.
- معظم مؤسسات التعليم العالي الخاصة في البلاد العربية مؤسسات ربحية هدفها الأول استثمار الأموال في التعليم العالي، على غرار ما يجري في جميع قطاعات العمل والنشاط. فجميع الجامعات الخاصة في الأردن قد أنشئت كشركات تجارية استثمارية، يحكمها قانون الشركات الأردني. وفي المغرب تخضع الجامعات الخاصة للقانون التجاري، وفي الإمارات العربية المتحدة، وفي اليمن تستند الجامعات الخاصة في تمويلها إلى شركات ووحدات استثمارية، وكذلك في مصر فمعظم الجامعات والمعاهد العليا الخاصة ربحية، وإن كان القانون قد وضع سقفا لأرباح أصحاب رؤوس الأموال (٤%)، إلا أن الأمر مازال موضوع تجديد وتطوير.
- رغم وجود هيئات للاعتماد الأكاديمي في بعض البلاد العربية (مجلس الاعتماد الأكاديمي بالأردن، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات العربية المتحدة) فإن عملية الاعتراف الأكاديمي لم تترسخ بعد ولم تصبح آلية أو جزءا لا يتجزأ من البنية التعليمية للجامعة أو الكلية موضع الاعتماد، ولذلك مازالت الحاجة قائمة إلى تفعيل آليات الاعتراف الأكاديمي بمعايير ومستويات لا تقل عن المعايير والمستويات العالمية التي

نحتكم إليها للحكم على كل من الجامعات والكليات الخاصة والحكومية على السواء.

وبعد هذا العرض لإيجابيات وسلبيات التعليم الجامعي الخاص وأهم السمات المشتركة له في البلاد العربية، في الوقت الذي نحاول فيه علاج أهم إشكالياته أو التخفيف من حدتها على الأقل، ذلك أن التعليم الجامعي الخاص إنما ولد ليبقى، حيث يؤمل عليه الكثير تجاه المجتمع الذي ولد فيه، فما هي إذن متطلبات المجتمعات العربية من التعليم الجامعي الخاص في عصر المعرفة ذات التغير سريع الإيقاع ؟

ج- متطلبات المجتمع العربي من التعليم الجامعي الخاص :

مع تضارب سياسات الإصلاح في النظام التعليمي ككل في ظل حدة التحديات العالمية، تصبح الحلول التقليدية عاجزة عن معالجة المشكلات الاجتماعية في المجتمع العربي والآخذة في التراكم، مما يتطلب معالجتها بالحلول الإبداعية. ومن هنا يتجه المجتمع إلى التعليم الجامعي يلتمس منه الحلول لبعض المشكلات، وبالرغم من أن التعليم الجامعي الخاص له مخاطره وتحدياته - التي سبق ذكرها - فإنه أصبح واقعا له وجود، لذا ينبغي أن يؤدي دوره تجاه المجتمع.

وقد أمكن تحديد متطلبات المجتمع من الجامعات الخاصة في ثلاث متطلبات هي : متطلبات الترابط الاجتماعي، المتطلبات الأكاديمية، متطلبات سوق العمل. وذلك على النحو التالي:

١) متطلبات الترابط الاجتماعي : Social Cohesion Requirements

تؤكد الدراسات المقارنة أن تحقيق العدل الاجتماعي يرتبط ارتباطاً مباشراً بتكافؤ الفرص التعليمية، وإتاحة الإمكانيات لتمتع الفرد بحق التعليم، حتى لا تحول العوامل المادية والاقتصادية دون تمتعه بذلك الحق . كما أشار البنك الدولي في

بعض أوراق العمل التي يصدرها إلى أن الفرص المتاحة من التعليم تسهم بصورة إيجابية في توفير الظروف المؤدية إلى ضمانات أوثق للتماسك الاجتماعي والسلام الاجتماعي.

والتعليم الجامعي يقوم بدور فعال في دعم مبدأ العدل الاجتماعي الذي يتيح مجالا لمواجهة الثروة والنفوذ، وإفساح المجال لتكافؤ الفرص التعليمية على أساس القدرات والاستعدادات العقلية والمواهب.

ومن هنا ينتظر المجتمع من الجامعات الخاصة أن تسهم في أن يأخذ المتعلمون مواقعهم في البيئة الاجتماعية نتيجة قدراتهم واستعداداتهم العقلية ومواهبهم بعيدا عن أي اعتبارات خارج قدراتهم الذاتية، مما يترتب عليه إيجاد مقومات الاندماج الاجتماعي، وذلك بقبول نسبة من الطلبة الفقراء المتميزين، الذين لم يقبلوا بكليات حكومية يرغبون الدراسة فيها نتيجة نقص مجموعهم في الثانوية العامة عدة درجات عما حدده مكتب التنسيق، بالإضافة إلى تحديد رسوم دراسية تتناسب مع المستوى الاقتصادي للمجتمع الذي توجد فيه هذه الجامعات.

٢ - متطلبات أكاديمية : Academic Requirements

مع التوسع في التعليم الجامعي الخاص، وزيادة عدد الطلبة المقيدين به تزداد المسؤوليات الأكاديمية، مما يتطلب من الجامعات الخاصة فهم وتغطية حاجات الطلبة، والبعد عن التكرار، وتحديد الموارد، والاستعانة بالقيادات الماهرة التي تسهم في نمو هذه المؤسسات، ومن أهم المتطلبات الأكاديمية التي يتوقعها المجتمع العربي من الجامعات الخاصة نذكر :

- إمداد الأفراد بالمعارف الخاصة بطبيعة الدراسة، ونوعية البرامج، وفائدة الدرجات الجامعية والشهادات التي تمنحها.

- الإسهام في المجتمع بوسائل تتعدى تعليم الطلبة من خلال : المكتبات .
- ورعاية مراكز البحوث لنشر البحوث وإنتاج الفكر المستقل الناقد .
- إدارة المشروعات البحثية، وتحسين الخدمات الجامعية .
- توفير الإعداد في مجالات شديدة التخصص، تتكيف مع احتياجات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية . فليس هناك شك في أن حالة التعليم ترتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك حالة المعرفة والتقدم التكنولوجي، وما يفرضه ذلك من تنافسية في سوق العمل . الأمر الذي يستوجب ضرورة إكساب الفرد مهارات جديدة تجعله قادرا على الإنتاج بمواصفات ومعايير عالمية .
- تحقيق الجودة الشاملة فهي (أى الجودة) أكثر نفعا ودافعية للجامعات الخاصة وبالتالي المجتمع، وذلك بتقديم منتج جيد . خاصة أن اتفاقية الجات حولت العالم إلى سوق واحدة، البقاء فيها للمنتج المتميز أيا كانت هويته .
- اتخاذ عدة إجراءات نحو البعثات العلمية والمنح الدراسية والمساهمات العلمية وتتجه إلى اتفاقات التبادل الثقافي، وتتيح للأساتذة ارتياد المؤتمرات الدولية، حيث تحقق هذه الإجراءات درجات متفاوتة من التواصل الحضارى دون إخلال بالهوية، ويمكن استخدام الأساتذة الأجانب المعروفين . وهكذا يمكن للجامعات الخاصة أن تشارك في التعاون الدولي .
- الاهتمام بالجوانب التكنولوجية في العملية التعليمية، كالاتماد على شبكة الإنترنت، والاتصال بين الطلبة والأساتذة من خلال البريد الإلكتروني . ومن هنا فمن غير الضروري إلزام الطلبة بقضاء وقت طويل في الحرم الجامعي، نظرا لأن هذه الإمكانيات التكنولوجية توفر وقتا كثيرا، خاصة مع تزايد شبكات الجامعات في جميع أنحاء العالم، حيث تضاعف استخدام الإذاعة التعليمية، ومؤتمرات الفيديو .

٣- متطلبات سوق العمل : Business Market Requirements

نتيجة للثورة التكنولوجية والمعلوماتية وما أدت إليه من تغيرات جوهرية في سوق العمل، والتركيبية الاجتماعية لقوة العمل في معظم المجتمعات، مثل تزايد الطلب على المؤهلات الرفيعة والمهن المستحدثة، فإن هذا يلقي بدوره على الجامعات - الخاص منها والحكومي - مسئولية الإعداد الأكاديمي والتكنولوجي لمواجهة الطلب على متخصصين ملمين بأحدث التكنولوجيات قادرين على إدارة نظم تزداد تعقيدا، وبحيث تتكيف باستمرار مع احتياجات المجتمع حتى تضمن للمتخرجين إعدادا يؤهلهم لسوق العمل.

وإذا كانت للجامعات الحكومية مشكلاتها مع المجتمع فيما يتصل بقوة العمل وفرص العمل المتاحة، فيجب أن تأتي الجامعات الخاصة - من خلال تخطيطها وإدارتها وتكوينها للطلبة - بحلول إبداعية لهذه المشكلات، بحيث تظهر قدرة هذه الجامعات على إنتاج قوة العمل الفاعلة، ولديها من القدرات ما يدفعها إلى المنافسة العالمية.

ومن المشكلات المجتمعية والتي لها صلة بفرص العمل تجدر الإشارة هنا إلى مشكلة البطالة Unemployment حيث تعاني المجتمعات العربية من الانفصال بين التعليم الجامعي وسوق العمل، وترتب على ذلك زيادة أعداد العاطلين، وظهرت حدة المشكلة اجتماعيا واقتصاديا.

وقد استفحلت الظاهرة نتيجة التحرر الاقتصادي، مما يفرض على الجامعات الخاصة عدة متطلبات نحو توسيع الفرص بطريقة تراعى اهتمام المتعلمين على مختلف المهن والأعمال، والتأكيد على التهيئة الفكرية والمهارية للمشاركة في سوق العمل، والتدريب قبل ممارسة العمل وأثنائه واستمرار هذا التدريب ليساير

التطور والمطالب المهنية. بمعنى أن لا تكون الجامعات الخاصة صور كربونية من الجامعات الحكومية لتزيد بذلك من تفاقم الظاهرة.

وقد تستطيع الجامعات الخاصة الإسهام في الحد من مشكلة البطالة من ناحية وتقديم الخبرات العملية المناسبة لاحتياجات سوق العمل من ناحية أخرى، إذا انتهجت مدخل المشاركة بينها وبين المؤسسات المجتمعية (قطاع الأعمال / الصناعة)، فقد بات مؤكداً أن المدخل الانعزالي Isolationist Approach، والذي انتهجته الجامعات العربية الحكومية لفترات طويلة من الزمن لم يعد قادراً على مواجهة التحديات التي تواجه التعليم العالي في عصر متغير، فلا خلاف الآن على أن جامعة المستقبل هي تلك الجامعة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمؤسسات ومراكز الإنتاج والخدمات في المجتمع.

عود على بدء .

إن ما ذكر عن مثالب التعليم الجامعي الخاص القائم في معظم البلاد العربية، لا يعني أن تجربة التعليم العالي الخاص (معاهد وكليات) في هذه البلدان تجربة مرفوضة.. إنها تجربة مفيدة وضرورية ولا مناص عنها، بالنظر إلى أنها النموذج الآخذ في الانتشار في ضوء التطورات العالمية الحادثة الآن، بل إن التعليم الحكومي نفسه قد يواجه في المستقبل القريب جداً ضغوطاً موضوعية للخصخصة، تخلصاً من البيروقراطية ودفعاً لتحديث نظمه ومناهجه وأساليب إدارته.

وبناءً عليه فهناك مسئولية ملقاة على عاتق الحكومات العربية بتشجيع القطاع الخاص والاستثمار في التعليم رغبة في المشاركة الأهلية، ولكن يجب أن يتم هذا في إطار ضوابط علمية ووعي بالإشكاليات السابق ذكرها، حتى يشق المجتمع العربي طريقه نحو التقدم وسط الزحام العالمي، ومن أهم هذه الضوابط ما يلي :

- ١- إن تحرير مؤسسات التعليم الجامعي من كافة سلطان الدولة، لا يعنى أن تنأى الدولة عن ميدان التعليم الجامعي حكوميا كان أو خاصا، بل يظل التعليم الجامعي - شأنه شأن التعليم كله - مسئولية الدولة. فالدولة هى المسئولة عن بناء رأس المال البشرى بأشكاله المختلفة، وتدل تجارب الدول المتقدمة على أن مهمتى نشر التعليم العالى وتطويره، أثقل وأخطر مما يحتل القطاع الخاص وحده بإمكانياته المحدودة ونظريته الربحية. وأن مسئولية هذا التعليم مسئولية تاريخية للدولة التى تفقد عملية التقدم والتى تزداد أهميتها فى عصر المعرفة والثورات العلمية الكبرى، هذا العصر الذى تتعرض فيه الهويات الثقافية لأخطار كبيرة.
- ٢- تشكيل مجلس أعلى للتعليم العالى يتكون من مهنيين ومتخصصين ومهتمين على مستوى البلد الواحد وعلى المستوى القومى كله، بحيث يكون معتمدا من جهات أو سلطة الاختصاص، ومستقلا عنها فى نفس الوقت، يقوم بتوجيه ووضع السياسات القومية للتعليم العالى بصفة عامة (معاهد أو كليات، خاص أو حكومى)، بحيث :
 - أ- يضم هذا المجلس جميع الجامعات الحكومية والخاصة وممثلين عن التعليم ما بعد الثانوى فى التعليم العالى الحكومى والخاص.
 - ب- يشكل هذا المجلس هيئة للاعتراف الأكاديمى بهدف الارتقاء بجودة التعليم الجامعي، وتتكون من كبار المتخصصين فى العالم العربى المشهود لهم بالخبرة والأمانة والسمعة العلمية الرفيعة، وتكون هذه الهيئة مستقلة، وتدار وفقا للوائحها الخاصة التى يرضيها أعضاؤها، وتدعم ماليا من وزارات التعليم العالى، ويراعى ما يلى :
 - أن تكون معايير ومستويات الاعتراف الأكاديمى جاهزة لكل المؤسسات، والتخصصات المختلفة، وواضحة وعلنية، وكذلك طرق تطبيقها.
 - يخرج من عضوية المجلس الأعلى للتعليم العالى، أى جامعة أو مؤسسة

للتعليم العالي، لا تحصل على الاعتراف الأكاديمي، سواء كانت حكومية أو خاصة.

- أن تدعم الحكومات العربية ماليا مؤسسات التعليم العالي بشقيه الحكومي والخاص، وأن يحرم من هذا الدعم كل مؤسسة فشلت في تحقيق الاعتراف الأكاديمي.

٣- يجب ألا يغيب عن التعليم الجامعي الخاص مسئوليته الاجتماعية والثقافية في المجتمع، وأن تكون متطلبات المجتمع منه موضع مساءلة.

٤- لا بد من تقنين مبدأ المساءلة الأكاديمية، حتى يمكن محاسبة مؤسسات التعليم العالي من ناحية الأداء والإدارة والإتقان، وكذلك محاسبة الأكاديميين والإداريين.. وفقا لمبادئ ومعايير معينة، وذلك ضمانا لتأكيد روح العدل والموضوعية.

واستنادا على ما ذكر في هذا الباب، يتضح أن وجود نظام التعليم الجامعي الخاص ضمن النظم الجامعية القائمة في الوطن العربي، أصبح ضرورة حتمية وملحة لما يفرضه النظام الدولي الجديد على التعليم العالي (بصفة عامة) من مطالب ومستحدثات، وبالتالي فلا بد أن تتطور هذه النظم وأنماطها حتى تستوعب هذا النظام الحتمي ضمن هيكلها العام، ولذا سوف يهتم الباب القادم بمناقشة تطور أنماط نظم التعليم العالي، ومؤسساته في مصر بغية التعرف على موقع الجامعات المصرية الخاصة بين هذه المؤسسات.

الباب الرابع

الجامعات الخاصة المصرية

” الواقع و الطموح ”

مقدمة

أولاً: المعالم الرئيسية لتطور نشأة الجامعات الخاصة المصرية.

ثانياً: ملامح الفلسفة الحاكمة للجامعات الخاصة المصرية.

ثالثاً: نحو معالم رئيسة لرؤية مستقبلية للجامعات المصرية الخاصة.

عود على بدء

2007

الجامعات الخاصة المصرية

" الواقع . الطموح "

مقدمة .

فيما مضى كان دور الدولة يتمثل فى التخطيط وفى الإدارة وفى القطاع العام والنشاط الاقتصادى ، وفى أداء معظم الخدمات ، فضلا عن الحفاظ على النسيج الوطنى والهوية والوحدة الوطنية وتكافؤ الفرص وعدالة التوزيع .. أما الآن وفى إطار الانتقال إلى الاقتصاد الحر والعلاقات الدولية فى زمن العولمة ، فإن دور الدولة يختلف عما كان عليه فى مرحلة الاقتصاد الموجه ، لتأخذ الدولة دور القائد الذى يخطط ويراقب ولكن لا ينشغل بالتنفيذ والمشاركة الفعلية فيما يمكن أن يقوم به القطاع الخاص ، أو المجتمع المدنى ، ويبقى دور الدولة فى رعاية ما يسمى بالمصالح العام أو الحفاظ على الرضاء الاجتماعى العام والتوازن بين المصالح المختلفة ورعاية غير القادرين ، ومنع سيطرة رأس المال على الحكم وضبط تأثير اقتصاد السوق على المجتمع .

وفى ضوء ذلك ، وتأسيسا على المؤشرات والتوقعات الخاصة بتحديات التعليم الجامعى - سبقت الإشارة إليها فى الفصل الثاى - يظهر بجلاء أن التعليم الجامعى العربى يحتاج إلى نظم أخرى - خاصة فى التمويل وتوزيع النفقات واستخدامها - تنقذه من أزماته الحالية وتقيه من أزماته المستقبلية ، وبالفعل فقد طرح على الساحة العربية بديلان لذلك هما :

البديل الأول : إقامة مؤسسات تعليمية مشتركة (حكومية / أهلية) ، فلا يكتفى بالجامعات والمعاهد الحكومية بل يضاف إليها جامعات ومعاهد مشتركة بين

الحكومة والأفراد، بحيث تتعاون وتسهم الجهات الحكومية مع الجهات الأهلية في رأس مال الجامعة أو المعهد ، وفي الإنفاق عليه وإدارته والإفادة من الأجور التي يدفعها الطلبة أو تتبرع بها الجهات الأهلية . وهذا البديل يمكن الجهات الحكومية من الرقابة على المؤسسة وتوجيه مسيرتها ، وتخفيف العبء المالي ، كما يساعد الجهات الأهلية بالدعم الحكومي وترشيد الاستثمار. البديل الثاني : ولطه أول بديل طرح على الساحة العربية - وما زال مطروحا في بعض البلاد العربية مثل سوريا - وهو خروج الدول من سياستها التقليدية في حصر التعليم الجامعي بمؤسساتها الرسمية وسماحها بافتتاح جامعات خاصة إلى جانب الجامعات الحكومية، الأمر الذي يوفر على الدولة تحمل جزء كبير من النفقات ، ويتيح للجامعات الخاصة أن تنافس بعضها من ناحية كما تنافس نظيراتها الحكومية من ناحية أخرى ، وأن تستقطب الطلبة الذين يدفعون أجور تعليمهم ، ويختارون بحرية أكثر التخصصات التي يرغبون في تعلمها . وقد اتجهت مصر إلى استخدام هذا المسار أو البديل رغم تضارب الآراء حول إيجابياته ومثالبه .

ومن المعروف أنه لا توجد صورة واحدة لأمة أو مجتمع معين في المستقبل وإنما توجد بعض البدائل ، وقد يكون أحد البدائل (السيناريوهات) التي تتم دراستها والاهتمام بها ما يتعلق بالصورة المستهدفة لهذا المجتمع في زمن معين . ونظرا لأن بديل الجامعات الخاصة أصبح هو الصورة المستهدفة للمجتمع المصري في زمن العولمة والرسملة بما ينطويان عليه من خصائص وتدايعات ، وبعد أن أصبحت الجامعات الخاصة رافدا أساسيا من روافد التعليم الجامعي في مصر .

ورغم أن الجامعات الخاصة المصرية حديثة العهد - حيث بدأ إنشائها عام ١٩٩٧/٩٦م - فإن فكرة التعليم الجامعي الخاص ليست في الحقيقة فكرة

طارئة ، فرضتها متغيرات وتحولات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية جديدة فحسب ، بل إن التعليم الجامعي في نشأته التاريخية كان في الحقيقة تعليما خاصا تتولى أمر تقديمه مؤسسات أهلية أو خاصة.

فمؤسسات التعليم الجامعي التي نشأت في العصور الوسطى ، والتي تعد بحق أصل صيغة التعليم الجامعي الحديث كانت مؤسسات خاصة أو أهلية أنشأتها وأدارتها اتحادات للطلبة أو اتحادات لأعضاء هيئة التدريس ، وارتبطت ارتباطا ما بالمؤسسات الدينية أو بأمراء المقاطعات ، وكانت تتمتع باستقلال مالي وإداري ، إلا أن هذا الطابع الخاص انحسر تدريجيا مع نمو الدولة القومية في أوروبا ، واستقرار فكرة مسئولية الدولة عن التعليم في مختلف صورته ومراحله وظهر ذلك جليا في إنشاء الجامعات الحكومية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وهي الجامعات التي تتولى الدولة مسئولية الإنفاق عليها وتحديد أهدافها واعتماد برامجها .

وفي مصر ظهرت الحاجة لجامعة على الطراز الحديث مع أواخر القرن التاسع عشر ، عندما كثر سفر أبنائها للخارج رغبة في التزود بالعلم من جامعات أوروبا ، ورغبة في اللحاق بركب الحضارة الغربية ، ومسايرة للتطور العلمي الذي يشهده العالم ، ولم يكن السفر للخارج متاحا إلا لأبناء الأغنياء ، أما المثقفون من بقية أبناء الشعب فقد كان عليهم أن ينتظروا ليأخذوا عن هؤلاء المحظوظين الذين أتاحت لهم فرصة التعليم في جامعات أوروبا. فكان إنشاء الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨م استجابة لهذه الحاجة .

وبدءا بالجامعة الأهلية عام ١٩٠٨ ، ومرورا بمشروع الجامعة الحرة عام ١٩٥٩م ، وصولا إلى بداية عمل الجامعات الخاصة المصرية عام ١٩٩٦م ، سوف يتناول الباحث تطور نشأة الجامعات الخاصة المصرية من منظور تاريخي مجتمعي .

ولأن فكرة خصخصة التعليم الجامعي - كما يقصدها البحث الحالي - تـرى أن الجامعات الخاصة الحالية مشروعا استثماريا له عائده الخاص ، بجانب قيامه بدوره فى تحقيق أغراض الجامعة من تعليم ، وبحث علمى ، وخدمة للبيئة ، لذا تجدر الإشارة إلى سبب وضع الجامعة الأهلية فى السياق التاريخى لتطور نشأة الجامعات الخاصة المصرية ، رغم أن إنشاء هذه الجامعة " الأهلية " قد اقترن بالفكر الوطنى ونشأت بمبادرة الأهالى وجهودهم وبفضل تبرعات الأثرياء من المصريين .

وتبرير ذلك هو أن التعليم الجامعى فى نشأته التاريخية كان فى الحقيقة تعليما خاصا تتولى أمر تقديمه مؤسسات أهلية أو خاصة - سبق توضيح ذلك آنفا - بالإضافة إلى أن الجامعة الأهلية - فى مصر - لم تنشأ بقرار حكومى كما تعتبر أول جامعة من نوعها فى بلاد العرب وفى الشرق الأوسط ، فهى بذلك تمثل قاعدة للانطلاق التاريخى عند الحديث عن التعليم الجامعى (حكوميا أو خاصا) وتطوره ، كما سيتضح فيما يلى :

فالتتبع التاريخى لنشأة الجامعة الأهلية فى مصر يشير إلى أن فكرة إنشاء أول جامعة - أهلية - فى مصر تمت فى أحضان الحركة الوطنية ، وكفاح الشعب المصرى ضد القوى الأجنبية ، وذلك لتخريج كوادر مصرية تتبنى الدفاع عن وطنهم ، وقضاياهم المصرية فى مواجهة أعتى استعمار غربى شهدته مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ومنذ التسعينيات من القرن التاسع عشر ، بدأت الدعوة لإنشاء جامعة مصرية ، حيث نشر فى هذه الفترة العديد من المقالات التى هيات الرأى العام لهذه الفكرة. وعلى الرغم من محاولات المعتمد البريطانى - اللورد كرومر - عرقلة المشروع ، فقد نفذت إرادة المثقفين والوطنيين المصريين ، وتم الإعداد

للجامعة المزمع إنشائها فى خلال عامين ، وإعداد كل ما يلزم لها ، وعقد مجلس الإدارة أول جلساته يوم ٢٤ مايو ١٩٠٨ برئاسة الأمير أحمد فؤاد .

وقد بدأت الدعوة إلى الجامعة - شأنها كشأن كل فكرة جديدة - بسيطة أولية ، عندما طالب مصطفى كامل سنة ١٩٠٠م بإنشاء مدرسة جامعة فى ضواحي القاهرة ، يكون بها قسم ابتدائى ، وقسم ثانوى (تجهيزى) ، وقسم عالٍ وقسم خاص للفنون والصنائع ، وتكون كلها داخلية حتى يسير فيها المتعلمون على نظام واحد ، ويتخرجوا على مبادئ واحدة ، وتكون على طراز المدارس الكبرى فى أوروبا .

وفى سنة ١٩٠٤م كرر مصطفى كامل طلبه مرة ثانية ، فكتب على صفحات جريدة اللواء يقول : " قد آن لأغنياء البلاد أن يفكروا فى الوقت الحاضر فى عمل جديد الأمة فى أشد الحاجة إليه ، ألا وهو إنشاء جامعة للأمة بأموال الأمة " ، ونفس الشئ يذكره مرة أخرى فى سنة ١٩٠٥م . وفى سنة ١٩٠٦م حيز تخصيص الأموال التى جمعت للاحتفال به عند عودته من أوروبا لإنشاء كلية جامعة ، وبدأت الفكرة تسير فى خطوات جدية نحو التجسيد والتنفيذ الفعلى ، فقد بادر مصطفى كامل بنشر نداء على صفحات جريدة اللواء فى ٣ سبتمبر ١٩٠٦م قال فيه : " إذ لم يجيب هذا النداء ألف مصرى وهم ألوف غديدة ، فلنخبئ وجوهنا أمام كل الأمم ، ولنعترف بأننا عاجزون عن مباراة الأجانب فى مضمار الحياة الأدبية والمادية " وفى ندائه أهاب مصطفى كامل بالقادرين أن يبادروا بالاعتناء بإنشاء جامعة تضم كليات مختلفة ، على منوال جامعات أوروبا

على الشروط الآتية :

- لا تختص بجنس أو دين ، بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون وساطة للألفة بينهم .

- أن تكون إدارتها فى السنين الأولى فى أيدى جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمى الكبير وتثبت كفاءتهم للملا .
- أن يكتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه ، ويجوز أن يزيد هذا المبلغ إلى ما شاء كرم الواهب وحبه لوطنه وللإسائية .
- أن يقام بناء هذه الجامعة فى بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر على شاطئ النيل . وافتتح الاكتتاب العام لإنشاء الجامعة ، وكان أول من تبرع هو مصطفى كامل ، وقد تبرع بخمسمائة جنيهها ، ثم روى تحويل الهبات المالية إلى هبات عقارية ، فأوقف مصطفى كامل على الجامعة ستة أفدنة ، وفعل مثله الكثيرون .

وقد حاول الإنجليز عرقلة إنشاء تلك الجامعة ، ودعوا إلى الإكثار من الكتاتيب ، بحجة أن البلاد فى أشد الحاجة إلى التنظيم الأولى منها إلى الجامعة ، إلا أن هذه المحاولات لم تنجح وانتصرت الإرادة المصرية ، وخرج المشروع إلى حيز التنفيذ فى أعقاب حادثة دنشواى والتى كان لها دور كبير فى التعجيل بإنشاء الجامعة ، فلقد كانت الحركة الوطنية فى أوج قوتها وهى تناضل ضد الاحتلال ، وأنت حادثة دنشواى لتزيد الحركة الوطنية قوة وصلابة ، وتضعف فى نفس الوقت سطوة المحتل . حيث أعقبت هذه الحادثة استقالة اللورد كرومر الحاكم المطلق لمصر على قرابة ربع قرن (١٨٨٢ - ١٩٠٧ م) . وبدأت فى ذلك الوقت بعض المرونة فى موقف الإنجليز مما سمح للقيادات الوطنية بحركة أفضل .

وفى هذه الآونة قام قاسم أمين بجهود كبيرة ، حتى لا يخفق المشروع - خصوصا بعد أن حدث فتور فى الاكتتاب - فأخذ يستنهض الهمم لجمع الأموال ، موضحا الهدف الكبير من إنشاء الجامعة بقوله " ولى أمل عظيم أن إنشاء

الجامعة سيكون سببا فى ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال ، كما ذكر أن الجامعة سوف تفتح أبوابها لجميع سكان القطر المصرى ، بلا تمييز بين الأجناس أو الديانات ، وأنها علمية محضة ، ليس لها أقل صفة دينية، ولا أقل علاقة سياسية.

وفى الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٠٦ ، اجتمعت اللجنة القائمة على تنفيذ هذا المشروع ، وأعلن قاسم أمين - رئيس الاجتماع - مواصلة الاكتتاب حتى بلغ ٦٥٢٦ جنيها مصريا .

واستمرت الاكتتابات والهبات ، وأنشئت الجامعة الأهلية ، وافتتحت رسميا فى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨م ، لتكون أول جامعة من نوعها فى بلاد العرب وفى الشرق الأوسط . وبدأت الجامعة بتدريس المواد التالية : الحضارة الإسلامية ، والحضارة الشرقية القديمة ، والجغرافيا ، والتاريخ عند العرب ، وآداب اللغة الفرنسية ، وآداب اللغة الإنجليزية ، وقد أقبل الطلبة عليها إقبالا عظيما ، حتى بلغ عددهم فى نهاية ذلك العام (٦٩٧) طالبا وطالبة منهم (٢٢) طالبة ، وبعدها ازدادت الأعداد المقبلة على التعليم ، مما يدل دلالة واضحة على مقدار الفراغ الذى سدته هذه المؤسسة الأهلية والتى قامت على أكتاف الشعب .

وفى العام الثانى لافتتاح الجامعة الأهلية (١٩٠٩) ، زيد على العلوم التى تدرس بها العلوم الآتية : آداب اللغة العربية ، وعلم الطبيعة والرياضيات العالية وعلم الفلك عند العرب، وتاريخ آداب اللغة العربية ، والاقتصاد والسياسة ، ومحاضرات فى تاريخ المرأة فى العصور المختلفة (خاصة بالسيدات) . وفى العام الدراسى ١٩١٣ / ١٩١٤ قررت الجامعة إنشاء فرع لتدريس العلوم

الجنائية ، ومدة الدراسة به سنة واحدة . هذا وافتتحت المكتبة الخاصة بالجامعة الأهلية في فبراير عام ١٩٠٩ م .

مما سبق يتضح أن الدعوة إلى إنشاء الجامعة الأهلية قد اقترنت بالفكر الوطنى الذى يرمى إلى خلق طبقة من المثقفين الوطنيين لتتولى قيادة كافة المجالات لمواجهة الاستعمار فى تقليل فرص التعليم بين المصريين ، وقصر وظيفته على تخريج موظفين يسرون دولاب العمل فى مؤسسات العمل المختلفة ، لذا فقد بدأت فكرة هذا المشروع بمبادرة مجموعة من القيادات الوطنية المستنيرة دون انتظار لموافقة الدولة الرسمية ، ودون أن تكلف الحكومة بأية أعباء مالية .

ومن ثم فقد كان إنشاء الجامعة الأهلية ثورة على نظام فرض على المصريين فرضا ، على نظام قضى عليهم بالأحق لهم فى طلب العلم إلا مقربين عن بلادهم ، وحكم عليهم بأن أبواب المعرفة يجب أن تظل موصدة فى هذه البلاد وبأن هناك مستوى مقدر من العلوم يجب ألا يتجاوزوه ، وهذا النظام المفروض جزء فى الواقع من العبودية المفروضة عليهم فرضا ، فكان إنشاء الجامعة الأهلية ضربة وجهت لتقويضه ، وأول حجر فى بناء الاستقلال فماذا عن المعالم الرئيسة لواقع الجامعات الخاصة بجمهورية مصر العربية منذ بداية خمسينات القرن العشرين حتى الآن؟ وماذا عن الملامح العامة للصورة المأمولة لواقع تلك الجامعات؟ هذا هو موضوع الباب الرابع .

أولا: المعالم الرئيسة لتطور نشأة الجامعات الخاصة المصرية.

أ) الجامعة الحرة فى الخمسينيات (١٩٥٩ م)

خلال النصف الأول من القرن العشرين لم يطرح أحد فكرة إنشاء جامعة خاصة بمصروفات إلا فى نهاية عقد الخمسينيات وذلك عقب ثورة ٢٣ يوليو

١٩٥٢م ، فمنذ ذلك الوقت تعرضت الفكرة للظهور والاختفاء عدة مرات - عندما كان يشغل " كمال الدين حسين " منصب وزير التعليم المركزى فى دولة الوحدة بين مصر وسوريا - الأمر الذى كان مرتبطا بالنقد من قبل أساتذة الجامعات والكتاب والباحثين والخبراء والمتخصصين فى مجال التعليم ، وقد أفضى هذا النقد لوجود اتجاهات متباينة ، فكان بعضها مؤيدا ، بينما كان البعض الآخر معارضا لفكرة إنشاء جامعة خاصة .

وقد برزت هذه الاتجاهات بصورة واضحة إبان دراسة مشروع لجامعة خاصة أطلق عليها " الجامعة الحرة " ، وتم عقد لقاءات شارك فيها عدد كبير من رجال الأعمال وبعض الشركات الكبرى ، حيث قرروا الإسهام فى تأسيس هذه الجامعة ، وفى هذا الإطار قدر إنشاء أربع عشرة (١٤) كلية يغلب عليها الطابع العملى .

إلا أن الملاحظ أن مشروع الجامعة الحرة ، لم يصبح محل نقد فى نهاية عقد الخمسينيات (١٩٥٩م) ، وذلك لوقوف السلطة السياسية التى كانت تمثل الطبقة المتوسطة خلفه ، وللحاجة الحقيقية للفنيين من ذوى التخصصات النادرة التى لا تخرجهم الجامعات المجانية وقتئذ . ويستدل من ذلك أن إثارة موضوع جامعة خاصة بمصروفات فى هذه الآونة كان مرتبطا بالتعاون بين النخبة الحاكمة والرأسمالية الوطنية .

كانت هناك عدة مبررات أو أهداف وراء فكرة إنشاء الجامعة الحرة " كجامعة خاصة " نوجزها فيما يلى :

- تخريج الفنيين من ذوى التخصصات النادرة التى تحتاج إليها البلاد (خاصة بعد الحصار الذى فرضه الغرب فى أعقاب عام ١٩٥٦م)

- استيعاب عدد كبير من الطلبة الذين لا يقبلون بالجامعات الحكومية ، ويضطرون للسفر للخارج لإتمام دراستهم الجامعية وذلك لحمايتهم من تعرضهم لنمط قيمي مختلف.
- توفير عائد مادي يقدر بحوالى (٢,٥) مليون جنيها مصريا ينفقها الطلبة بالخارج .

ورغم قوة هذه المبررات فإن فكرة إنشاء الجامعة الحرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ بتوقف المشروع حيث واجهته عقبات كثيرة فيما يلي إشارة إليها :

ورغم أن القائمين على فكرة إنشاء الجامعة الحرة آنذاك قد صاغوا أهدافها بوضوح ، ووضعوا الترتيبات اللازمة لإنشائها ، فإن هذه الجامعة لم تخرج إلى حيز التنفيذ ، حيث واجهتها عقبات كثيرة أهمها التمويل ، ولكن تبقى قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١م من أهم العوامل التى ساعدت على اختفاء مشروع هذه الجامعة واتزوائه ، إذ أن هذه القوانين رفعت مبادئ العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص التى انعكست بشكل حقيقى على طلبة الجامعة. ويتضح ذلك فى إلغاء المصروفات الدراسية من التعليم الجامعى عام ١٩٦٢م ، ليصبح التعليم الجامعى بالمجان ، وفى نفس العام تقرر أيضا إنشاء فروع للجامعات الكبرى فى الأقاليم لتيسير التعليم أمام أبناء الأقاليم ، دون تكبد مشقة السفر وارتفاع التكاليف . هذا فضلا عن التيسيرات التى قدمت للطلبة مثل إقراضهم ما يحتاجون إليه من نفقات فى أثناء تعليمهم الجامعى ، مع سداد هذا القرض بعد إتمام دراساتهم أو استلامهم العمل ، والتوسع فى الخدمات الاجتماعية بما يقدم من معونات مالية للطلبة غير القادرين ماليا .

وفى مثل هذا المناخ الذى سادت فيه مبادئ العدالة الاجتماعية والتكافؤ الاقتصادى بين المواطنين الذى يقضى على احتكار القلة للكثرة ، ويقتل الفوارق

بين الطبقات ، كان من الطبيعى أن يتوقف مشروع قد يخلق نوعا من التمييز - ولو بدون قصد - بين الطبقات ، ومن ثم توقفت فكرة إنشاء الجامعة الخاصة التى عرفت وقتها بالجامعة الحرة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مبررات فكرة إنشاء " الجامعة الحرة " التى سبق توضيحها ، والتى لم تشفع لقيام مثل هذه الجامعة الخاصة فى الخمسينيات من القرن العشرين ، هى نفسها المبررات التى شفعت لقيام الجامعات الخاصة المصرية فى التسعينيات من ذات القرن ، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه المبررات قد أضيف إليها مبررات أخرى جديدة نتيجة لمتغيرات مجتمعية شهدتها المجتمع المصرى كبقية المجتمعات الحديثة - تناولها الفصل السابق - كان على رأسها التحول الأيديولوجى للسياسة المصرية من النهج الاشتراكى الذى يؤمن بإحكام سيطرة الدولة على كل الأمور فى كافة جوانب المجتمع - ومن ثم لم يسمح هذا النهج بقيام مثل هذه الجامعات - إلى النهج الرأسمالى والليبرالى الذى يؤمن بالاقتصاد الحر " الخصخصة " من ناحية ورسملة العالم - فى ظل العولمة - من ناحية أخرى ، وسوف يتضح ذلك فيما بعد .

كما يجب التنويه إلى أن كلمة " الأهلية " فيما يلى يقصد بها " الخاصة " ، وذلك أن الداعين لإنشاء جامعات خاصة منذ فترة السبعينيات وحتى قيامها بالفعل - فى التسعينيات - قد استخدموا كلمة " الأهلية " بدلا من كلمة " الخاصة " فى المناداة لهذا الموضوع ، وقد يكون ذلك تمسحا فى تجربة الجامعة الأهلية (١٩٠٨) سابقة الذكر كتجربة وطنية ، إلا أن ثمة فرقا شاسعا بين هذه الجامعة القديمة " الأهلية " وتلك القائمة اليوم " الخاصة " والتى دعوا لها باسم " الأهلية " فالجامعة القديمة " الأهلية " كانت تعبر عن حركة أمة حرمتها سلطات الاحتلال من هذا النوع من التعليم (الجامعى) فتاقت إليه باعتباره سلاحا فى معركة

النضال ضد الاستعمار ، فماذا عن الجامعات الخاصة القائمة اليوم والتي دعوا لها باسم الأهلية؟

(ب) الجامعة الخاصة في السبعينيات (١٩٧٢ - ١٩٧٩ م) :

منذ مطلع السبعينيات - من القرن الفائت - أعيد طرح فكرة إنشاء جامعة خاصة بمصروفات بعد أن شهدت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في مصر تغيرات رئيسية وسريعة ومتلاحقة ، كان أهمها انتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي وما ترتب عليه من ارتباط وثيق للاقتصاد المصري بالنظام الرأسمالي ، وترساة التشريعات المتعلقة بالاستثمار العربي والأجنبي .

وفاضت الأحاديث حول خسائر وعدم كفاءة القطاع العام ، وثار الحديث حول مجانية التعليم بين رافض لها وبين داع لترشيدها ، وارتفعت الأصوات مرة أخرى من أجل إنشاء جامعة أهلية تدار وتمول عن طريق القطاع الخاص بعيدا عن سيطرة الدولة .

ففي ٢٨ مايو ١٩٧٢ عرض الموضوع على مجلس الشعب - ونوقش ورفض شكلا، ورأت اللجنة -المقدمة له- في حينها أن البديل المتاح والذي يمكن تحقيقه في هذا الوقت هو التوسع في الانتساب. وتجدد الاقتراح عام ١٩٧٣ على أن تدار هذه الجامعة الأهلية عن طريق القطاع الخاص بوصفها شركة استثمارية ، وكان ذلك ضمن إرهاصات الانفتاح الاقتصادي الذي أعلن عنه رسميا عام ١٩٧٤ ، ووصل الأمر إلى أن تقدمت وزارة التربية والتعليم بمشروع عملي في هذا الصدد. وفي فبراير ١٩٧٤ كلف مجلس الوزراء اللجنة الوزارية للتعليم ببحث ودراسة الموضوع وعرض ما تم التوصل إليه على المجلس ، إلا أنه لم يطرأ أي جديد على هذا الموضوع خلال هذه الفترة .

وقد حاولت المجالس القومية المتخصصة عام ١٩٧٤ أن تدخل فاعلا فى موضوع الجامعة الأهلية المقترحة ، فقامت بإعداد تقرير عرض وجهتى نظر ، الأولى مؤيدة وترى أنه يمكن لبعض الهيئات والمؤسسات أن تتبنى قيام الجامعة الأهلية لتحقيق رغبات المواطنين ، أما رأى الثانى فقد كان يعارض إنشاء هذه الجامعة ، لأنها تتعارض مع تكافؤ الفرص ، وإضافة للرأيين السابقين كان هناك رأى ثالث يؤيد إصلاح النظام التعليمى القائم قبل التفكير فى أى تطوير جديد .

وفى عام ١٩٧٥ ومع بداية عصر الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص ، عادت دعوة إنشاء الجامعة إلى الظهور ، فقد اهتم مجلس الشعب بالدعوة وناقشها باستفاضة لدرجة أن لجنة التعليم بالمجلس حددت المبالغ الذى سيدفعها الطلبة نظير القيد بالجامعة الأهلية ، والتى بلغت ألف (١٠٠٠) جنيه استرلينى للطلاب الوافد ، وخمسمائة (٥٠٠) جنيهها مصريا للطلاب المصرى ، إضافة لمصروفات سنوية قدرها مائتين (٢٠٠) جنيهها استرلينيا للوافد ، مائة (١٠٠) جنيه مصرى للطلاب المصرى ، وذلك بالنسبة للكليات العملية ، ونصف هذه المبالغ تدفع بالنسبة للكليات النظرية ، مع الاقتراح بأن يكون قبول الطلبة مؤقتا بالجامعات العامة لحين إنشاء الجامعة الأهلية .

ولكن المجلس القومى للتعليم أعد تقريرا قال فيه إن الجامعة الأهلية تخالف مبادئ الدستور - خاصة المادتين ١٨ ، ٢٠ - الذى ينص على مجانية التعليم وتكافؤ الفرص ، كما أنها ستميز بين الطلبة على أساس الغنى والفقر ، وأنه من الأفضل التركيز على إصلاح العملية التعليمية بالجامعات بدلا من إنشاء الجامعة الأهلية ، وقد اقترح أن يصدر لهذه الجامعة قانونا خاص يحدد أهدافها وطريقة إدارتها ، وذلك كمخرج للعائق الدستورى ، وبسبب عدم دستورية الدعوة للجامعة الأهلية تم إرجاء تنفيذها .

وفي عام ١٩٧٩ أعلن (د . حسن إسماعيل) وزير التعليم آنذاك في مجلس الشعب أن إنشاء الجامعة الأهلية مطلب جماهيري يجب أن يتم ، ويجب أن يوجه لخدمة أفراد المجتمع ويسهم في عملية التنمية. ولقد ناقش مجلس الشعب هذا الموضوع حيث عقدت ثلاث جلسات استماع يومي ٦ ، ٧ فبراير ١٩٧٩ ، ويوم ٤ مارس ١٩٧٩ ، حضرها وزير التعليم والبحث العلمي والثقافة ونخبة من رؤساء الجامعات ونوابهم وعمداء الكليات وأساتذة الجامعات ورجال الفكر في مصر ، واستمرت جلسات الاستماع مدة عشر ساعات ، تم الاستماع فيها إلى (٣٥) متحدثا ، ولقد اتجهت غالبية منهم إلى تأييد فكرة إنشاء الجامعة الأهلية ، وانتهى الأمر إلى الموافقة على الفكرة - من خلال اللجنة المختصة - في الفصل التشريعي الثاني في دور الانعقاد العادي الثالث عام ١٩٧٩ . على أساس أن إنشاء الجامعة الأهلية ضرورة لا تخالف مبادئ الدستور في المساس بتكافؤ الفرص أو مجانية التعليم ، ذلك لأن الدستور إذا كان ينص على مجانية التعليم فإن النص قد قرر بوضوح أن هذه المجالات تقتصر على مؤسسات الدولة التعليمية . ويستفاد من هذا النص أمران :

الأول : إن المجانية مقصورة على مؤسسات الدولة التعليمية .

الثاني : إن المشروع الدستوري قد افترض وجود مؤسسات تعليمية لا تتبع جهاز الدولة تبعية مباشرة ، وإن كانت تخضع للإشراف العلمي للدولة ، وهذا هو الذي جرى عليه العمل ونظمته القوانين قبل دستور ١٩٧١ ، وفي ظل هذا الدستور وجدت المدارس الخاصة الابتدائية والثانوية والمعاهد الفنية الخاصة في إطار القانون المنظم للتعليم الخاص ، كما وجدت المعاهد العليا الخاصة ، والتي ينظمها القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٧٠ م ، وهكذا يتبين بوضوح لا لبس فيه أن المجانية التي نص عليها الدستور مقصورة على الجامعات الحكومية باعتبارها مؤسسات

الدولة التعليمية . ولا تتعدى ذلك إلى مجال الجامعات الخاصة باعتبارها ليست مؤسسات الدولة التعليمية .

وترتيباً على ذلك فإن الرأي الدستوري السليم لا يرى أن الدستور قد منع أو حظر إنشاء جامعات خاصة ، غير أن تصادم الآراء من قبل المؤيدين والمعارضين أدى مرة أخرى إلى تأجيل المشروع . ليشهد صعوداً جديداً في الثمانينيات كما سيرد فيما يلي .

ج) الجامعة الخاصة في الثمانينيات (١٩٨١ - ١٩٨٩ م)

لقد شهد عقد الثمانينيات صعوداً جديداً لفكرة إنشاء الجامعة الأهلية ، حيث أوصى المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا عام ١٩٨١م بأن ينظر في إنشاء جامعة أهلية على أن تكون فكرة إنشائها موازية للإصلاح الجامعي وليست بديلاً عنه ، وأن تكتسب الجامعة المقترحة الطابع العربي والأهلي متحررة من القيود والروتين ، وعلى أحدث الأسس العلمية ، ويكون غرضها الأساسي تزويد الوطن العربي أولاً والبلاد النامية ثانياً بالتخصصات التي قد لا تتمكن الجامعات الحكومية ذات الأعداد الكبيرة من توفيرها ، وأن يمثل في مجلس إدارتها كبار المشتغلين بالتعليم الجامعي بطريقة يتفق عليها في النظام الأساسي للجامعة .

وفي عام ١٩٨٦م تم إحياء المشروع عن طريق دعوة وزير التعليم العالي لإنشاء " جامعة تكنولوجية " يدرس فيها مواد علمية محددة في التخصصات التكنولوجية النادرة وغير النمطية . ويكون تمويلها عن طريق شركة مساهمة تطرح أسهمها للمواطنين بجانب التبرعات والقروض وغيرها من الوسائل ، ولكن لم يتحقق من الفكرة الجديدة إلا إنشاء كلية للتكنولوجيا في مدينة ٦ أكتوبر بمصر وفات .

وفى عام ١٩٨٧ وتحديداً فى ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ ، ناقش مجلس الشعب مرة أخرى موضوع ازدياد ظاهرة سفر المصريين إلى الجامعات العربية والأجنبية للحصول على أماكن للتعليم بها فى نوعيات معينة من التخصصات العلمية خاصة خلال فترة السبعينيات والثمانينات ، والتأكيد مرة أخرى على الأخذ بفكرة إنشاء الجامعة الأهلية فى مصر .

وفى ٩ نوفمبر ١٩٨٨م أعلن وزير التعليم قبوله بإنشاء جامعة أهلية ، إذا كانت ستلبي حاجة المجتمع لتخصصات تفتقر إليها الجامعات الحالية ، وتخفف عن كاهل ميزانية الدولة ، وأنه يوافق على إنشاء هذه الجامعة باعتبار أن النشاط الأهلى مسموح به فى التعليم مشيراً فى ذلك الوقت إلى وجود المعاهد الخاصة العليا منذ عام ١٩٧٠م ، ويستطرد قائلاً : إن مشروع الجامعة الأهلية محاولة لجذب رؤوس الأموال العربية من خلال تعليم الطلبة الوافدين ، وإعطاء فرصة أمام طلبة الثانوية العامة الحاصلين على مجموع قليل للالتحاق بالمؤسسات التعليمية فى مصر ، والتخلص من ظاهرة عودة المصريين للجامعات المصرية بعد عام واحد من الدراسة بالخارج .

وقد لاقى رأى السابق لوزير التعليم قبولا من مجلس رؤساء الجامعات ، الأمر الذى كان من شأنه الإسراع بخطى أكبر نحو تنفيذ المشروع .

وفى أغسطس عام ١٩٨٩م أعلن عن موافقة وزير التعليم بشأن اقتراح تقدمت به جمعية " اقرأ " التى يرأسها جماعة من السعوديين لإنشاء جامعة أهلية بمدينة السادات. وبعد يومين فقط صرح الوزير بأنه موافق من حيث المبدأ على إنشاء جامعة أهلية فى مصر - بناءً على مشروع جمعية " اقرأ " - بمصروفات تقدر بنحو عشرة آلاف جنيهاً مصرية تسدد سنوياً، غير المصروفات

الإضافية ، وهى جامعة للعلوم والتكنولوجيا مقرها مدينة السادات وتبدأ الدراسة بها فى العام الجامعى ٩٠ / ١٩٩١م.

ويتضح من ذلك أن الدولة قد آزرت الدعوة لإنشاء جامعات أهلية بمصروفات أكثر من ذى قبل ، إلا أن هذه الدعوة منيت كسابقاتها بالفطور ، لتقوى مرة أخرى فى التسعينيات ، ولكن فى هذه المرة كان العزم مؤكداً على ضرورة أن يرى مشروع الجامعة الأهلية النور كما سيتبين.

د) نشأة الجامعات الخاصة المصرية فى التسعينيات (١٩٩٢م)

فى جميع المرات السابقة كان الحماس يتجدد كلما تجدد الحديث عن مشكلة التعليم فى مصر ، وعاما بعد عام كانت مشاكل التعليم تلقى بثقلها الكبير على كاهل الدولة والأفراد معا ، إلى أن أصبحت فى مقدمة الهموم الكبرى التى تشغل رأى العام المصرى فى أوائل التسعينيات . فقد أصبح هناك إجماع على أن التعليم فى مصر قد وصل إلى مرحلة من التدهور تنذر بكارثة ، وأن الحاجة أصبحت ماسة لإعادة النظر كلية فى أهداف التعليم وطريقته ، خاصة فى ظل سياسة الخصخصة التى تبنتها الدولة مسaire لنهجها الرأسمالى الجديد.

وفى هذا الإطار تجددت الدعوة إلى إنشاء الجامعة الأهلية ، ولكنها هذه المرة بمبادرات فردية ساندتها الدولة فى وقت لاحق ، وصاحب الدعوة هذه المرة هو الكاتب الصحفى "مصطفى أمين" الذى طرحها من خلال عموده اليومية " فكرة " فى جريدة الأخبار ، وذلك فى أكتوبر ١٩٩١م ، ومن جانبه خصص مليون جنيهها مصرى من مشروع ليلة القدر الذى يتبناه، وذلك كبداية للاكتتاب فى إنشائها ، وسرعان ما استجاب عدد من رجال الأعمال والهيئات لدعوته ، ووصل الرقم إلى خمسة (٥) ملايين جنيه مصرى ، وفى نفس الوقت ساند المهندس

حسب الله الكفراوي - وزير الإسكان والتعمير آنذاك - دعوة مصطفى أمين وتحمس لها بشدة ، وخصص مكانا للجامعة المقترحة في مدينة السادات .

وفي هذا الصدد وخلال شهر نوفمبر ١٩٩١ أبدى الرئيس " محمد حسني مبارك " في خطابه أمام مجلسي الشعب والشورى ملاحظات هامة حول قضية الجامعة الخاصة. حيث أكد أنها لابد وأن تكون جامعة شعبية التمويل ولا دخل للحكومة بها ، وطالب الرئيس من الجميع أن يشاركوا بالحوار حول كل ما يتعلق بهذه الجامعة .

وبينما اشتد الحوار مجددا بين المؤيدين والمعارضين للفكرة - مثلما كان الحال في المرات السابقة - آزرت الدولة الدعوة هذه المرة بشكل أكثر من ذي قبل ، ويبدو أن عقبة التمويل التي كانت أحد الأسباب الرئيسة لإفشال الدعوة في المرات السابقة أصبح من الممكن حلها في الوقت الراهن مع ازدياد عدد القادرين والأغنياء ورجال الأعمال الذين سيكتتبون في تأسيس الجامعة ، الأمر الذي شجع الحكومة على المضي في تنفيذ وتطبيق شروط وبرامج توجهها الأيديولوجي الجديد ، وهو التوجه الرأسمال الليبرالي تمشيا مع النظام العالمي الجديد ليصل هذا التطبيق - في عملية الخصخصة - إلى التعليم الجامعي .

ولذلك أبدت القيادة السياسية ممثلة في رئيس الجمهورية ، اهتماما ملحوظا بمتابعة ودراسة فكرة إنشاء الجامعة الخاصة وأسلوب تنفيذها ، وعقدت عدة اجتماعات لهذا الغرض حضرها وزيرى الإسكان والتعمير ، والتعليم ، ورئيس مجلس الشعب ، ورئيس مجلس الشورى .

وفي عام ١٩٩٢م أحال مجلس الشعب بجلسته المنعقدة في مساء يوم ١٥ إبريل ١٩٩٢م، مشروع قانون بشأن إنشاء الجامعات الخاصة إلى لجنة التعليم والبحث العلمى لبحثه وتقديم تقرير عنه للمجلس ، فعقدت اللجنة اجتماعين لنظره

يوم ١٦ إبريل ١٩٩٢م (اليوم التالى) صباحا ومساء ، حضرهما مندوبين عن الحكومة. وبعد أن نظرت اللجنة مشروع القانون ومذكرته الإيضاحية أجريت بعض التعديلات أهمها :

- تعديل نص المادة السابعة والذي جاء بمشروع القانون على النحو التالى :
 " ... ويجب أن يكون رئيس الجامعة أو أحد نوابه من المصريين " إلى
 ويجب أن يكون رئيس الجامعة مصريا " .
- الاتفاق على ضرورة عدم النص فى القانون على تحديد الحد الأدنى للقبول بهذه الجامعة - الخاصة - حيث نصت الفقرة (هـ) فى المادة الثالثة من مشروع القانون على : " ... ألا تقل نسبة الدرجات الحاصلين عليها فى شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها عن (٦٥ %) من مجموع الدرجات بما يحقق تكافؤ الفرص " .

ووافقت لجنة التعليم بمجلس الشعب بالإجماع على مشروع إنشاء الجامعات الخاصة حيث أعلن أعضاء اللجنة تأييدهم لإنشاء الجامعة لخلق الأبواب الخلفية أمام التحاق الطلبة المصريين بالجامعات الأجنبية ، وتوفير العملات الصعبة لمصر . ولإستصدار قانون بشأن الجامعات الخاصة يلزم أولا عرض مشروع القانون على مجلس الشعب لمناقشته وأخذ الموافقة عليه ، كما سيتضح فيما يلى :

ثانيا: ملامح الفلسفة الحاكمة للجامعات الخاصة المصرية.

أ) مراحل إصدار قانون إنشاء الجامعات الخاصة المصرية :

بعد موافقة لجنة التعليم بمجلس الشعب بالإجماع على مشروع إنشاء الجامعات الخاصة، تم عرض مشروع القانون على مجلس الشعب لمناقشته ، ودار حوار واسع فى رأى العام حول إنشاء هذه الجامعات ، شارك فيه عدد من

الممنولين وأسفذة الجامعات والكتاب والصحفيين ورجال الأعمال وأعضاء المجلس ، واتقسم الحوار بين مؤيد ومعارض - مثلما كان يحدث فى المرات السابقة - غير أن العزم فى هذه المرة كان مؤكدا على ضرورة أن يرى المشروع النور . فقد نوقش المشروع خلال جلستين : الأولى رقم (١٠٦) بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٩٢ وأخذت خلالها موافقة أعضاء المجلس على مشروع القانون من حيث المبدأ . والجلسة الثانية رقم (١٠٧) بتاريخ ١٩ / ٧ / ١٩٩٢ اختتم بها مجلس الشعب دورته البرلمانية بالموافقة نهائيا على مشروع قانون إنشاء الجامعات الخاصة . وذلك بعد مناقشة سريعة طرح خلالها بعض النواب عدة تحفظات ومخاطر قد تترب على إنشاء مثل هذه الجامعات ، كما وافق المجلس خلال هذه الجلسة على إدخال التعديلات عليه وأهمها حذف الفقرة (هـ) من المادة الثالثة ، وتعديل نص المادة السابعة . وقد رأس الجلسة الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس المجلس .

وبناء على موافقة مجلس الشعب أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية القانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢م بشأن إنشاء الجامعات الخاصة فى ٢١ المحرم ١٤١٣هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٩٩٢م ، ونشر بالجريدة الرسمية بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٩٢م .

وتضمن القانون إحدى عشرة مادة ، ونصت المادة الأولى منه على أنه " يجوز إنشاء جامعات خاصة تكون أغلبية الأموال المشاركة فى رأس مالها ممنوكة لمصريين ، ولا يكون غرضها الأساسى تحقيق الربح ، ويصدر بإنشاء الجامعات الخاصة وتحديد نظمها قرار من رئيس الجمهورية بناء على طلب جماعة المؤسسين وعرض وزير التعليم وموافقة مجلس الوزراء " .

ورغم صدور قانون إنشاء الجامعات الخاصة عام ١٩٩٢ فإن هذه الجامعات لم تبدأ عملها إلا فى العام الجامعى ٩٦ / ١٩٩٧م كما سيتبين فيما يلى
(ب) **بداية عمل الجامعات الخاصة المصرية (٩٦ / ١٩٩٧م) :**

على الرغم من صدور القانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة فإن الأمر تطلب أربع سنوات كاملة من المحاولات للحصول على موافقة وزارة التعليم ثم مجلس الوزراء تنفيذا لما جاء بالمادة الأولى - سالفه الذكر من القانون ، إلا أن مجلس الوزراء بادر فى أغسطس عام ١٩٩٦ بالموافقة على إنشاء أربع جامعات خاصة دفعة واحدة وفى جلسة واحدة وهى جامعات : ٦ أكتوبر ، أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب ، مصر للعلوم والتكنولوجيا مصر الدولية ، وفى نفس العام (١٩٩٦) صدر لكل جامعة قرار من رئيس الجمهورية بالإشياء ، مما دفع بجريدة الأهرام المصرية أن تكتب هذه الفقرة تحت عنوان " ولادة غير شرعية " . لما فيها من مخالفة لما جاء بالمادة الأولى من القانون (١٠١) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة ، حيث يجب أن تسبق موافقة مجلس الوزراء موافقة وزير التعليم ، إلا أن مجلس الوزراء قد وافق على إنشاء هذه الجامعات الأربع دون انتظار لموافقة وزير التعليم ، الأمر الذى يتضح معه قوة الإرادة لحسم هذا الموضوع .

وعلى أية حال فقد بدأت الجامعات الأربع - سالفه الذكر - معافى فتح أبوابها واستقبال الطلبة فى عام جامعى واحد وهو العام الجامعى ٩٦ / ١٩٩٧م ، وبدأ بذلك زحف المال الخاص على التعليم الجامعى مع تقلص دور الدولة عن مسؤولياتها التعليمية فى ظل الخصخصة ، ففى عام ٢٠٠٢م صدر قرارين جمهوريين بإنشاء جامعتين جديدتين هما : الجامعة الفرنسية ، والجامعة الألمانية

، وقد بدأت الدراسة بالجامعة الفرنسية فى أكتوبر ٢٠٠٢م ، بينما بدأت الدراسة بالجامعة الألمانية فى أكتوبر ٢٠٠٣م . هذا إضافة إلى جامعات خاصة صدر بإتشائها قرارات من رئيس الجمهورية وأخرى وافق مجلس الجامعات الخاصة على إنشائها (تحت التأسيس) وسوف يتضح ذلك فيما بعد عند الحديث عن تطور أعداد الجامعات الخاصة المصرية ، ولأنه لا يمكن الفصل بين النظام التعليمى بمشكلاته وتحدياته ، وبين واقع المجتمع ، بل يمكننا القول إن النظام التعليمى يعكس من خلال بنيته ووظائفه وأهدافه ، ما يسود المجتمع من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية ، لذا فإن الباحث يتوقع أننا سنشهد مزيدا من الجامعات الخاصة فى مصر ، وذلك استنادا إلى عدة أسباب أهمها :

١- اتجاه الدولة نحو سياسة الخصخصة ، وتقلص دورها عن مسئولياتها والتزاماتها التعليمية وتركها للقطاع الخاص والمبادرات الأهلية والفردية وبالتالي استمرار زحف المال الخاص وشركات توظيف الأموال على التعليم وعلى أنواع معينة من هذا القطاع ، يقل فيها تكلفة المتعلم ويزداد عائد الربح . ومن الأمور التى بدأت بها الدولة فى هذا الاتجاه نذكر : أنظمة التعليم المفتوح ، الانتساب الموجه ، والتدرج فى زيادة المصروفات الدراسية عاما بعد عام - فى نظام التعليم المفتوح بلغ عدد المقيدى فى العام الجامعى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ (٥١) ألف طالبا وطالبة ، وفى نظام الانتساب الموجه بلغ عدد المقيدى (٢٩٨) ألف طالبا وطالبة يمثلون (٢٤%) من إجمالى المقيدى بالجامعات المصرية للعام الجامعى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ - . وهى أمور تسببت دون حوار قومى لترسيخ

الأيدولوجيا الرأسمالية فى مجال التعليم سعيا للحاق بالسوق الرأسمالى العالمى .

٢- تنامى الطلب الاجتماعى على التعليم بصفة عامة وعلى التعليم الجامعى بصفة خاصة، مع وجود الزيادة العالية والمطرودة فى السكان ، الأمر الذى يؤدى إلى اندفاع أعداد كبيرة من التعليم الأساسى نحو التعليم الثانوى ثم الجامعى . ويشهد على ذلك أن الاتجاه العام للطلبة المقبولين بالجامعات قد تميز بالتزايد ، حيث بلغ أعداد المقبولين من حملة الثانوية العام فى عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ نحو (٢٤٢) ألف طالبا وطالبة ، مقابل (٩١) ألف طالبا وطالبة فى عام ١٩٨٢ / ٨١ بنسبة زيادة قدرها (١٦٦%) ، وبالنسبة لشريحة السكان (الفئة العمرية ١٨ - ٢٣ عاما) فقد بلغت نسبة المقيدى بالتعليم العالى والجامعى حوالى (٣٠,٥ %) فى عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ فى حين كانت النسبة المناظرة فى عام ١٩٨٦ / ٨٥ حوالى (١٦,٩ %) .

٣- إن سياسة تحرير الاقتصاد المصرى - فى ظل الوضع العالمى الراهن - تعيش نزعة قوية لسرعة تدويل النظام الرأسمالى وما يستتبعه من عمليات إدماج لكافة مجتمعات العالم الثالث ، ومحاولة شد الأنظمة الاشتراكية - المتهاوية - إلى السوق الرأسمالى العالمى .

ج) تطور أعداد الجامعات الخاصة المصرية :

بدء ميلاد الجامعات الخاصة المصرية عام ١٩٩٦م بأربع جامعات دفعة واحدة تلى ذلك وفى عام ٢٠٠٢م ميلاد الجامعتين الفرنسية والألمانية ، ليصبح

بذلك عدد الجامعات الخاصة المصرية ست جامعات قائمة فى الفترة من ١٩٩٦ حتى ٢٠٠٢ م .

وفى عام ٢٠٠٤م وافق مجلس الجامعات الخاصة بجلسته المنعقدة فى ٢٤ مايو ٢٠٠٤م وذلك من حيث المبدأ على إنشاء ثلاث جامعات خاصة جديدة هى : جامعة الأهرام الكندية ، الجامعة المصرية البريطانية ، وجامعة النيل للدراسات العليا .

كما صدر فى نفس العام (٢٠٠٤م) قرار رئيس الجمهورية رقم (٤٣٠) لسنة ٢٠٠٤ بإنشاء جامعة خاصة باسم " الجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات " ويكون مقرها : القاهرة - المعادى الجديدة (وتعمل الآن فى مقرها المؤقت : القاهرة - المقطم - الهضبة الوسطى) وبدأت بها الدراسة فى العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ وتتكون إلى الآن من كليتين هما : كلية علوم الكمبيوتر ، كلية إدارة الأعمال .

وفى عددها الصادر فى ١ / ٧ / ٢٠٠٥ طالعنا جريدة الأهرام المصرية بأن مجلس الجامعات الخاصة قد أقر بشكل نهائى إنشاء ست (٦) جامعات خاصة جديدة ، سبق له الموافقة المبدئية على إنشائها بعدما انتهت من تقديم تقاريرها المالية والإدارية والهندسية والعلمية التى تؤكد جدية البعد التعليمى والعلمى ، ووافق المجلس على أن تبدأ هذه الجامعات الست فى تقديم أوراقها النهائية ، وهذه الجامعات هى : جامعة طيبة (النهضة) ، جامعة سيناء للتنمية ، جامعة الجمهورية للثقافة والطوم ، الجامعة المصرية الروسية ، جامعة القاهرة الجديدة (المستقبل) ، جامعة فلروس . هذا ومن المقرر أن يقوم مجلس

الجامعات الخاصة برفع تقارير عن هذه الجامعات إلى مجلس الوزراء لدراساتها وإقرارها تمهيدا لاستصدار القرارات الجمهورية الخاصة بإنشائها .

ومما يجدر ذكره هنا أن الباحث لم يستطع الحصول - من الجهات المختصة - على ما يثبت إقرار إنشاء أو حتى الموافقة المبدئية على إنشاء جامعتى : النيل للدراسات العليا، والجمهورية للثقافة والعلوم ، سابقتى الذكر ، وقد يرجع ذلك إلى عدم انتهاء هاتين الجامعتين من تقديم أوراقهما النهائية اللازمة فى هذا الشأن .

وترتبطا على ذلك وبعد التفاوضى عن جامعتى : النيل للدراسات العليا ، والجمهورية للثقافة والعلوم يتضح أن عدد الجامعات الخاصة المصرية ، قد تطور من أربع (٤) جامعات عام ١٩٩٦ ، ليصل إلى أربعة عشر (١٤) جامعة حتى عام ٢٠٠٦ (حتى الآن) ، منها تسع (٩) جامعات قائمة وتعمل ، وجامعة واحدة صدر بإنشائها قرارا جمهوريا ولم تبدأ بها الدراسة بعد ، وأربع (٤) جامعات أخرى جارى اتخاذ إجراءات استصدار قرارات جمهورية بإنشائها ، وفيما يلى بيانا بهذه الجامعات الأربعة عشر يوضح اسم الجامعة ، ومقرها ، والقرار الجمهورى الصادر بإنشائها وتاريخ بدء الدراسة بها .

جدول (٨)

بيان بالجامعات الخاصة المصرية

يوضح اسم الجامعة ، ومقرها ، والقرار الجمهورى الصادر بإنشائها ، وتاريخ بدء الدراسة بها طبقا لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦

م	اسم الجامعة	مقرها	رقم القرار الجمهورى بإنشاء وتاريخه	تاريخ بدء الدراسة
١-	٦ أكتوبر	الجيزة - مدينة ٦ أكتوبر	٢٤٣ لسنة ١٩٩٦	١٩٩٦
٢-	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب	الجيزة - مدينة ٦ أكتوبر	٢٤٤ لسنة ١٩٩٦	١٩٩٦
٣-	مصر للعلوم والتكنولوجيا	الجيزة - مدينة ٦ أكتوبر	٢٤٥ لسنة ١٩٩٦	١٩٩٦
٤-	مصر الدولية	القاهرة - مدينة العبور	٢٤٦ لسنة ١٩٩٦	١٩٩٦
٥-	الفرنسية فى مصر	القاهرة - مدينة الشروق	٢٦ لسنة ٢٠٠٢	٢٠٠٢
٦-	الألمانية بالقاهرة	القاهرة - القاهرة الجديدة	٢٧ لسنة ٢٠٠٢	٢٠٠٣
٧-	الأهرام الكندية	الجيزة - مدينة ٦ أكتوبر	٣٩٣ لسنة ٢٠٠٤	٢٠٠٥
٨-	البريطانية فى مصر	القاهرة - مدينة الشروق	٤١١ لسنة ٢٠٠٤	٢٠٠٥
٩-	الحديثة للتكنولوجيا	القاهرة - المقطم	٤٣٠ لسنة ٢٠٠٥	٢٠٠٥

والمعلومات	٢٠٠٤	
١٠- سيناء	شمال سيناء - العريش ، الإسماعيلية - القنطرة شرق	٣٦٣ لسنة ٢٠٠٥ لم تبدأ حتى الآن
١١- فاروس	الإسكندرية - سموحة	جارى اتخاذ
١٢- المصرية الروسية	القاهرة - مدينة بدر	إجراءات
١٣- المستقبل (القاهرة الجديدة)	القاهرة - القاهرة الجديدة	استصدار قرارات
١٤- النهضة (طيبة)	بنى سويف - بنى سويف	جمهورية باتشائها

ويتضح من الجدول السابق أن بداية الجامعات الخاصة المصرية - فى تسعينيات القرن العشرين - كانت قوية ، حيث بدأت بأربع جامعات دفعة واحدة فى عام ١٩٩٦ ، تلاها وفى غضون خمس سنوات فقط من عملها ، صدور قرارين جمهوريين بإنشاء جامعتين جديدتين (الفرنسية ، والألمانية) فى عام ٢٠٠٢ ، وفى عام ٢٠٠٤ صدرت ثلاثة قرارات جمهورية بإنشاء ثلاث جامعات أخرى ، تلى ذلك وفى عام ٢٠٠٥ قرار جمهورى بإنشاء جامعة سيناء ، بالإضافة إلى جملة من الموافقات المبدئية على إنشاء جامعات خاصة جديدة منها أربع جامعات جارى اتخاذ إجراءات استصدار قرارات جمهورية باتشائها.

وإن دل ذلك على شئ فإنه يدل على أن الدولة قد رفعت بالفعل وبقوة شعار خصخصة التعليم الجامعى ، مسايرة للنظام العالمى الجديد ، الذى يشجع اقتصاديات السوق والمنافسة بالتحول نحو الخاص ، وتكاملا مع ذلك فإن الباحث يتوقع امتداد هذا التوجه إلى التعليم الثانوى بأنواعه المختلفة ، لتقتصر مجانية التعليم الحقيقية على التعليم الأساسى (الابتدائى + الإعدادى) فقط.

كما يتضح أيضا من الجدول السابق أن الجامعات التسع العاملة - حتى الآن - مركزة في محافظتين فقط (القاهرة والجيزة) ، وهذا يشير إلى ضرورة توزيع ما يستجد من جامعات خاصة على مدن الجمهورية المختلفة ، خاصة المدن الجديدة ، الأمر الذى قد يساعد فى تخفيف العبء المادى والنفسى (بسبب اغتراب الطلبة) على أولياء الأمور من ناحية ، كما يساعد على جذب السكاتى للمدن الجديدة من ناحية أخرى ، وقد يكون فى توزيع جامعات : سيناء ، وفاروس ، والنهضة على محافظات أخرى غير القاهرة والجيزة ما يؤيد ذلك .

وإذا كان رأى الدستورى السليم لا يرى أن الدستور قد منع أو حظر إنشاء جامعات خاصة - سبق توضيح ذلك فى هذا الفصل عند الحديث عن الجامعات الخاصة فى السبعينيات - فإن إنشاء مثل هذه الجامعات مع ذلك يجب أن يظل مرهونا بموافقة صريحة من الدولة ، ويظل مرهونا أيضا بإشراف الدولة على تلك الجامعات إشرافا لا يخل باستقلالها من ناحية ، ولا يخرجها عن إطار النظام العام فى الدولة وحاجات المجتمع من ناحية أخرى ، وأمام كل هذه الاعتبارات كان من الضرورى وضع قوانين ولوائح لتنظيم هذه الجامعات والعمل بها ، وفيما يلى تعريجا على هذه القوانين واللوائح .

د) القوانين واللوائح المنظمة للجامعات الخاصة المصرية :

لتنظيم الجامعات الخاصة المصرية والعمل بها صدرت عدة قوانين ولوائح أهمها : القانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ ، اللاحة التنفيذية للقانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ ، ضوابط إنشاء الجامعات الخاصة ، وفيما يلى نشير إلى كل منها :

١) القانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ م .

كان من الضرورى وضع قانون مستقل ينظم الجامعات الخاصة المصرية بعيدا عن نطاق القوانين القائمة وخاصة القانون رقم (٥٢) لسنة ١٩٧٠ بشأن

تنظيم المعاهد العالية الخاصة ، والقانون رقم (٤٩) لسنة ١٩٧٢ بشأن تنظيم الجامعات . وترتيباً على ذلك صدر القانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة ، وتضمن إحدى عشرة مادة ، نصت المادة الأولى منه على أنه " يجوز إنشاء جامعات خاصة ، تكون أغلبية الأموال المشاركة في رأس مالها مملوكة لمصريين ، ولا يكون غرضها الأساسي تحقيق الربح ، ويصدر بإنشاء الجامعات الخاصة وتحديد نظامها قرراً من رئيس الجمهورية بناء على طلب جماعة المؤسسين وعرض وزير التعليم وموافقة مجلس الوزراء " .

وحدد القانون في مادته الثانية أهداف الجامعة وذلك على النحو التالي نصه " تهدف الجامعة إلى الإسهام في رفع مستوى التعليم والبحث العلمي وتوفير التخصصات العلمية الحديثة لإعداد المتخصصين والفنيين والخبراء في شتى المجالات بما يحقق الربط بين أهداف الجامعة واحتياجات المجتمع المتطورة وأداء الخدمات البحثية للغير ، وعلى الجامعة أن توفر أحدث الأجهزة المتطورة " .

كما حددت المادة الثالثة شخصية ومكونات الجامعة وذلك على النحو التالي : " يكون للجامعة شخصية اعتبارية خاصة ، ويمثلها رئيسها أمام الغير ، وتتكون من أقسام وكليات أو معاهد عليا متخصصة أو وحدات بحثية " .

٢- اللائحة التنفيذية للقانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢

صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٥٥ لسنة ١٩٩٦ باللائحة التنفيذية للقانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة ، وفي عام ٢٠٠٢ تم تعديل هذه اللائحة بقرار رئيس الجمهورية رقم (٢١٩) لسنة ٢٠٠٢ باللائحة التنفيذية للقانون المشار إليه .

وتضمنت هذه اللاحة سبعة أبواب تحمل العاوين التالية (على الترتيب) :
مجلس الجامعات الخاصة ، إجراءات إنشاء الجامعات الخاصة ، القيادات الجامعية
وأعضاء هيئة التدريس ، شئون الطلاب ، الشئون المالية ، العلاقة بين مؤسسات
الدولة والجامعات الخاصة، صندوق التعليم الجامعى الخاص .

ونظرا لأهمية دور مجلس الجامعات الخاصة (الباب الأول من اللاحة)
والمتمثل فى اشتراكه فى تسيير غالبية المواد الواردة فى الأبواب الستة الأخرى
من اللاحة ، ولكونه هو المختص بوضع السياسة العامة للتعليم الجامعى الخاص
- كما ورد باللاحة - لذا يصبح من الضرورى أن نعطى له مساحة توضيحية
أوفر وذلك فيما يلى :

• **مجلس الجامعات الخاصة :** تضمنت اللاحة التنفيذية للقانون رقم (١٠١)
لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة سبعة أبواب اختص الباب الأول منها
بمجلس الجامعات الخاصة والذي جاء فى مادتين : المادة الأولى تناولت كيفية
تشكيل هذا المجلس بينما اهتمت المادة الثانية بتوضيح اختصاصاته وهى كمايلى:
يختص المجلس بوضع السياسة العامة للتعليم الجامعى الخاص فى إطار
التخطيط العام للتعليم العالى والعمل على توجيه هذه السياسة بما يتفق مع حاجة
البلاد ، والتنسيق فيما بين الجامعات الخاصة وفيما بينها وبين الجامعات
الحكومية ، وله على وجه الخصوص ما يأتى :

١ - فحص طلبات إنشاء الجامعات الخاصة للتحقق من استيفائها للضوابط
الواردة بقانون إنشاء الجامعات الخاصة وهذه اللاحة ، وبخاصة :

_ مدى قدرتها على الإسهام فى رفع مستوى التعليم والبحث العلمى ، وتوفير
التخصصات العلمية الحديثة لإعداد المتخصصين والفنيين والخبراء فى شتى

المجالات ، بما يحقق الربط بين أهداف الجامعة واحتياجات المجتمع المتطورة وأداء الخدمات البحثية للغير ، وتوفير أحداث الأجهزة المتطورة .

— توافر الإمكانيات المادية والبشرية لتحقيق أهداف الجامعة قبل البدء فى مزاولة نشاطها ، وبما يضمن استمرار هذا النشاط .

٢- اقتراح وسائل التعاون بين الجامعات الخاصة والجامعات الحكومية والجامعات الأجنبية .

٣- اقتراح تطوير نظم الامتحانات .

٤- تحديد أعداد المقبولين سنويا بالكليات والمعاهد العليا المتخصصة والوحدات البحثية بالجامعات الخاصة بما يتناسب ويضمن حسن سير العملية التعليمية .

٥- متابعة نشاط الجامعات الخاصة وتقييم أدائها وفقا للمعايير والقواعد والإجراءات التى يضعها المجلس ، والتقارير الدورية التى يعرضها مستشارو تلك الجامعات ممثلو الوزير المختص (وزير التعليم العالى) ، ويجوز نشر نتائج هذه التقارير فى النشرات الصادرة عن وزارة التعليم العالى .

٦- دراسة أسباب ما يتكشف من أوجه قصور نشاط الجامعات الخاصة عن أداء رسالتها، واقتراح وسائل إزالة هذه الأسباب ، وعلاج آثارها .

٧- دراسة ما يعرض على المجلس من حالات مخالفة الجامعة الخاصة للقانون أو لهذه اللائحة أو قرار إنشائها أو نظمها أو قرارات المجلس ، واقتراح التدابير الكفيلة بإزالة أسباب المخالفة .

٨- إعداد الدراسات المتعلقة بمعادلة الدرجات العلمية والشهادات والدبلومات التى تمنحها الجامعات الخاصة بتلك التى تمنحها الجامعات الحكومية ، وذلك وفقا للقواعد والإجراءات المقررة لمعادلة الدرجات العلمية .

وجدير بالذكر أن مجلس الجامعات الخاصة قد اتخذ مجموعة من الإجراءات والتدابير لتصحيح المسار بالجامعات الخاصة ، بما فى ذلك إنشاء لجان المتابعة الميدانية ، وتوفير التدريب العملى لكليات الطب بتلك الجامعات ، وتحديد أعداد المقبولين ، ووضع دليل للقبول بالجامعات الخاصة لتعريف الطلبة بالفرص المتاحة والشروط اللازمة للالتحاق وتوفير معلومات كافية عن الجامعة . هذا بالإضافة إلى إنشاء مكتب قبول الجامعات الخاصة بموجب القرار الوزارى رقم ٢٩٧ لسنة ٢٠٠٣م. والذي كان له دور فى تلافى الكثير من التجاوزات فى قبول الطلبة ببعض الجامعات الخاصة .

فقد ثبت فى العام الجامعى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وقوع مخالفات فى قبول الطلبة بكل من جامعة ٦ أكتوبر ، وجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا سواء فى أعداد المقبولين أو الحد الأدنى لمجموع الدرجات الذى حدده مجلس الجامعات الخاصة لكل كلية . حيث كان من المقرر لجامعة ٦ أكتوبر قبول (٣٤٠٠) طالبا وطالبة إلا أنها قبلت (٤٨٠٦) طالبا وطالبة منهم (٢٨٩) طالبا وطالبة أقل من الحد الأدنى للقبول فى كليات : الطب والجراحة (١١) ، والصيدلة (١٤١) ، العلاج الطبيعى (١٨) ، طب الأسنان (٣٥) ، الهندسة (٢٢) ، اللغات والترجمة (٤) ، الاقتصاد والإدارة (١٥) ، التربية (٢٣) ، الإعلام (١٢) ، العلوم الاجتماعية (٦) ، السياحة والفنادق (٢) طالبا وطالبة . كما كان من المقرر لجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا قبول (٢٤٠٠) غير أنها قبلت (٢٤٣١) طالبا وطالبة منهم (٣٦٢) طالبا وطالبة دون الحد الأدنى للقبول فى كليات :

الطب والجراحة (٧) ، الصيدلة (١٨٢) ، العلاج الطبيعى (٢٦) ، طب الأسنان (٢٣) ، الهندسة (٢٤) ، الحاسب الآلى (١١) ، اللغات والترجمة (٣) ، الاقتصاد والإدارة (٣٢) ، الإعلام (٥٤) طالبا وطالبة .

ويتضح من الإحصاءات السابقة أن غالبية الأعداد المقبولة دون الحد الأدنى تركزت فى كليتى الصيدلة بالجامعتين المذكورتين . وبناءً على هذه المخالفات ، وفى أكتوبر ٢٠٠٢ صدر - بعد انتهاء مهلة تصحيح الأوضاع - قرار مجلس الجامعات الخاصة بإيقاف قبول طلبة جدد بكليتى الصيدلة بالجامعتين فى العام الجامعى التالى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ .

وجدير بالذكر أن جامعة ٦ أكتوبر - هى وبقية الجامعات الخاصة الأخرى - قد التزمت بعد ذلك بالضوابط والقرارات التى اتخذها مجلس الجامعات الخاصة بشأن تسوية أوضاع الطلبة المخالفين ، ولم يخرج عن هذا الالتزام سوى جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا والتى لم توفق أوضاعها ، رغم توجيه مجلس الجامعات الخاصة إنذاراً لها وإعطائها المهلة الكافية لتلافى هذه السلبات بتسوية أوضاع هؤلاء الطلبة (المخالفين) حيث قرر د. مفيد شهاب - وزير التعليم العالى ورئيس مجلس الجامعات الخاصة آنذاك - السماح للطلبة الذين تم قبولهم بكليات جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا بالمخالفة لقرار مجلس الجامعات الخاصة بالتحويل إلى أى كلية حكومية بأى جامعة بشرط أن يتفق مجموع الطالب فى الثانوية العامة مع الحد الأدنى للقبول بهذه الكلية ، أو التحويل إلى أى كلية خاصة أخرى بنفس الجامعة إذا كانت هذه الكلية لم تستوف الأعداد المقررة لها ، أو إلى أى جامعة خاصة أخرى .

إلا أن جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا لم تبذل أى جهد لتسوية أوضاع الطلبة المخالفين ، بل وطعنت على قرار مجلس الجامعات الخاصة - بإيقاف القبول بكلية الصيدلة فى العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ - أمام محكمة القضاء الإدارى والتى أصدرت فى ٨ يوليو ٢٠٠٣ حكماً بوقف تنفيذ القرار . وقد التزمت وزارة التعليم العالى بتنفيذ الحكم وإن نبهت - فى الوقت ذاته - أنها تطعن عليه

أمام المحكمة الإدارية العليا ، وفى ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣ صدر قرار المحكمة الإدارية العليا بوقف تنفيذ الحكم الصادر من محكمة القضاء الإدارى لصالح كلية الصيدلة بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا بقبول طلاب جدد فى العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ .

وبمقتضى تنفيذ هذا الحكم أصبح من حق مجلس الجامعات الخاصة ألا يعتد بقبول الطلبة الذين قبلوا بكلية الصيدلة بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا فى العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ م ، لكن وفى ضوء أن الحكم قد صدر بعد بدء العام الدراسى ، فقد قرر المجلس - نزولا على اعتبارات مصلحة الطلبة الذين تم قبولهم بالكلية فى حدود الأعداد المقررة - اعتماد قبولهم ، وطلب المجلس من الجامعة المذكورة أن توفق أوضاع الطلبة الذين قبلتهم بالزيادة ولم يتم اعتماد قبولهم بكليات : الصيدلة ، والطب ، وطب الأسنان ، والعلاج الطبيعى ، والهندسة وتعهد رئيس الجامعة - د . محمود شريف والذى استقال من رئاسة الجامعة فيما بعد - بذلك وطلب مهلة أسبوعين لتسوية أوضاع هؤلاء الطلبة ، وبعد انتهاء المهلة طلب رئيس الجامعة إمهال الجامعة مرة أخرى تنتهى فى ١٤ فبراير ٢٠٠٤ لتوفيق أوضاع الطلبة المخالفين ، واستجاب المجلس لمطلبه ، وفى ١٥ فبراير ٢٠٠٤ تبين للمجلس أن الجامعة لم تبذل جهدا لتوفيق أوضاع هؤلاء الطلبة ، الأمر الذى ارتأى معه المجلس - بعد استفاد كل السبل المتاحة - وقف قبول طلبة جدد بكليات الطب وطب الأسنان والصيدلة بالجامعة للعام الجامعى ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ . وذلك إعمالا للمادة (٢٦) من اللاحة التنفيذية للقانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة والتى تنص على أنه " إذا خالفت الجامعة الخاصة أحكام القانون أو هذه اللاحة أو قرار إنشائها أو نظمها أو قرارات المجلس يكون للمجلس - بعد إنذار الجامعة ومنحها مهلة لتلافى

أسباب المخالفة - اقتراح إيقاف القبول بالجامعة أو إحدى كلياتها أو معاهدها العليا المتخصصة أو وحداتها البحثية على حسب الأحوال ويكون للوزير المختص بناءً على هذا الاقتراح - إصدار قرار الإيقاف ويترتب على هذا القرار عدم قبول طلبة جدد بالصف الدراسى الأول من العام الجامعى اللاحق لصدوره "

٣. ضوابط إنشاء الجامعات الخاصة المصرية :

وافق مجلس الوزراء على الضوابط الخاصة بالجامعات الخاصة - عرضت على المجلس الأعلى للجامعات فى جلسته بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٥

وذلك على النحو التالى:

- أن يكون إنشاء الجامعات الخاصة بقرار من رئيس الجمهورية شأنها فى ذلك شأن الجامعات الحكومية ، على أن تنشأ هيئة مختصة للنظر فى الطلبات المقدمة لإنشاء هذه الجامعات .
- التأكد من مصدر رأس المال الذى سوف يدفعه القائمون على هذه الجامعات حتى لا يتحول هذا النشاط إلى مجال لنشاط الأموال غير المعروفة المصدر ، وبحيث يكون هناك حد أدنى من رأس المال المدفوع ، حتى لا يتم إنشاء هذه الجامعات بأموال بنوك القطاع العام ، فتصبح خاصة من حيث الملكية وعامة من حيث التمويل .
- أن يكون سير العمل ونشاط هذه الجامعات والرقابة عليها من جانب الدولة ، وأن يستفاد من التجارب السابقة من حيث الحد الأقصى للرسوم ونوعية النشاط العلمى ، بحيث تكون هذه الجامعات إضافة حقيقية للجامعات الوطنية الحكومية ، وبحيث تكون نوعية ومستوى التعليم بهذه الجامعات إضافة جادة للجهد التتموى والجهد العلمى المصرى ومدخلا حقيقيا لمصر إلى مجالات جديدة من العلم .

- تحديد العلاقة بين التعليم الحكومى والتعليم الخاص على المستوى الجامعى ، ومدى استعانة هذه الجامعات بأساتذة الجامعات الحكومية وتنظيم الانتدابات بين هذه الجامعات.

وفى هذا الصدد أعاد المجلس الأعلى للجامعات فى جلسته بتاريخ ١٩٩٩ / ٨ / ٢٦ تأكيده على ضرورة دعم التعاون بين الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة حرصا على استمراريتها ، ويكون التعاون الأساسى من خلال أعضاء هيئة التدريس والسماح لهم بالندب الجزئى إلى الجامعات الخاصة ، ومشاركتهم فى أعمال الامتحانات والتصحيح .

- تحديد العلاقة بين القائمين على قيادة التعليم الجامعى الرسمى والتعليم الجامعى الخاص ، وقد رأى ضمنا لعدم خلق أى تعارض شخصى ورفعاً للحرص أن القائمين على قيادة التعليم الجامعى الحكومى والمتمثلة فى المجالس القيادية ولجان القطاعات وكل من بيده سلطة أو اتخاذ القرار الجامعى ، لا ينبغى أن يكون طرفا أو شريكا فى التعليم الجامعى الخاص .

وبعد العرض السابق لأهم القوانين واللوائح التى صدرت لتنظيم الجامعات الخاصة المصرية والعمل بها ، يعرض البحث فيما يلى لنظام هذه الجامعات من حيث : سياسة القبول، وموقف قبول وقيد الطلبة ، موقف أعضاء هيئة التدريس ، الاعتراف بالشهادات ومعادلة الدرجات العلمية ونوعية التخصصات ، المصروفات الدراسية ، الإدارة ، العلاقة بين مؤسسات الدولة والجامعات الخاصة المصرية .

هى سياسة القبول فى الجامعات الخاصة المصرية :

يشترط لقبول الطلبة بمرحلة الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الخاصة المصرية الحصول على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها ، مع الالتزام بالحد الأدنى للقبول فى الجامعة الذى ينص عليه فى قرار إنشائها ، والحد الأدنى

للقبول بالكليات النظرية والعملية الذى يقره مجلس الجامعات الخاصة المصرية فى ضوء نتيجة الثانوية العامة وما يعادلها والأماكن المتاحة ، وذلك فضلا عن شروط القبول التى يضعها مجلس الجامعة .

ويكون تحديد المجلس لأعداد المقبولين بكل جامعة فى حدود طاقة استيعاب الكليات والأقسام والمعاهد العليا المتخصصة والوحدات البحثية ، وفى حدود الإمكانيات البشرية والمادية المتوفرة للجامعة .

وبالرجوع إلى قانون تنظيم الجامعات الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢ - والذى لا تخضع له الجامعات الخاصة المصرية - نجد أن الالتحاق بالجامعات المصرية (الحكومية) يعتمد على معيار واحد وهو المجموع باستثناء بعض الكليات التى تضيف إلى المجموع نتيجة اختبار تعقده ، خاصا بالقدرات ، أو اختبارات شخصية فى كليات أخرى .

ولأن هذا يتناقض مع بعض المبادئ التى ينبغى أن تبنى عليها سياسة القبول فى التعليم الجامعى ، والتى ترى أن يكون القبول بهذا النوع من التعليم بناءً على رغبة الطالب فى دراسة تخصص معين مع قدرته على تحقيق ذاته فى هذا التخصص ، لذا يجب أن تفسح الجامعات الخاصة المصرية المجال أمام تحقيق هذه الرغبات للطلبة ، على أن يكون القبول فى ضوء مؤشرات احتياجات سوق العمل من الخريجين فى التخصصات الجامعية المختلفة ، وفى هذه الحالة يجب دراسة هذه الاحتياجات بالنسبة لكل تخصص ليكون عدد الطلبة متمشيا مع المتطلبات المجتمعية .

(و) موقف قبول وقيد الطلبة فى الجامعات الخاصة المصرية :

بلغ عدد المقبولين فى الجامعات الخاصة المصرية خلال العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ حوالى (٩٣٠٠) طالبا وطالبة ، كما وصل عدد المقيدون فى

أقدم أربع جامعات خاصة حوالى (٣٤٢٠٠) طالبا وطالبة فى العام الجامعى ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ ، ويوضح ذلك الجدولين التاليين (رقمي ٣ ، ٤) :

جدول (٩)

بيان بالجامعات الخاصة المصرية
يوضح أعداد الكليات والأقسام ، وأعداد الطلبة المقبولين
طبقا لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦

م	الجامعة	عدد الكليات والأقسام	أعداد الطلبة المقبولين
١-	٦ أكتوبر	١٤	٢٩٨٨
٢-	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب	٨	١٤٢٥
٣-	مصر للعلوم والتكنولوجيا	١٠	١٨٨١
٤-	مصر الدولية	٧	١٢٠٩
٥-	الفرنسية فى مصر	٣	٨٠
٦-	الألمانية بالقاهرة	٣	١٣٠٦
٧-	الأهرام الكندية	٤	١٠٩
٨-	البريطانية فى مصر	٣	١٧٩
٩-	الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات	٢	١٠٨
	الإجمالي	٥٤	٩٢٨٥

ويتضح من الجدول السابق أن الجامعات الخاصة المصرية تضم أعدادا لا يستهان بها من الطلبة ، حيث وصلت أعداد الطلبة المقبولين فى هذه الجامعات إلى حوالى (٩٣٠٠) طالبا وطالبة فى العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ ، الأمر الذى يحتم ضرورة الاهتمام بهذه النوعية من الجامعات من ناحية ، ويعطى بعدا لأهمية هذه الدراسة من ناحية أخرى .

ومما يؤيد ذلك أن مجلس الجامعات الخاصة كان قد قرر فى منتصف يناير ٢٠٠٦ ، أن يفتح مكتب تنسيق القبول لهذه الجامعات أبوابه لقبول طلبة جدد فى الكليات التى لم تستكمل الأعداد بها ، حيث لم تقبل الجامعات الخاصة خلال أغسطس ٢٠٠٥ إلا حوالى (٩٣٠٠) طالبا وطالبة من بين (١٥) ألفا قرر المجلس قبولهم فى هذه الكليات. أى بنسبة (٦٢%) وهى نسبة مازالت غير كافية لتخفيف العبء الطلابى عن الجامعات الحكومية ، كمبرر وراء إنشاء هذه الجامعات . وقد يرجع عجز الجامعات الخاصة عن قبول الأعداد المقررة لها إلى ارتفاع مصروفاتها الدراسية - كما سيتبين فيما بعد - بما لا يتناسب مع المستوى الاقتصادى لمختلف شرائح المجتمع المصرى .

وإذا علمنا أن عدد الطلبة المقيدين فى أقدم أربع جامعات مصرية خاصة ، قد وصل إلى حوالى (٣٤٢٠٠) فى العام الجامعى الماضى ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ ، ومع عدد (١٥) ألف آخرين كان من المفترض قبولهم ، فإنه يتبين لنا أهمية الدور الذى يمكن أن تقوم به هذه الجامعات فى تخفيف العبء الطلابى عن الجامعات الحكومية من ناحية ، وتوفير عملة صعبة للبلاد من ناحية أخرى ، خاصة وأن أكثر من ثلث (٣/١) عدد هؤلاء المقيدين من الوافدين، ويوضح ذلك الجدول التالى :

جدول (١٠)
بيان بتوصيف الطلبة بالجامعات الخاصة المصرية
طبقاً لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥

م	الجامعة	المقبولون			المقيدون		
		ع.م.ج	وافد	جملة	ع.م.ج	وافد	جملة
١ -	٦ أكتوبر	١٧٠٢	١٠٣٧	٢٧٣٩	١٠٤٢٥	٥٣٥٣	١٥٧٧٨

٢٥٦٤	٥٧٦	١٩٨٨	١١٥٢	٤١١	٧٤١	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب	٢-١
١٢٢٥٥	٤٩٦١	٧٢٩٤	١٩٢٤	٨٠١	١١٢٣	مصر للعلوم والتكنولوجيا	٣-١
٣٥٩١	١٠٩	٣٤٨٢	١٠٢٤	٣٦	٩٨٨	مصر الدولية	٤-١
٣٤١٨٨	١٠٩٩٩	٢٣١٨٩	٦٨٣٩	٢٢٨٥	٤٥٥٤	الإجمالي	

ويتضح من الجدول السابق أن النسبة الكلية للطلبة الوافدين بلغت (٣٢,٢ %) من مجموع المقيدین ، (٣٣,٤ %) من مجموع المستجدين (المقبولین) بزيادة قدرها (١,٢ %) لصالح المستجدين ، وهذا يدل على تزايد جذب الجامعات الخاصة المصرية للطلبة العرب الأمر الذي يعطى مؤشرا مرضيا فى تحقيق مبرر هام من مبررات إنشاء هذه الجامعات ، وهو توفير العملة الصعبة للبلاد .

كما يتضح من الجدول السابق أيضا وبعد استخراج النسب المئوية للطلبة الوافدين أن أعلى نسبة للطلبة الوافدين جاءت لصالح جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ونسبة (٤١,٦ %) للمستجدين ، (٤٠,٥ %) للمقيدين ، تلتها جامعة ٦ أكتوبر ونسبة (٣٧,٩ %) للمستجدين ، (٣٣,٩ %) للمقيدين ، وقد يرجع هذا الفرق بين الجامعتين إلى انخفاض المصروفات الدراسية لكليات جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا - كما سيتضح فيما بعد - عن نظيراتها فى جامعة ٦ أكتوبر .

وبمقارنة نسب الطلبة الوافدين المقيدىن فى الجامعتىن ، نجد أنها (٤٠,٥ %) فى جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ، (٣٣,٩ %) فى جامعة ٦ أكتوبر ، وبفارق (٦,٦ %) لصالح جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ، أما نسب الوافدين المستجدين فى الجامعتىن فجاءت بنسبة (٤١,٦ %) ، (٣٧,٩ %) على الترتيب ، وبفارق (٢,٧ %) لصالح جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ، ويعنى هذا تساؤل الفرق لصالح جامعة ٦ أكتوبر ، وقد يرجع ذلك إلى تعدد كليات جامعة ٦ أكتوبر ، الأمر الذى أدى إلى شهرتها فى المجتمع العربى ، مما يجعلها أكثر جذبا للطلبة العرب ، وقد يكون فى ذلك تأييدا لاختيار جامعة ٦ أكتوبر للتطبيق - كعينة للجامعات الخاصة - فى الشق الميدانى من هذا البحث .

وعلى النقيض فقد جاءت أقل نسبة للطلبة الوافدين من نصيب جامعة مصر الدولية حيث بلغت هذه النسبة (٣,٥ %) من مجموع المستجدين عليها (٣,٠٣ %) من مجموع المقيدىن بها ، وقد يرجع ذلك إلى ارتفاع المصروفات الدراسية لهذه الجامعة مقارنة بالجامعتىن السابقتىن ، الأمر الذى يعطى مؤشراً جلياً لضرورة اعتدال الجامعات الخاصة المصرية فى تحديد قيمة مصروفاتها الدراسية .

ن موقف أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخاصة المصرية :

يعتبر موقف أعضاء هيئة التدريس ومؤهلاتهم وتخصصاتهم وخبراتهم وظروف استخدامهم بعقود دائمة أو مؤقتة معياراً رئيساً لقدرة الجامعات على أداء رسالتها وتحقيق الأهداف المرجوة من إنشائها ، وفيما يلى بياناً بتوصيف أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخاصة المصرية خلال العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ ، موضح به نسبة أستاذ / طالب فى كل جامعة .

جدول (١١)

بيان بتوصيف أعداد أعضاء هيئة التدريس ونسبة أستاذ / طالب

بالجامعات الخاصة المصرية طبقا لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤

م	الجامعة	توصيف أعداد أعضاء هيئة التدريس										نسبة أعضاء هيئة التدريس المعيّنين والمعارين إلى الطلبة	أعداد الطلبة	الإجمالى العام
		معيّن			جملة	مُعار			مُنتدب					
		أ	أ.م	م		أ	أ.م	م	أ	أ.م	م			
١	٦ أكتوبر	٧	١	٢٠	٣٢	٣٠	٢٧	١١٧	١٥٧	٨٠	١٦٤	٥١٨	١٦٧٤٧	١٤٣/١
٢	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب	٢	٤	١٣	٣	٤	١	٢٧	١٧	٢٣	٢٩	٩٦	١٥١١	٥٦/١
٣	مصر للعلوم والتكنولوجيا	١٧	١٢	٦٢	٣١	١٣	٩	١٤٤	٨٧	٢٥	٧٤	٣٣٠	٩٧٥٣	٦٨/١
٤	مصر الدولية	٤	٦	١٣	٤	٥	٢	٣٤	٣٥	٢٥	٥٣	١٤٧	٢٢٧٠	٦٧/١
	الإجمالى العام	٣٠	٢٣	١٠٨	٧٠	٥٢	٣٩	٣٢٢	٢٩٦	١٥٣	٣٢٠	١٠٩١	٣٠٢٨١	٩٤/١

ويتضح من الجدول السابق وبعد تجميع فئات المعين ، والمعار ،

والمنتدب كل على حدة ، أن الجامعات الخاصة المصرية تعتمد اعتمادا كبيرا على أعضاء هيئة التدريس المنتدبين - من الجامعات الحكومية - والذي وصل عددهم إلى (٧٦٩) عضوا بنسبة (٧٠,٥ %) من الإجمالى العام وهو (١٠٩١) عضوا فى حين بلغ عدد المعينين منهم (١٦١) عضوا ، وهو نفس عدد المعارين أى بنسبة (١٤,٧٥ %) لكل من المعينين والمعارين .

ويلاحظ من هذه النسب أن نسبة الأعضاء المعيّنين (١٤,٧٥ %) لم تصل إلى الثلث (٣٣,٣٣ %) ، وهي النسبة التي حددتها المادة (١٥) من اللائحة التنفيذية لقانون إنشاء الجامعات الخاصة ، والتي ذكرت الآتي نصه " يجب أن يكون عدد أعضاء هيئة التدريس مناسباً لأعداد الطلاب الدارسين بالجامعات الخاصة ، وفقاً للقواعد المتعارف عليها في هذا الخصوص ، وألا يقل عدد المعيّنين منهم بصفة دائمة عند إنشاء الجامعة عن ثلث الأعضاء ، يزداد تدريجياً بما يتناسب مع تطور نشاط الجامعة "

كما يتبين أيضاً من الجدول السابق أن انخفاض نسبة أعضاء هيئة التدريس المعيّنين - خاصة الأساتذة والأساتذة المساعدين قد أدى إلى ارتفاع نسبة أستاذ / طالب في هذه الجامعات، إذا قورنت بالنسبة المتعارف عليها من ناحية ، وبنسبة أستاذ / طالب في الجامعات الحكومية من ناحية أخرى ، فقد تراوحت هذه النسبة في الجامعات الحكومية - في نفس العام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ م - ما بين (٢١ / ١) في جامعة القاهرة ، (٥٠ / ١) في جامعة جنوب الوادي. في حين أنها قد تراوحت في الجامعات الخاصة ما بين (٥٦ / ١) في جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب ، (١٤٣ / ١) في جامعة ٦ أكتوبر ، وقد يرجع هذا الارتفاع الضخم لهذه النسبة في جامعة ٦ أكتوبر إلى أنها من أولى الجامعات الخاصة العاملة في مصر إضافة إلى تنوع وتعدد كليّاتها والتي وصل عددها حتى الآن إلى (١٤) كلية ، وهو العدد الذي لا يتوفر في أي جامعة خاصة أخرى حتى الآن .

*** الاعتراف بالشهادات ، ومعادلة الدرجات العلمية ، ونوعية التخصصات في الجامعات الخاصة المصرية :**

إن قضية الاعتراف بالشهادات التي تمنحها الجامعات الخاصة المصرية ومعادلة درجاتها العلمية ، قضية خطيرة تواجه خريجي هذه المؤسسات التعليمية

وقد تؤدي - إن لم يتم وضع سياسة واضحة لمواجهةها - إلى آثار اجتماعية سلبية نوجز أسبابها فيما يلي :

- إن القرار الجمهوري بإنشاء أى جامعة خاصة مصرية يعنى بالنسبة للمواطن المصرى والعربى أن هذه الجامعة معترف بها فى دولة مقرها - مصر - وأن الشهادات التى يحصل عليها خريجوها معترف بها .
- إن المعنى الضمنى فى ذهن المواطن لإنشاء الجامعة الخاصة المصرية ، يختلف عن معناه بالنسبة للدولة ، حيث إن إنشاء هذه الجامعة فى مفهوم الدولة يفرق بين الاعتراف بالشهادة وبين معادلتها بشهادات الجامعات العامة (الحكومية) الخاضعة لقانون تنظيم الجامعات رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢ ، وهى الشهادات التى تعترف بها الدولة .
- إن خريجى الجامعات الخاصة المصرية حسب المفهوم السابق ، لا يمكن أن يشغلوا وظائف الدولة العامة المسئولة عنها وزارة الدولة للتنمية الإدارية ، إلا بعد معادلة الشهادات التى يحصلون عليها من المجلس الأعلى للجامعات ، وهو الأمر الذى قد يحدث وقد لا يحدث بناءً على المعايير التى وضعها المجلس الأعلى للجامعات ، وقد يستغرق ذلك سنوات عديدة .
- موقف النقابات المهنية والتى قد لا تعترف بخريجى التخصصات المهنية مثل : الطب ، وطب الأسنان ، والصيدلة ، والحقوق من الجامعات الخاصة المصرية ، وهذا يغلق أمامهم أيضا مجال العمل الخاص ، وهو الأمر المطروح والقائم فى حالة خريجى كليات الطب ، وطب الأسنان ، والصيدلة الآن ، حيث توجد مشاكل فى اعتراف بعض النقابات بهم .
- إن الطلبة غير المصريين فى الجامعات الخاصة المصرية أصبحوا يعانون أيضا من أن بلادهم لا تعترف بمؤهلاتهم قياسا بعدم الاعتراف بمؤهلات الطلبة المصريين من هذه الجامعات وفى بلد منشأ هذه الجامعات . وهو الأمر الذى

يؤدى إلى إنتهاء وفود الطلبة العرب إلى الجامعات الخاصة المصرية نهائيا فى المستقبل ، فى حين أن اجتذاب الطلبة العرب يعد من أهم وأقوى المبررات لإنشاء هذه الجامعات .

وجدير بالذكر أن ما تواجهه الدولة من مشاكل خريجى الجامعات الخاصة المصرية من حيث الاعتراف بالشهادة الجامعية يمتد إلى خريجى التعليم المفتوح فى الجامعات الحكومية، حيث يظن خريجى التعليم المفتوح أن لهم نفس حقوق خريجى الجامعات المنتظمين.

وعلى أية حال فإن الجامعات الخاصة المصرية قد انتهت من اعتماد الشهادات التى تمنحها ومعادلتها فى معظم كلياتها ، وتسعى جاهدة لاستكمال معادلة باقى الدرجات العلمية التى لم يتم معادلتها بعد .

أما عن نوعية التخصصات المقدمة فى الجامعات الخاصة المصرية ، فيوضحها الجدول التالى ، وذلك طبقا لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ :

جدول (١٢)

بيان بنوعية التخصصات التى تقدمها الجامعات الخاصة المصرية

طبقا لإحصاء العام الجامعى ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦

م	الجامعة	عدد الكليات والأقسام	نوعية التخصصات المقدمة	
			علمية وتكنولوجية	نظرية
١	٦ أكتوبر	١٤	٨	٦
٢	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب	٨	٥	٣
٣	مصر للعلوم والتكنولوجيا	١٠	٧	٣
٤	مصر الدولية	٧	٤	٣
٥	الفرنسية فى مصر	٣	١	٢

٦	الألمانية بالقاهرة	٣	٢	١
٧	الأهرام الكندية	٤	٢	٢
٨	البريطانية فى مصر	٣	٢	١
٩	الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات	٢	١	١
الإجمالى		٥٤	٣٢	٢٢

ويتبين من الجدول السابق أن غالبية كليات الجامعات الخاصة المصرية تتجه إلى دراسة التخصصات العلمية والتكنولوجية مثل : الطب ، والصيدلة ، والحاسب الآلى ، والهندسة ، والأقسام العلمية بكلية التربية ، والتي وصل عددها إلى الآن (٣٢) كلية وقسم مقابل (٢٢) كلية وقسم للتخصصات النظرية كاللغات والاقتصاد ، والإعلام ، والأقسام الأدبية بكلية التربية ، وإن كان هذا الاتجاه مرغوباً إلا أنه مازال لا يساير الهدف من إنشاء الجامعات الخاصة كنظام استحدث لمسايرة المتغيرات العالمية التكنولوجية بإيجاد تخصصات غير نمطية لا تتوفر فى الجامعات الحكومية ، حيث جاء البند العاشر من المادة الثالثة من اللائحة التنفيذية لقانون إنشاء الجامعات الخاصة على النحو التالى :

" الكليات والأقسام والمعاهد العليا المتخصصة والوحدات البحثية التى تتكون منها الجامعة ، وذلك بما يواكب العصر ، وينأى عن التخصصات التى تعاني منها الدولة فائضا فى الخريجين الحاصلين على شهادتها الجامعية "

ج) المصروفات الدراسية والمنح المخفضة فى الجامعات الخاصة المصرية

تشير الوثائق إلى أن المصروفات الدراسية التى يدفعها الطلبة فى الجامعات الخاصة المصرية مرتفعة ، كما تتفاوت قيمتها وتختلف من جامعة لأخرى ، ومن كلية لأخرى داخل الجامعة الواحدة ، ويوضح ذلك الجدول التالى :

جدول (١٣)

بيان بقيمة المصروفات الدراسية في كليات الجامعات الخاصة المصرية

للعام الجامعي ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ (القيمة بالجنيه المصري)

الجامعة الكلية	٦ أكتوبر	مصر للعلوم والتكنولوجيا	أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب (للتبرم)	مصر الدولية	الفرنسية في مصر	الألمانية بالقاهرة (للتبرم)	الأهرام الكندية	البريطانية	الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات
الطب والجراحة	٣٣٠٧٥	٢٤٠٠٠ قبل الإكلينيكية ٢٦٠٠٠ الإكلينيكية	-	-	-	-	-	-	-
الصيدلة	٢٣١٠٠	١٨٠٠٠	١٢٥٠٠	٢٥٠٠٠	-	٢٦١٠٠	٣٥٠٠٠	-	-
العلاج الطبيعي	١٣٦٥٠	١٢٠٠٠	-	-	-	-	-	-	-
طب الأسنان	٢٤٦٧٥	١٨٠٠٠	١٢٥٠٠	٢٩٠٠٠	-	-	-	-	-
العلوم الطبية التطبيقية	٦٨٢٥	-	-	-	-	-	-	-	-
الهندسة	١٧٨٥٠	١٧٠٠٠	١٠٦٧٠	٢٢٠٠٠	٣٠٠٠٠	١٨٩٠٠	-	٤٥٠٠ استرليني	-
الحاسب الآلي	١٢٦٠٠	١٢٠٠٠	١٠١٢٠	١٩٠٠٠	-	-	٢٩٠٠٠	٣٥٠٠ استرليني	١٤٩٤٠
اللغات والترجمة	٨٩٢٥	٧٠٠٠	١٠١٢٠	٢١٠٠٠ الألسن	٢٠٠٠٠	-	-	-	-
الاقتصاد والإدارة	٨٩٢٥ عربي ١١٠٢٥ إنجليزي	٧٧٠٠ عربي ٩٧٠٠ إنجليزي	١٠٤٥٠	٢١٠٠٠	٢٠٠٠٠	١٥٠٠٠	٢٩٠٠٠	٣٥٠٠ استرليني	١٤٩٤٠
الفنون التطبيقية	٥٧٧٥	-	-	-	-	-	-	-	-

الجامعة الكلية	٦ أكتوبر	مصر للعلوم والتكنولوجيا	أكتوبر للعلوم والآداب (للتيرم)	مصر الدولية	الفرنسية فى مصر	الألمانية بالقاهرة (للتيرم)	الأهرام الكندية	البريطانية	الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات
التربية	٤٧٢٥	-	-	-	-	-	-	-	-
الإعلام	١١٠٢٥	٧٧٠٠	١٠١٢٠	٢١٠٠٠	-	-	٢٩٠٠٠	-	-
العلوم الاجتماعية	٤٧٢٥	-	-	-	-	-	-	-	-
السياحة والفنادق	٦٨٢٥	-	-	-	-	-	-	-	-
التكنولوجيا الحيوية	-	٢٠٠٠٠	١٢٥٠٠	-	-	-	-	-	-

ويتضح من الجدول السابق مدى التفاوت فى قيمة المصروفات الدراسية بين الجامعات الخاصة وبعضها ، وبين الكليات المختلفة داخل الجامعة الواحدة ، ومن الملاحظ أيضا ارتفاع هذه المصروفات فى الكليات العلمية والتكنولوجية عنها فى الكليات النظرية ، حيث تتراوح فى الكليات العلمية - فى العام الدراسى - ما بين (٦) آلاف جنيها مصريا (فى كلية الفنون التطبيقية بجامعة ٦ أكتوبر) ، (٥٢) ألف جنيها مصريا (فى كلية الصيدلة بالجامعة الألمانية) ، أما فى الكليات النظرية فتتراوح ما بين (٥) آلاف جنيها مصريا (كما فى كليتى العلوم الاجتماعية والتربية بجامعة ٦ أكتوبر) ، (٢٩) ألف جنيها مصريا (كما فى كلية الإعلام بجامعة الأهرام الكندية) .

وقد يكون هذا الارتفاع فى المصروفات الدراسية سببا فى أن الطاقة الاستيعابية للجامعات الخاصة المصرية مازالت محدودة ، وغير قادرة بشكل واضح على تخفيف العبء الطلابى عن الجامعات الحكومية .

أما بالنسبة للمنح المخفضة ، فقد حددها قرار إنشاء كل جامعة " خاصة " . حيث حددت المادة السادسة من كل قرار اختصاصات مجلس الجامعة ، والتي منها : " وضع القواعد الخاصة بالمنح المخفضة أو بالمجان للطلبة المصريين ، على أن يكون ذلك للنابهيين والمتفوقين ، ومن تحل بهم الكوارث ، وعلى ألا تزيد هذه المنح على (١٠ %) من أعداد طلبة الجامعة فى جميع مراحل التعليم سنويا " .

ط إدارة الجامعات الخاصة المصرية :

حدد القانون رقم (١٠١) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة " المصرية " كيفية إدارة هذه الجامعات فى سبع مواد على النحو التالى :

- يكون للجامعة شخصية اعتبارية خاصة ، ويمثلها رئيسها أمام الغير وتتكون من أقسام وكليات أو معاهد عليا متخصصة أو وحدات بحثية ويبين القرار الصادر بإنشاء الجامعة الأحكام المنظمة لها ، وبصفة خاصة : تكوين الجامعة ، تشكيل مجلس الجامعة وغيره من المجالس الجامعية واللجان المنبثقة عنها واختصاصاتها ونظم العمل بها ، وبيان الدرجات العلمية والشهادات والدبلومات التى تمنحها الجامعة ، والشروط العامة للحصول عليها ، وشروط قبول الطلبة الحاصلين على شهادات الثانوية العامة أو ما يعادلها ، وكذا القواعد العامة للمنح المخفضة أو بالمجان للطلبة المصريين
- تعتبر الدرجات العلمية والشهادات والدبلومات التى تمنحها الجامعة الخاصة معادلة للدرجات العلمية والشهادات والدبلومات التى تمنحها الجامعة المصرية " الحكومية " ، وفقا للقواعد والإجراءات المقررة لمعادلة الدرجات العلمية .

- تدبر الجامعة أموالها بنفسها ، وتحدد مصروفاتها الدراسية ، وللجامعة الخاصة أن تقبل التبرعات والوصايا والهبات والمنح التي تحقق أغراضها ، سواء من داخل الجمهورية أو من خارجها ، بما يتفق ومصالح البلاد ، وتعفى مبالغ التبرعات والهبات من ضرائب الدخل ، في الحدود المقررة في القانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٨١ .
- يكون للجامعة مجلس أمناء - يشكل على النحو الذي تبينه اللائحة الداخلية لها - من بين المؤسسين وغيرهم على أن يكون من بين أعضائه رئيس الجامعة ونخبة من كبار العلماء والأساتذة المتخصصين والشخصيات العامة ، ويشكل مجلس الأمناء الأول بقرار من جماعة المؤسسين . ويختص هذا المجلس بتعيين رئيس الجامعة ونوابه وأمينها العام وأعضاء مجلس الجامعة ، ويكون تعيين رئيس الجامعة لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد بعد موافقة وزير التعليم العالي ، ويجب أن يكون رئيس الجامعة مصرياً .
- يضع مجلس الأمناء ، بعد أخذ رأى مجلس الجامعة ، اللوائح الداخلية لإدارة شئون الجامعة وتسيير أعمالها ، وتتضمن القواعد الخاصة باستخدام صافي الفائض الناتج عن نشاط الجامعة طبقاً لميزانياتها السنوية .
- يختص مجلس الجامعة بصفة خاصة بكل من : تحديد شروط القبول بكل قسم أو كلية أو معهد عال متخصص أو وحدة بحثية ، تحديد قواعد اختيار العمداء والوكلاء ومجالس الأقسام والكليات والمعاهد العليا والوحدات البحثية ، ويعين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة من جمهورية مصر العربية أو من الخارج ، وتجب موافقة وزير التعليم على تعيين أو تجديد

تعيين المرشحين من غير المصريين لشغل الوظائف القيادية ووظائف هيئة التدريس .

• يعين وزير التعليم العالي مستشارا للجامعة يكون ممثلا له لمدة سنتين قابلة للتجديد بعد التشاور مع مجلس الأمناء ، ويكون عضوا بمجلس الجامعة .

٥) العلاقة بين مؤسسات الدولة والجامعات الخاصة المصرية:

حددت اللاحة التنفيذية للقانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٢ - المعدلة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٢١٩ لسنة ٢٠٠٢ - بشأن إنشاء الجامعات الخاصة المصرية وفي بابها السادس العلاقة بين مؤسسات الدولة والجامعات الخاصة في خمس مواد كما يلي:

- ١- يتولى مستشارو الجامعات الخاصة الممثلون للوزير المختص (وزير التعليم العالي) متابعة تنفيذ قرارات المجلس (مجلس الجامعات الخاصة) وعليهم إخطار الوزير المختص بالحالات التي تخالف فيها الجامعة الخاصة أحكام القانون أو قرار إنشائها ونظمها أو قرارات المجلس .
- ٢- على الجامعات الخاصة توفير جميع الوسائل اللازمة لحسن أداء المستشارين لمهامهم وعليها على وجه الخصوص تمكينهم من الاطلاع على الأوراق والمستندات المتعلقة بالعملية التعليمية بالجامعة .
- ٣- يقدم مستشار الجامعة الخاصة الممثل للوزير المختص تقريرا إلى الوزير في نهاية كل فصل دراسي يعرض على المجلس متضمنا ملاحظاته عن نشاط الجامعة من حيث نظم القبول والدراسة والامتحانات وهيئة التدريس .
- ٤- للوزير المختص - بعد العرض على المجلس - غلق الجامعة الخاصة أو إحدى كلياتها أو معاهدها العليا المتخصصة أو وحداتها البحثية في حالة بدء الدراسة بها قبل صدور التصريح بذلك .

٥- إذا خالفت الجامعة الخاصة أحكام القانون أو هذه اللائحة أو قرار إنشائها أو نظمها أو قرارات المجلس يكون للمجلس - بعد إنذار الجامعة ومنحها مهلة لتلافي أسباب المخالفة - اقتراح إيقاف القبول بالجامعة أو إحدى كلياتها أو معاهدها العليا المتخصصة أو وحداتها البحثية على حسب الأحوال ويكون للوزير المختص - بناء على هذا الاقتراح - إصدار قرار الإيقاف ويترتب على هذا القرار عدم قبول طلبة جدد بالصف الدراسي الأول من العام الجامعي اللاحق لصدوره .

وبعد.....

العرض السابق لتطور إنشاء الجامعات الخاصة المصرية " من منظور تاريخي مجتمعي " ، والتعريض على بعض قضايا هذه الجامعات ، يمكن القول إن فلسفة إنشاء هذه الجامعات تقوم على ثلاثة محاور رئيسية وهى :

- ١- حتمية التحول نحو اقتصاد السوق وتشجيع القطاع الخاص ، وذلك بعد توقيع مصر على الاتفاق الشهير مع البنك وصندوق النقد الدوليين فى يناير من عام ١٩٩١ ، والذي تضمن تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى ، والذي يعتمد على ما عرف بالخصخصة ، كما وقعت مصر على اتفاقية تحرير الخدمات المالية فى عام ١٩٩٧ ، وعليه فهى ملتزمة طبقا لهذه الاتفاقية بإزالة القيود أمام مشاركة الأجانب فى سوق المال .
- ٢- استيعاب جميع الراغبين فى التعليم الجامعى وطبقا لميولهم ورغباتهم التعليمية ، وذلك فى ظل تنامى الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعى مع عجز الحكومات عن تلبية تلك الاحتياجات .

٣- مسايرة النظام العالمى الجديد بما فيه من ثورات تكنولوجية ومعلوماتية متسارعة ، والتي تتطلب تخصصات متنوعة وغير نمطية ، لا تستطيع اعتمادات التعليم الجامعى الحكومى الوفاء بها .

أى أن رسالة هذه الجامعات تكمن فى استيعابها للطلبة الذين لم يتمكنوا من مواصلة تعليمهم الجامعى فى كليات حكومية يرغبون الالتحاق بها ، نتيجة نقص مجموعهم فى الثانوية العامة عدة درجات عما حدده مكتب التنسيق للقبول بهذه الكليات ، وذلك بغرض استكمال تعليمهم فى بلادهم وتأهيلهم فى تخصصات يرغبوها بدلا من الالتحاق بها فى جامعات خاصة أجنبية سواء داخل البلاد أو خارجها ، هذا إضافة إلى : الإسهام فى رفع مستوى التعليم والبحث العلمى وتوفير التخصصات العلمية الحديثة ، لإعداد المتخصصين والفنيين والخبراء فى شتى المجالات ، بما يحقق الربط بين أهداف الجامعة واحتياجات المجتمع المتطورة ، وأداء الخدمات البحثية للغير ، وتوفير أحدث الأجهزة المتطورة .

وفى ضوء هذه الفلسفة ، فإنه يتوقع أن تحقق الجامعات الخاصة المصرية العديد من الإجازات (الإيجابيات) مثل :

- ١- تخفيف عبء تمويل التعليم الجامعى عن كاهل الدولة .
- ٢- إتاحة فرص التعليم الجامعى داخل الوطن ، لاستيعاب أبناء القادرين ماليا بدلا من هجرتهم إلى الجامعات الأجنبية .
- ٣- جذب العملة الصعبة للبلاد نتيجة قبول الطلبة الوافدين .
- ٤- توفير تخصصات عصرية ومستقبلية نادرة ، لا تستطيع اعتمادات التعليم الجامعى الحكومى تلبيتها ، وذلك مراعاة لاحتياجات الطلبة وميولهم من ناحية ، وحاجات المجتمع المتطورة من ناحية أخرى .

- ٥- التحرر من البيروقراطية الإدارية والمالية المقيدة والمعيقة للجامعات الحكومية ، وبالتالي القدرة على التكيف مع المتغيرات الحديثة ، ومتطلبات السوق ، وإقامة علاقات تعاون مع جامعات أجنبية .
 - ٦- التقليل من هجرة أعضاء هيئة التدريس للعمل بالخارج لرفع مستواهم الاقتصادي ، والذي وفرته لهم الجامعات الخاصة .
 - ٧- إشاعة روح التنافس بين رؤوس الأموال ، بما يتوقع أن يتولد عنه تخفيض التكلفة وتحسين النوعية .
 - ٨- تحديد رسوم دراسية معتدلة مراعاة لظروف المجتمع المصري الاقتصادية حتى يتسنى لها المساهمة - مع الجامعات الحكومية - في استيعاب جميع الراغبين في التعليم الجامعي ، وفي حل مشكلة التكدر الطلابي في الجامعات الحكومية .
 - ٩- قبول نسبة من الطلبة الفقراء المتميزين الذين لم تقبلهم كليات حكومية يرغبون الدراسة فيها ، نتيجة نقص مجموعهم في الثانوية العامة عدة درجات عما حدده مكتب التنسيق .
 - ١٠- توفير منح دراسية ، ومعونات مالية للطلبة المتفوقين .
 - ١١- التخطيط - عند قبول الطلبة - بطريقة تراعى مشاركة الخريج في سوق العمل .
 - ١٢- القيام بمشاريع تسهم في حل مشكلات البيئة .
 - ١٣- الارتباط بمراكز الإنتاج والخدمات في المجتمع .
- وإذا كانت هذه هي فلسفة الجامعات الخاصة المصرية ، وهذا ما يتوقعه المجتمع منها ، فماذا عن أبرز معالم الرؤية المستقبلية للجامعات الخاصة المصرية؟ هذا هو موضوع المحور الثالث.

ثالثا : نحو معالم رئيسه لرؤية مستقبلية للجامعات الخاصة المصرية :

فى ضوء ما سبق تناوله نحاول أن نركز على أهم الاستنتاجات والتوجهات المستقبلية للجامعات الخاصة المصرية فى ظل بعض المتغيرات المجتمعية ، علها تساعد فى ترشيد القرارات الحالية ابتغاء الاقتراب من الأداء الأفضل الذى يمكن أن يتاح فى المستقبل لهذه الجامعات ، وذلك فيما يلى :

١- إن مؤسسات المجتمع المدنى وتنظيماته غير الحكومية ، لابد أن تتحمل نصيبا متزايدا من مسئوليات التعليم العالى : إدارة ، وتنظيما ، وتمويلا ، بحيث يتركز جهد الدولة فى توفير التعليم الأساسى الإلزامى الذى يمثل جذع الشجرة التعليمية والهادف إلى بناء المواطن والمواطنة .

٢- إن نظام التعليم الجامعى الخاص هو نظام متكامل ومكمل للتعليم الجامعى الحكومى فى مصر ، له فلسفته ومبرراته وأهدافه ، وهياكله ، وبناءه الإدارى والتنظيمية ، وله برامج ومناهجه ، وطرق وتقنيات خاصة به - أهمها استحداث تخصصات غير نمطية وتوفير أحدث الأجهزة المتطورة - وله نظام متميز للتمويل ، وأن ازدهار هذا النمط من التعليم الجامعى لن يتحقق إلا من خلال النظر إليه بهذه النظرة .

٣- إن اعتماد نظام التعليم الجامعى الخاص - فى أى مجتمع - ليس قرارا أكاديميا وفنيا فحسب ، بل هو فى جوهره قرارا سياسيا ، يعكس فلسفة الدولة ومدى إيمانها بضرورة مسايرة المتغيرات المجتمعية العالمية منها والمحلية ، فهى تساير النظام العالمى الجديد وما يمليه من نظم الخصخصة المختلفة من ناحية ، واستيعاب عدد أكبر من الراغبين فى متابعة دراستهم الجامعية فى تخصصات يرغبونها ، وتوفير عملة صعبة للبلاد من ناحية أخرى .

٤- إن تبني نظام التعليم الجامعي الخاص في أى مجتمع من المجتمعات ، وبالتالي تحديد ملامحه ، إنما يتقرر في ضوء مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية في ذلك المجتمع ، كما تقرر الأهداف الوطنية والتنمية التي يتطلع هذا المجتمع إلى تحقيقها وعلى هذا الأساس فإن نسبة ومحتوى وأهداف نظام التعليم الجامعي الخاص تختلف من مجتمع لآخر ، وذلك حسب درجة التطوير الذي بلغه ذلك المجتمع ، ووفقا لإمكاناته الاقتصادية والبشرية والتقنية ومطامحه الوطنية والتنمية .

٥- إن ديناميكية الأهداف تمثل العديد من الأغراض الإدارية التي تنضوي على مسح شامل للنشاط التعليمي في كافة مؤسسات التعليم الحكومي ، ثم إجراء البحوث والدراسات المتعمقة والمنطقة بالنظام التعليمي واحتياجاته ، ثم تحديد أفضل المجالات التي يمكن للقطاع الخاص المشاركة فيها ، حتى تضمن تقديم خدمات تعليمية على مستوى جيد ومخرجات تكون أكثر جودة وحتى لا تتكرر صورا لمؤسسات تعليمية حكومية ، ولكي يتحقق ذلك يجب

- أ- وضع الضمانات والشروط الكفيلة لتحقيق السياسة التعليمية .
- ب- أن تكون الوسائل كافية لتنفيذ الأهداف .
- ج- وضع خريطة للتخصصات التي تحتاجها الدولة بشرط أن تتوافر كافة الإمكانيات المادية والبشرية لإقامة تعليم جامعي من هيئة تدريس متفرغة إلى تجهيزات ومختبرات وأدوات وخامات ومكتبات .. وغيرها .
- د- أن تخضع مخرجات العمل الإداري للتقويم الشامل دوريا للتأكد من أن العمل يسير وفقا لأهداف الجامعة أو الكلية ، فتقييم الأداء يساعد إلى حد كبير في معرفة نقاط الضعف والعمل على تلافيها وتدعيم جوانب القوة في منهجية العمل .

وإذا كانت القيمة الحقيقية لأي مؤلف علمي تتمثل في المقام الأول - فيما يطرحه من محاور وآليات تطبيقها ؛ سعيًا حيال استنهاض الهمم لتعزيز مجالات التحسين كلما ظهرت ، وتدارك مواطن القصور إن وجدت ، وذلك بهدف إنجاح هذا النوع من الجامعات ، وضمان عدم انحرافه عن مساره الذي حددته أهدافه .

لذا وتأسيسًا على كل ما تقدم ، أمكن التوصل إلى عدد من المحاور والآليات يمكن أن تفيد في تطوير هذه الجامعات ، والتي جاءت في ثلاثة محاور رئيسة هي على الترتيب:

المحور الأول : في مجال السعي إلى تحقيق أمثل لأهداف الجامعات الخاصة .

حيث يجب مراعاة الآليات التالية:

- ١ - ترسيخ مفهوم رسالة الجامعة الخاصة عند القائمين بالعمل فيها ، وتوضيح أهمية ربط التخطيط لمدخلات وإجراءات ومخرجات الجامعة برسالتها وأهدافها المعنوية ، وتوقعات المجتمع منها .
- ٢ - أن تضع الجامعات الخاصة احتياجات المجتمع من القوى البشرية - في التخصصات المختلفة - في الاعتبار ، ولضمان ذلك ينبغي عليها دراسة الأسواق وتوقع احتياجاتها ، والتخطيط لمواجهةها ، مع المراجعة الدورية لهذه الخطط وتعديلها وفقًا لما يظهر من مستجدات وتطورات .
- ٣ - توفير أحدث الأجهزة المتطورة اللازمة لعمليات التعليم / التعلم أو استكمال الناقص منها ، مع ضرورة توفير الأدوات والخامات والآلات اللازمة للتدريب العملي والحقل الذي يؤدي إلى تحسين الخدمات التعليمية المقدمة .
- ٤ - تطوير الكوادر الأكاديمية والإدارية المستقرة في الجامعات الخاصة عن طريق الابتعاث وتوفير المنح الدراسية .

- ٥- أن تقييم الجامعات الخاصة روابط قوية مع الجامعات الحكومية ، والمراكز البحثية ومؤسسات الإنتاج ، وتتعاون معها في إجراء البحوث العلمية التطبيقية ، وأن تعتبر دراسة الحالات والدراسات الميدانية وحل المشكلات البيئية أساسا في مناهجها وأن تتوسع في مشاريع المشاركة المجتمعية لإتاحة الفرصة أمام الطلبة للارتباط بمجتمعاتهم المحلية .
- ٦- على كل جامعة خاصة مصرية أن تنشئ جمعية لخريجها تقوم بمتابعة أنشطتهم ومدى تقدمهم وإنجازاتهم في سوق العمل ، الأمر الذي يطلعها على المتطلبات المجتمعية الحالية منها والمستقبلية ، ويربطها بمراكز الإنتاج والخدمات ، ويعضد من شراكتها المجتمعية .

المحور الثاني : في مجال النهوض بإيجابيات الجامعات الخاصة ويقتضي ذلك:

- ١- تشجيع جذب العملة الصعبة للبلاد بتحفيز قبول الطلبة الوافدين ، وقد يساعد في ذلك تثبيت قيمة المصروفات الدراسية لهؤلاء الطلبة طوال سنوات دراستهم ، أو وضع سقف لهذه المصروفات يعن عنه بحيث يصل هذا الإعلان إلى أولياء الأمور العرب بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض .
- ٢- إشاعة روح التنافس بين رؤوس الأموال بما يتولد عنه تخفيض التكلفة وتحسين النوعية ، الأمر الذي يعود بالنفع على التنمية الشاملة في البلاد ، وقد يكون من سبل ذلك :
- أ- منح شهادات أو جوائز الامتياز ، أو تقديم مساعدات حكومية للجامعات الخاصة المتميزة بجودة تعليمها ، أو التي تقدم حقول تخصص جديدة وذات أولويات قومية.

ب- أن يسجل للجامعة التى تسيى أنها أساءت ، ويتم حسابها طبقا لما ورد فى هذا الشأن باللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء الجامعات الخاصة .

ج- أن يعطى للرأى العام بيانات واضحة بممارسات كل جامعة خاصة (إيجابياتها وسلبياتها) بهدف تنوير المستهلكين (الطلبة وأولياء الأمور) حول تكلفة ونوعية المقررات المطروحة وفرص العمل للخريجين .

٣- على الجامعات الخاصة ألا تكون نسخة مكررة من الجامعات الحكومية ، وعليها أن توفر تخصصات غير نمطية لا تستطيع اعتمادات التعليم الجامعى الحكومى توفيرها كعلوم التكنولوجيا الحيوية ، والطاقة الذرية ، والفضاء ، والأقمار الصناعية .. وغيرها من العلوم التى تناسب احتياجات التنمية وسوق العمل ، وذلك لإعداد كوادر يمكنها التعامل مع المتغيرات المتلاحقة .

٤- الانفتاح على القطاع الخاص ، وإقامة مؤسسات تعليمية مشتركة (حكومية / خاصة)، يسهم فى رأس مالها وإدارتها القطاعان الحكومى والخاص ، ويفيدان من رسوم الطلبة ومصادر أخرى فى الإنفاق عليها ، ويتبادلان الخبرات ، ويوجهان العملية التعليمية ، بما يحقق التوأمة بين التعليم وسوق العمل ، وفى هذا الشأن يقترح وضع السياسات التى تسمح للجامعات الكبرى مثل القاهرة ، عين شمس ، الإسكندرية ، المنصورة ، وأسيوط بالمساهمة فى إنشاء جامعات (أهلية) غير هادفة للربح بالمشاركة مع الدولة والمجتمع المدنى ، ولنا تجربة فريدة فى إنشاء الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨ م .

٥- على كل جامعة مصرية خاصة أن توفر مستشار أكاديمى لكل كلية على حدة يختص بتوجيه الطلبة أكاديميا إلى التخصصات التى تتوافق مع ميولهم واتجاهاتهم ، كما يقوم بتوجيه الطالب الذى يتعثّر فى تخصص ما إلى

تخصص آخر يناسب قدراته وميوله . والمثال فى ذلك جامعة مصر الدولية
والتي تتميز بوجود مستشار أكاديمي لكل كلية على حدة .

٦- عمل حملات توعية تبين وظائف الجامعات الخاصة ودورها فى المجتمع
وأن هذا الدور لا يقتصر فقط على التدريس للطلبة القادرين ذوى المعدلات
المنخفضة فى الثانوية العامة الذين لم تقبلهم الجامعات الحكومية ، بل
يتعداه للبحث العلمى بأشكاله وإلى خدمة المجتمع بأشكال متعددة .

٧- أن تشارك الجامعات الخاصة المصرية بدور فاعل فى " رابطة المؤسسات
العربية الخاصة للتعليم العالى " - سبقت الإشارة إلى هذه الرابطة فى
الفصل الثالث - بعقد أواصر التعاون مع الجامعات العربية المشاركة فى هذه
الرابطة بتبادل الخبرات ، وتنظيم المؤتمرات المشتركة للإفادة من خبرات
بعض الدول العربية التى سبقتنا فى هذا المجال كالمغرب والأردن .

٨- الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة التى حققت نجاحا كبيرا فى مجال
التعليم العالى الخاص . فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا يمتلك فيها القطاع
الخاص عددا كبيرا من أرقى جامعات الأبحاث مثل جامعة " هارفارد " و
ستانفورد " و " شيكاغو " ، ومعظم أشهر المعاهد الجامعية الأولى ،
ولاسيما " أمهرست " و " لياس " و " كارلتون " وتتمتع هذه الجامعات
والمعاهد بسمعة طيبة ، وتجد إقبالا كبيرا عليها. علما بأن هذه المؤسسات
غير ربحية ولا تتحمل تكلفة هذا التميز وحدها ، بل تبقى معتمدة على دعم
الدولة ، وبخاصة لتمويل الدراسات العليا والبحث العلمى وعلى وجه
الخصوص البحث الأساسى الذى لا يهتم قطاع الأعمال بدعمه فى معظم
الأحيان .

المحور الثالث : فى مجال تلافى سلبيات الجامعات الخاصة ويحتتم ذلك وجوب :

- ١- ألا يوضع الهدف الربحى فى مقدمة أولويات الجامعات الخاصة ، وعليها ألا تغالى فى فرض الرسوم الجامعية ، بل تخضع هذا الأمر لقواعد الاعتدال مراعاة لظروف المجتمع المصرى الاقتصادية ، وضمانا لمسيرة تطورها الإيجابى .
- ٢- وضع ضوابط كافية - على الجامعات الخاصة - يكون من شأنها مراجعة ما يلى :
 - أ- ضوابط للتحويل من جامعة إلى أخرى تضمن عدم استغلال هذه الإمكانيّة للتهرب من التقييم الجامعى .
 - ب- ضبط حافز الربح من خلال تحديد سقف للمصروفات الدراسية التى تقرها كل جامعة خاصة لكل تخصص أو برنامج .
 - ج- استحداث تخصصات غير نمطية ، تسد الفراغات فى مجال التعليم التى لم تطرقها الجامعات الحكومية ، فلا تكون تكرارا لها من ناحية ، كما تلبي احتياجات الثورات العلمية والتكنولوجية من هذه التخصصات النادرة من ناحية أخرى .
 - د- تحديد أسلوب تعيين رؤساء هذه الجامعات ووضع معايير للاختيار أو الاستبدال .
 - هـ- تمكين مستشار وزير التعليم العالى داخل الجامعة الخاصة من متابعة كل مستنداتها ، الأمر الذى يمنع حدوث أى تجاوزات لهذه الجامعات خاصة فى شروط القبول والطاقة الاستيعابية للكليات والأقسام .
 - و- أن يرتبط قبول الطلبة بالجامعات الخاصة بثلاثة عوامل رئيسة هى : الحد الأدنى المنصوص عليه فى القرار الجمهورى بإنشاء الجامعة (٥٥ %) ،

القدرة الاستيعابية المقررة لكل كلية ، القدرات الخاصة للطلبة بما يتوافق ومتطلبات الدراسة التي تحددها كل جامعة .

٣- التأكيد على أهمية مراجعة ميزانيات الجامعات الخاصة من قبل مراجع خارجي معتمد، والتأكد من تخصيص الموارد المالية وصرفها بما يخدم رسالة الجامعة والتوقعات المجتمعية والطلابية منها وإتاحة هذه الميزانيات للمجتمع .

٤- أن تقوم وزارة التعليم العالي مع الوزارات المعنية والنقابات المهنية بإيجاد حل لما تبقى من مشكلة الاعتراف بالشهادات التي تمنحها الجامعات الخاصة المصرية ومعادلة درجاتها العلمية .

٥- ألا تعتمد الجامعات الخاصة على انتداب أعضاء هيئة التدريس من الجامعات الحكومية أو الاستعانة بأساتذة بعض الوقت ، بل يجب إعداد خطة زمنية دقيقة لتأهيل عدد من خريجي هذه الجامعات أو غيرها في الداخل والخارج وخصوصاً في التخصصات الحديثة ، مع ضرورة الوصول إلى النسبة المعتدلة لمعدل أستاذ / طالب .

٦- فصل الملكية عن الإدارة الأكاديمية واليومية للجامعة الخاصة ، وذلك للحد من تدخل أصحاب رؤوس الأموال - المستثمرين - في الكثير من مجريات الأمور الأكاديمية ، وهو الأمر الذي يقيد هذه الإدارة ويحد من صلاحيتها ، مما يعيق تطور تلك المؤسسات ، ويعيق رفع كفاءتها الذاتية التي بدورها تنعكس على مخرجاتها في المجتمع .

٧- أن تعمل الجامعات الخاصة - وخصوصاً المنشأة بمشاركة رأس مال أجنبي - على تدعيم قيم المواطنة وعلى ترسيخ القيم والمفاهيم المأخوذة من عقيدة الأمة وتاريخها لدى طلابها ، فهذا هو خط الدفاع الأول والأخير

لمقاومة العولمة " المتوحشة " والحفاظ على الهوية الثقافية ، كما أنه يمنع أى تصدع فى ثقافة المجتمع العربى وتماسكه الاجتماعى .

٨- التعجيل بإنشاء هيئة الاعتماد الأكاديمى وضمان الجودة المزمع إنشائها - بحيث تكون مستقلة أكاديميا وإداريا - والتى ينادى بها مثلما يحدث فى كل دول العالم المتقدم لتقييم أداء الجامعات ومؤسسات التعليم كلها ، فى إطار معايير متفق عليها عالميا ، وبشكل دورى ومتكرر ، بما يضمن وضع المؤسسات التعليمية تحت منظار المجتمع بشكل علمى ودائم ، الأمر الذى يعطى المجتمع الثقة فى أن كافة الجامعات (حكومية / خاصة) فى مصر تخضع لنظام موحد لتقييم الأداء وضمان الجودة بهذا الشكل الدورى والمنظم .

وجدير بالذكر أن جامعة مصر للعلوم الحديثة والآداب ، ومن خلال اتصالها بإحدى الجامعات الإنجليزية - ميدل ساكس - تتعرض للاعتماد وضمان الجودة على المستوى المعيارى للمملكة المتحدة. وهو إجراء سيؤدى إلى ضمان جودة الأداء الجامعى والارتقاء به فى المستقبل .

• • عود على بدء • •

يعد العرض السابق لفلسفة إنشاء الجامعات الخاصة المصرية وتطورها من منظور تاريخى مجتمعى بجانب العرض الموجز للمعالم الرئيسة لرؤية مستقبلية للجامعات المصرية الخاصة ، فقد لمسنا بوضوح أن ثمة قسما تفرقة بين قيام الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨ و بين قيام الجامعات الخاصة المصرية الحالية .

فقيام الجامعة الأهلية كان يرتبط أشد الارتباط بحركة القوى الوطنية والسياسية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى منذ أواخر القرن التاسع عشر

ومطلع القرن العشرين ، والتي وضعت أمامها هدفا أساسيا تمثل فى الاستقلال السياسى عن القوى الأجنبية والاحتلال البريطانى بصفة خاصة .

أما قيام الجامعات الخاصة المصرية فهو ميلاد لنظام مفروض على الأمة ، نظام يقوم على ثقافة مستوردة نتيجة للمتغيرات المجتمعية التى شهدتها ويشهدها العالم المعاصر كالعولمة والرسملة ، ومحاولة دول المركز إحداث تبعية ثقافية لدول الهامش ، ولذا كانت السمة الغالبة التى اتسمت بها مراحل الدعوة لقيام الجامعات الخاصة المصرية - منذ سبعينيات القرن الفائت - هى التضارب فى الآراء من قبل الحكومة ووزرائها بشأن أهداف إنشاء هذه الجامعات ، فتارة يكون الهدف منها هدفا علميا لإنشاء تخصصات تكنولوجية وغير نمطية تحتاج إليها البلاد ، وتارة يكون الهدف اقتصاديا بتوفير العملة الصعبة التى ينفقها الطلبة المصريون فى الخارج (بعد أن ارتفعت نسبة هؤلاء الطلبة) ، وكذلك نتيجة لتعليم أبناء الدول العربية ، وتارة يكون الهدف اجتماعيا بحماية الطلبة المصريين من الانحراف فى الخارج.

ومما يؤيد من أن قيام الجامعات الخاصة المصرية ما هو إلا ميلاد لنظام مفروض على الأمة ، ما رأيناه من تخبط المسئولين فى تصريحاتهم بين المعارضة للفكرة ثم العودة إلى تأييدها مرة أخرى ، فالمسئول الوزارى الذى يرفض الفكرة أولا ثم يعود لتأييدها ثانيا ، إنما هو عند الرفض يستشعر اتجاهات رأى العام الرافض للفكرة ، وعند التأييد فإنه يستشعر اتجاه الخصخصة المكلف بتنفيذها .

وعليه فإن مستقبل التعليم العالى فى مصر يحتاج إلى: صدق مع النفس أولا وإلى تفكير جديد ثانيا ، تفكير لا يقتع بترقيع الثوب البالى ، بل تفكير يستطيع

مواجهة التحديات الداخلية في الوقت الحاضر ، ويتفق مع المتغيرات الثقافية المتوقعة حدوثها في المجتمع المصري مستقبلا.

وتأسيسا على ما سبق فإن الجامعات الخاصة المصرية أصبحت - في ظل المتغيرات المجتمعية التي يشهدها المجتمع المصري - رافدا أساسيا من روافد التعليم الجامعي في مصر، وأصبح لزاما علينا حكومة وشعبا الاهتمام بها ومحاولة تطويرها بما يتناسب وظروف المجتمع المصري في ظل الاتجاهات العالمية المعاصرة وتحدياتها ، بحيث يكون هناك تفاعلا كاملا مع المجتمعات الأخرى ، دون تقوقع ودون ارتواء في أحضان الغير .

وهنا يتبين أن ثمة مجموعة من الأسس الفكرية (ربما) كانت دافعا قويا وموجها عاما وراء خصخصة التعليم الجامعي - بالصورة التي أوردناها - ولعل أبرز تلك الأسس يبدو متمثلا في :

الأساس الأول : الأساس الأخلاقي إذا ما رجعنا إلى حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - " إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكرا كان أم أنثى ، طلب العلم فريضة كما ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ديسمبر ١٩٤٨م على أن التعليم حق لغير المتعلم والإسلام حين جعل التعليم حقا ارتقى به لدرجة الفريضة ، بمعنى أنه لا يجوز لأي إنسان أن يفرط في هذا الحق ، يعني حينما يكون هذا التعليم من حقي لا يجوز أن أتنازل عنه لغيري ؛ وبالتالي تصبح عملية تعليم الآخرين التزاما أخلاقيا تجاه الدولة من جهة ، وتجاه القادرين علميا وماديا من جهة أخرى ، وهذه تجارب في تاريخ الأمة في العصور الوسطى ، تلك المرحلة التي أفرزت علماء وعظماء ، وكان لهم فضل السبق والريادة في الحضارة الإنسانية ، كان التعليم بما فيه التعليم العالي كان يعتمد على تبرعات أهل الخير ، هناك دور الحكمة ، هناك مدرسة الطب العليا التي أنشأها أبو القاسم

الزهرابي في الأندلس الفردوس المفقود ، وكان تمويل هذه المؤسسات من تبرعات المسلمين ، على أساس أن تعليم العلم قربة إلى الله سبحانه وتعالى ، وكان طلاب البعثات يأتون من أوروبا ، خاصة فرنسا ، لتلقى العلم في مدرسة الطب عن أبي القاسم الزهرابي ، فسبحان مغير الأحوال . وأيضا كان هناك فكرة الوقف الخيري ، يعنى أن يوقف القادرين والأثرياء بعضا من ممتلكاتهم أو أموالهم للإتفاق على العملية التعليمية ، وربما كانت جامعة الأزهر مثلا واضحا لهذا ، هناك بعض الجهود التي تبذل من أهل الخير ، هناك بعض الجامعات في مصر ما يسمى بالأسواق الخيرية لتدعيم الطلاب الفقراء ، كان يطلب أن تبنى هذا الأمر المنظمات الأهلية ، ويطلبون من القادرين التبرع بما يزيد عن حاجتهم من ملابس أو أدوات وخلافه ، وطبعا تفضل وتكوى وتعوض على الطلبة ، ليشتريها الطالب بسعر رمزي ؛ حفاظا على كرامته ، وحتى لا تجرح كرامته ، وهى في هذا الوقت تدعيم لهذا الطالب ، هنا نجد أنفسنا أمام سؤال ، هناك بلاد عربية أكثر من ٩٠ % منها تحت خط الفقر ، حسب الإحصاءات الدولية إذن سيكون حوال ٨ % فالمفروض أن توقع القبول في حدود هذه النسبة ، المفروض ألا نتوقع قبولا مجاتيا أقل من هذه النسبة ، هناك أغنياء وهناك فقراء ، واعتقد أن تكون الأولوية لذوي القدرات المالية المحدودة . هذا بالنسبة للالتزام الأول وهو الالتزام الأخلاقي .

الأساس الثاني : الأساس الاجتماعي وهنا نطرح سؤالا : الخصخصة مطلب اجتماعي فعلا أم أنه توجه أيديولوجي رأسمالي ؟ لا شك أن هناك مطلبا اجتماعيا لأن معظم الجامعات في المنطقة العربية تعتمد أساسا على مجموع الدرجات ؛ وبالتالي تقبل نسبة معينة في حدود الأماكن المسموح بها ، وتظل نسبة أخرى محرومة من التعليم ، ويقول البعض إن الجامعات الخاصة تنشأ لإعطاء الفرصة

لهؤلاء المحرومين الذين لم يتمكنوا نتيجة لشرط المجموع عند دخول الجامعات الحكومية ، لكن هل نضمن أن الذين لم يحصلوا على شرط مجموع يؤهلهم لدخول الجامعات الحكومية - هل نضمن أن يكونوا كلهم من القادرين ؟ هل هذه النسبة التي ستحرم من دخول الجامعات الحكومية هل كلهم من القادرين ؟ بالتأكيد لا . ونحن نرى في مشاهداتنا العملية أنه أحيانا القادرون يوفرون لأبنائهم ظروفًا أفضل للتعليم ، من حيث الدروس الخصوصية ، من حيث مصادر التعلم داخل البيت إلى غير ذلك ، وبالتالي السؤال أو الإشكالية التي تظهر كيف نوفق بين رغبة القادرين وحقهم في التعليم ، وبين الإمكانيات المحدودة ، وما موقف الدولة تجاه الفقراء .

الأساس الأيدلوجي الاقتصادي : من المعروف أنه منذ أواخر السبعينات والعالم - سواء النامي منه أو المتقدم - يشهد اهتمامًا متزايدًا نحو فكرة الخصخصة واقتصاد السوق وهذا شجع أو دعا الحكومات إلى تشجيع الاستثمار في مجال التعليم ، ونضرب مثالا من مصر حيث نص القانون ١٠١ لسنة ١٩٩٢ أنه يجوز إنشاء الجامعات الخاصة ، وتكون أغلبية الأموال مملوكة للمصريين ، وحدد القانون نسبة لا تقل عن ٥١% للإدارة ، معنى هذا أن ٤٩% سيكون تمويلًا خارجيًا ، وهنا مكن الخطورة ، وخاصة وأن ثمة مسألة التدخل الأجنبي في حركة التعليم ، لأن التعليم مشروع للأمن القومي ، كما أن الجيش درع الأمن العام

الاستنتاج المهم في هذا السياق هو أن ارتباط قضية الجامعات الخاصة بأيدلوجية الاقتصاد الحر من ناحية ، يعنى ضرورة تقليص دور الحكومات في تعليم المواطنين ، وحتى في البلاد التي ترفع الأصوات فيها أن الحكومات تقدم تعليمًا مجانيًا ، الواقع للأسف عندما نحلل الواقع نجد التعليم ليس مجانيًا ، صحيح

قد ينص الدستور في بعض البلاد على أن التعليم مجاني وحق لكل مواطن ، لكن حسب إحصاءات ١٩٩٧م ، وتضرب مثالا لذلك فقد بلغ حجم الدروس الخصوصية حوالي ثمانية مليارات جنيه ، ووصلت سنة ١٩٩٩ إلى اثني عشر مليارا ، تلك المبالغ التي استطاعت الضرائب أن تحصدتها ، وما خفي كان أعظم ، أين المجانية هنا ؟ وبالتالي هل يمكن ترشيد هذا الإجراء في تدعيم الجامعات الحكومية؟ وتحسين أحوالها ؟

الأساس الرابع : وهو البعد السياسي وفي البعد السياسي تظهر دستورية إقامة الجامعات الخاصة في كثير من البلدان ، حيث يسمح الدستور هنا ، وكذلك القانون ، فإذا اعترضت على إقامة جامعات خاصة ، فيقال لك هذا حق يكفله الدستور والقانون ، وهناك أيضا ديمقراطية التعليم حق يكفله الدستور ، فهنا إشكالية بين حق يكفله الدستور سيكون على حساب حق آخر وهو ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص ، وطبعا الديمقراطية تعني مبدئيا تساوى المواطنين في حقهم في التعليم الجامعي ، وفي ضوء عجز إمكانيات الجامعات الحكومية في استيعاب الناجحين في الثانوية العامة يصبح التعليم الجامعي الخاص حكرا على شريحة القادرين دون الفقراء ، وبالتأكيد فإن الذين يلتحقون بالتعليم الجامعي الخاص من ذوي النفوذ والجاه ، والطالب الذي يحصل على مجموع ٥٠% أو ٥٥% وأحيانا المجموع يكون مؤشرا على قدرات الإنسان ولا يكون مؤشرا كاملا . ولكن هذا هو المتاح بنفوذ أبيه وبحال أبيه يلتحق بالجامعة الخاصة ، وحينما نقرا في إعلانات الوظائف نجد أن الصحف تشترط في بعض المواقع والشركات يشترك أن يكون من خريجي جامعات كذا الخاصة ، معنى هذا أن الطالب ابن الغنى سيحصل بمال أبيه ونفوقه على فرص عمل بنفوذ أبيه . فأين يذهب غير القادرين ؟ سيكون هناك نوع من التفاوت الطبقي الذي سيولد حقدا لدى تلك الفئة ، وكل الدراسات

التي أجريت على التطرف تؤكد أن من أهم عوامل التطرف البطالة ، وهنا كيف نضمن لغير القادرين حقهم في التعليم الخاص ؟ .

القضية ليست مجرد اعتراض فقط . هناك بعض التصورات مثل التبرعات من القادرين ، ما يمكن اقتطاع جزء من أموال الزكاة للإتفاق على التعليم وترشيد الإنفاق الحكومي ، صحيح لو كانت ميزانيات الحكومة عاجزة عن توفير فرص تعليمية ، هنا يصبح التعليم الخاص ضرورة ، لكن حينما تنفق بعض الحكومات على علاج راقصة في الخارج آلاف الدولارات بحجة أنها قدمت خدمات قومية ، وتبخل على العملية التعليمية ، وتهرب مليارات الدولارات إلى الخارج ، أو تنهب البنوك . إذن القضية ليست عجزا في الموارد إنما قضية عدم صرامة في تنفيذ القانون ، إن تأكدنا تماما أن الحكومة بذلت ما في وسعها بتأكيد سيكون التعليم الجامعي الخاص ضرورة ملحة ، لكن أنا أعتقد أن بعض الحكومات - ولا أقول لازل في جعبتها أموال يمكن أن تنفق على التعليم .

وأخيرا البعد التعليمي ونلخصه في أن هناك مشكلات تعاني منها العملية التعليمية داخل الجامعات الحكومية تعكس عجز الدول عن تقديم خدمة تعليمية متميزة ، وبالتالي سنكون في حاجة إلى وجود جامعات خاصة ، وهذا كلام نظري لأن الجامعات الخاصة التي أنشئت تعاني من نفس عيوب الجامعات الحكومية ، وأعضاء هيئة التدريس الذين يدرسون في الجامعات هم نفس الجامعات الحكومية فإذا ما انتقلوا بثقافتهم التنظيمية ، نقلوا معهم البيروقراطية .

وبوصول الكتاب الحالي إلى نهايته، وقبل أن نتركه ليكون ملكاً للبحث العلمي ، نود الاعتراف بأننا قدمنا كل ما عندنا من فكر وجهد، لنضعه - بكل صدق وصراحة ووضوح - أمام القائمين على تطوير التعليم الجامعي والعالي والمخططين لسياسته بجمهورية مصر العربية ، مع إيماننا بأن في الدراسة

والاجتهاد احتمالات الخطأ والصواب والنسيان ، ونرجو في النهاية أن ننال على الأقل - ثواب الاجتهاد .

الفهارس

فهرست المراجع والمصادر

فهرست المحتوی

فهرست المراجع والمصادر

أولاً: المراجع والمصادر العربية:

- ١- إبراهيم عصمت مطاوع : واقع الجامعات العربية - نظرة تحليلية ناقدة ،
قراءات فى التربية وعلم النفس ، ط ١ ، مكة المكرمة ،
مكتبة الطالب الجامعى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ٢- إبراهيم محمد إبراهيم ، مصطفى عبد السميع محمد : التعليم المفتوح ..
تعليم الكبار رؤى وتوجهات ، القاهرة ، دار الفكر العربى ،
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٣- تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجى ، ط ٣ ، القاهرة ، الأنجلو
المصرية ، ٢٠٠٢ .
- ٤- إميل فهمى شنودة: التعليم فى مصر ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥
- ٥- التعليم الحديث - دراسة وثائقية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ .
- ٦- فى التوظيف الاجتماعى للتعليم - دراسات فى التربية والثقافة ، ط ٢ ،
القاهرة ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٧ .
- ٧- حامد عمار : فى التنمية البشرية وتعليم المستقبل - دراسات فى التربية
والثقافة ، القاهرة ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٩ .
- ٨- حسن شحاتة : التعليم الجامعى والتقويم الجامعى بين النظرية والتطبيق ،
القاهرة ، الدار العربية للكتاب ، ٢٠٠١ .
- ٩- حسن محمد حسان ، وآخرون : التربية وقضايا المجتمع المعاصر ،
سلسلة علم اجتماع التربية ، الكتاب الأول ، المنصورة ،
دار الأصدقاء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢ .

- ١٠- سعيد إسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ .
- ١١- الأمن التربوي العربي ، سلسلة قضايا تربوية (٣) ، ط ١ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٩ .
- ١٢- محسن خضر : من فجوات العدالة في التعليم - آفاق تربوية متجددة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٠ .

ثانيا المراجع الأجنبية :

- 13) Alan , Wagner : “ Financing Higher Education New Approaches”- New Issues , *Journal of Higher Education Management* , vol . (8) , No . (1) , Mar . 1996 .
- 14) Altbach , Philip ; Comport , Patricia ; and Johnston , D . Bruice : In *Defence of American Higher Education Baltimore* , AD; The Johns Hopkins University Press , 2001.
- 15) Altbach , Philip and Others : “ *Higher Education in American Society*” New York , Pergamon press , 1994.
- 16) American University at Cairo : *The College of Arts and Sciences (1921 – 1922)* , Cairo , American University , 1921.
- 17) Aref T . M . Atari : “ Privatization of Higher Education and its Implications to the Institution of Higher Learning – A Case study of Malayisia , Second Educational Conference “*Privatization of University and Higher Education* “ , vol (2) , Muscat , Sultanate of Oman , 23 – 25 October 2000 .
- 18) Ashcroft , Kate : *The Lecturer's Guide to quality and Standards in College and Universities* , London , The Falmer press , 1995.

- 19) Balan , J : “ Private Universities within the Argentine “ Higher Education system – trends and prospects , ***Higher Education policy*** , vol . (3) , No . (2) , Juin 1990.
- 20) Bernasconi , Andres : Organizational diversity in chilean higher Education : Faculty tegimes in private and public university , ph.D ., Boston University , 2003 , At web site <http://www.lib.uni.com/Dissertations>
- 21) Blakmore , Jill : “Universities in Crisis? Knowledge Economies , Emanci patory pedagogies and the cirtical Intellectual” . ***Educational Theory*** , Vol (51) ,No (3) , 2001.
- 22) Blaug , M : “ The Distributional effects of higher Education subsidies “ , ***Economics f Education Review*** , vol . (2) , No . (3) , 1982 .
- 23) Breneman , David , W . : “ The Privatization of public Universities – A Mistake or model for the future “ , ***The Choronical of higher Education*** , vol. (43) , No. (7) , 1997.
- 24) Brown , Tony : “ Challenging Globalization as Discourse and Phenomenon , ***International Journal of life long Education*** , vol . (18) , No . (1) , Jan / Feb 1999.
- 25) Bruce “ The Special Ethical of the Ethical of the Academy “ , ***The Review of Higher Education*** , vol.(23) , No.(2) , Fall 2000.
- 26) Camara , Jarica dasilva : “ Globalization and Teacher Education”, ***world congress of comparative Education*** , University of cape town , south Africa , 12 – 17 July 1998
- 27) Colobeck , L . Carol : Merging in a Seamless Blend , How Faculty Integrate Teaching and Research , ***The Journal of Higher Education*** , Vol . (62) , No (6) , Nov / Dec 1998.

- 28) Samuel, Certo : *Modern Management* , Eight th ed ., New Jersey , Prentice Hall , 2000.
- 29) David , Rothkop : “ Inpraise of Cultural Imperialism ? Effects of Globalization , *Foreign Policy* , June (22) , 1997.
- 30) Dixon , Tim: “Experiential Training for Organizational Trans- formation” , *Hand book of organizational*, Health Psychology International, Universities press , Inc . Canada , 1998.
- 31) Epifania R., Castro Response : *The University in the Developing Philippines* (N.Y., Asla plishing Hous ims) , 1991.
- 32) European Center for Higher Education : Trends and Developments in Higher Education in Europe , Paris : UNESCO – CEPES , 2003.
- 33) European Communities , Communication from the Commission to the council and the European parliament on Education and training in the context of poverty Reeducation in Developing countries , 2004, At www.europa.eu.int/samartapil/cgi/sga.doc
- 34) Fitz , J . & Beers , B . “ Education management Organization and the privatization of public Education a cross – National Comparison of the U.S.A and Britian “ , *Comparative Education* , vol . (38) , No. (2), 2002.
- 35) Fossen , Terrence : “ Training the Transformation Leader “ , University of Alberta , Canada , *Diss . Abst . Inter .* , Vol (58) , 10 A , 1997 .
- 36) Carnoy Martin : “ Globalization and Educational reform , what planners need to know” , UNESCO , Paris , 1999.
- 37) Geiger , Roger , L . “ Exploiting the 1980 S : Privatization of Funding and Research Among Research Universities “ *Higher Education Abstracts* , vol (27) , No (1) , Fall , 1990.

- 38) Green , J . P . , Peterson , P . E . & Du . J : “ Effectiveness of school choice – the Milwaukee experiment”, **Education and Urban Society** , No . (31) , 1990.
- 39) Henri Tesenas du Montcel : “ **L’universite peut Mieax Faire** , Paris , Seuil , 1985.
- 40) Henry , Levin . M. (ed) : **Privatizing Education** , Teacher College , Columbia University , 2001 .
- 41) James P . Grant : “ The State of the Word’s Children” , UNESCO , Oxford University press , 1991.
- 42) Jenet R . Summerille : Community Action Volunteers in Education , CAVE , American Association of State College and Universities , Washington , D.C., California State , University Chicago , Feb ., 1989 .
- 43) John , Tomlinson : **Modern and Pastmodern** , London , Sage Co., 1998.
- 44) John M . Plowman : “ A Comparison of tertiary colleges in Britain and Community Colleges in the United States “ , **Journal of Further and Higher Education** , vol . (10) , N(1) , Spring 1986 .
- 45) Joseph ,Murphy : **The Privatizatonal of schooling problems and possibilities** , California , Corwin press , 1996.
- 46) Joseph Muephy , et . al ., (ed) : **Pathways to Privatization in Education** , London , Vanderbilt University , 1998.
- 47) Male , Mar V. : “ **Technology for Inclusion** , Second ed , U.S.A , Allyn and Bacon , 1997.
- 48) Mason , Robin : **Globalizing Education Trends and applications** , London , Routledge , 1998
- 49) McGinn , Noel : Education , Democratization and Globalization - A Challenge for Comparative Education ,



Comparative Education Review , vol . (40) , No.(4) , Nov . 1996.

- 50) Mohammed Al – Queryaty : “ Recompiling Development planning with privatization – The case of Jordan “ , A paper Submitted to a conference on “ *progress and Development in privatization* “ , Bloomington , Indiana , U.S.A , 14 – 15 April , 1988.
 - 51) Murphy , R . Lawrence : *The American University in Cairo (1919 – 1987)* . Cairo , the American University in Cairo press , 1987.
 - 52) O.E.C.D : *Industry and University & New forms of Cooperation and Communication* (Paris Organization for Economic, Cooperation and Development , 1984).
 - 53) Oliver, Mary Bonita: The Future of Private Colleges - Strategies for Viability from private Institutions in Maryland , Pennsylvania, Virginia, West Virginia, Kentucky, and Tennessee, EdD, The George Washington University , 2003 At Website <http://wwwlib.uni.com/Dissertation> .
 - 54) Organization for Economic Co – Operationa and Development (O.R.C.D): *The World in 2020 Towards a new Global Age* , Paris , Clearance Center , 1997.
 - 55) Oser , F . and Racriswyl , F . Choreographies of Teaching : Bridging Instruction to Learning in : *Hand book of Educational Research* . Edited by: Virginia Richardson . Washington D.C : AERA , 2001.
 - 56) P . Harrold : The Broab Sector Approach to Investment Lending , Sector Investment Programs , Washington , DC ., *World Bank* , Africa Technical Development series , World Bank Discussion , 2002.
 - 57) Patrinos , H . A . “ The Privatization of Higher Education in Colombia . effects An quality and equity “ , *Higher Education* , vol(20) , No. (2) , Sep. 1990 .
-

- 58) Peter Rae : “ New Directions – Privatization and Higher Education in Alberta “ , *The Canadian Journal of Higher Education* , vol (xxv) , 1 – 2 , 1996.
- 59) Philip Kotler : *Marketing Management* , New Jersey , Prentice Hall International , 2000.
- 60) Pichel' , Frank ; Piper Wallace : “ Future trends in our profession” , *School Business Affairs* , vol .(64) , No . (9) , Sep., 1998.
- 61) Piper , Thomas ; Gentile , Mary and Parks , Sharon D . Can Ethics be thought ? *Perceptions , Challenges and Approaches at Harvard Business School* . Boston . MA : Harvard Business School , 1993.
- 62) Qasem Subhi : The Higher Education System in the Arab States , Development of S & T Indication , Report Prepared for UNESCO , UNESCO , Cairo Office , 1995.
- 63) Richard I . Miller : *Major American Higher Education issues and Challenges in 1990* , London , Jossica Kinjsley , Publishers , 1990 .
- 64) Roland , G . “ On the Speed and Sequencing of Privvatization and restructuring “ , *The Economic Journal* , vol (104) , No (426) , Sep. 1994.
- 65) Ronald , Rebotson : *Globalization* , London , Sage Co . , 1992.
- 66) Rutabingwa , Cleophas Kente : Leader behavior of vice chancellors as perceived by the management teams in private university in the east Africa Community (Kenya , Tanzania , Uganda) , EdD , University of Sanfrancisco, 2003 , At website: <http://www.lib.uni.com/Dissertations> .
- 67) Sanders , N . M . : “ Would Privatization of k – 12 Schooling lead to competition and the Thereby Omprove Education? *Educational policy* , vol . (16) , No . (2) , May 2002.

- 68) Savas , E. S . : *Privatization and Public – Private Partnerships* , New York , Catham House , 2000 .
- 69) Schneider Man , Lary , S : “ Privatization : An Economic and Organizational analysis “ , *Diss . Abst . Inter .* , vol (50), No (6) , December 1989 .
- 70) Shattov , M . “ The University of the Future “ , *Journal of the program in Higher Education* , Vol (7) , No (2) , July 1995
- 71) Shavelson , Richard and Huang , Leta . Responding Responsibly : “ To the Frenzy to Assess learning in Higher Education change “ , *Journal of the Amerian Association of Higher Education* , Jan / Feb , 2003.
- 72) Smith , David and Langslow , Ann (Eds) : *The Idea of a University* , London , Jessica Kingston publishers , 1999.
- 73) Supply and Demand for Graduates in Egypt . By : Gholamereza Arab Sheibani – in : *Higher Education Review* , Edited by J. Prat Twarwick Printing Co . Ltd . London , vol (23) , No (3) , Summer 1991.
- 74) The World Bank : Education in the middle East & North Africa : A Strategy Towards Learning for Development , Human Development Sector , middle East , North Africa Region , *World Bank* , Washington , D.C , 1998.
- 75) ----- : Education Sector Strategy , Human Development Network , *World Bank* , Washington , D.C , 1999.
- 76) Thomas , Friedman : “ The Lexus and the Olive Tree “ , *New York Times* , 1999.
- 77) Tilak : *Financing Higher Education Research Seminar “ on reform and innovation in India “* York at Buffalo / SNOT wonen’s University , Bombay , 1991.
- 78) Tsang , Munc : Economic Analysis of Educational Development in Developing Nations , in Guthrie , J. (ed),

- Encyclopedia of Education*, 2nd edition, New York, Macmillan, 2002.
- 79) UNESCO , *The Functions of Educational Administration* , Paris , 1987.
- 80) ----- : “ Policy paper of change and Development in higher Education” : UNESCO , 1995.
- 81) ----- : “ World Declaration on Higher Education for the Twenty First Century – Vision and Action “ , UNESCO, Paris , 1998 .
- 82) ----- : *World Education Report 1998* , UNESCO , Paris , 1998.
- 83) UNESCO Institute for Statistics & OECD , Financing Education Investments and Returns : Analysis of the world Education Indicators 2002 Edition , Executive Summary , UNESCO / OECD , Paris , 2003.
- 84) Valey , Thomasl . Van : “ Recent Changes in Higher Education and their Ethical Implications “ , *Teaching Sociology* , vol . (29) , Jan 2001 .
- 85) Wiseman : Public Finance in Education – Areveu , I.P.G , ed , *Economic of Education* , New York , Pergamon press , 1987.
- 86) World Bank Report : “ Education in the Sub – Sahara Africa - Policies for Adjustment Revitalization and Expansion”, *World Bank* Washington , D.C , 1988.
- 87) Ismail M . El – Kabani : *A Hundred Years of Education in Egypt* , Cairo , Government Press , 1948.
- 88) Valentin Chirol : *The Egyptian Problem* , London , Macmillan Co., 1921.

الفهارس

فهرس المحتوى

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١٤ - ٧	تقديم :
١٥	الباب الأول : واقع تكافؤ الفرص التعليمية بجمهورية مصر العربية
١٧	مقدمة
٤٣ - ٢٠	أولاً: تكافؤ الفرص التعليمية : المفاهيم - المبادئ الحاكمة - المستويات .
٢٠	أ) مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية.
٢٢	ب) المبادئ الحاكمة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.
٢٤	ج) مستويات تحقيق التكافؤ في الفرص التعليمية
٥٩ - ٤٣	ثانياً: تكافؤ الفرص التعليمية ضمن وثائق تطوير التعليم في جمهورية مصر العربية.
٤٥	أ) معالم تكافؤ الفرص في التعليم النظامي بجمهورية مصر العربية.
٥٤	ب) تعقيب تحليلي ناقد.
٥٩	عود على بدء ..
٦٣	الباب الثاني التعليم الجامعي و بين تحديات العصر والمتغيرات المجتمعية
٦٥	مقدمة .
٨٣ - ٦٧	أولاً: تحديات العصر والتعليم الجامعي والعالي.
٦٩	■ التحديات الكمية.
٧٧	■ التحديات النوعية
٩٦ - ٨٤	ثانياً: المتغيرات المجتمعية (المحلية) وإنشاء الجامعات الخاصة بجمهورية مصر العربية
٨٤	أ - التحول الأيديولوجي - من الاشتراكية إلى الرأسمالية .
٨٧	ب - تنامي الطلب الاجتماعي علي التعليم الجامعي وعوامله .
٩٣	ج - أزمة تمويل التعليم الجامعي .
٩٦	عود على بدء ..
١٠٠	الباب الثالث : التعليم الجامعي الخاص (طبيعته - مبرراته - متطلباته)
١٠٢	مقدمة .
١٢٢ - ١٠٤	أولاً : الإطار المفاهيمي للخصخصة وأهم مشكلاته على الصعيد العربي

رقم الصفحة	موضوع
١٠٤	أ - الإطار المفاهيمي للخصخصة وخصخصة التعليم الجامعي
١١٥	ب - بعض المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي الخاص على الصعيد العربي •
١٢٢ - ١٤٣	ثانيا : التعليم الجامعي الخاص : (مبرراته - متطلباته)
١٢٢	أ - مبررات خصخصة التعليم الجامعي
١٢٩	ب - محاذير خصخصة التعليم الجامعي :
١٣٩	ج - متطلبات المجتمع العربي من التعليم الجامعي الخاص
١٤٣	عود على بدء ..
٢١٨ - ١٤٧	الباب الرابع : الجامعات الخاصة المصرية (الواقع والظموح)
١٦٧ - ١٤٩	مقدمة
١٥٦	أولا : المعالم الرئيسية لتطوير نشأة الجامعات الخاصة
١٥٦	أ - الجامعة الحرة في الخمسينات (١٩٥٩ م)
١٦٠	ب - الجامعة الخاصة في السبعينات (١٩٧٢ - ١٩٧٩ م)
١٦٣	ج - الجامعة الخاصة في الثمانينيات (١٩٨١ - ١٩٨٩ م)
١٦٥	د - نشأة الجامعات الخاصة في التسعينيات (١٩٩٢ م)
٢٠٢ - ١٦٧	ثانيا : ملامح الفلسفة الحاكمة للجامعات الخاصة المصرية
١٦٧	أ - مراحل إصدار قانون إنشاء الجامعات الخاصة المصرية
١٦٩	ب - بداية عمل الجامعات الخاصة المصرية (١٩٩٦ - ١٩٩٧ م)
١٧١	ج - تطوير إعداد الجامعات الخاصة المصرية
١٧٦	د - القوانين واللوائح المنظمة للجامعات الخاصة المصرية
١٨٤	هـ - سياسة القبول في الجامعات الخاصة المصرية
١٨٥	و - موقف أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخاصة المصرية
١٨٩	ز - المصروفات الدراسية والمنح المنخفضة في الجامعات الخاصة المصرية
١٩٤	ح - إدارة الجامعات الخاصة المصرية
١٩٨	ط - العلاقة بين مؤسسات الدولة والجامعات الخاصة المصرية
٢١١ - ٢٠٣	ثالثا : نحو معالم رئيسية لرؤية مستقبلية للجامعات الخاصة المصرية

الموضوع	رقم الصفحة
عود على بدء •	٢١١
فهرست المراجع والمصادر	٢٣١-٢٢٠
فهرست المحتويات	٢٣٦ - ٢٣٢

التعليم الجامعي الخاص وتكافؤ الفرص التعليمية



دار الجامعة الجديدة